



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبحان

للغافل



عليه
صباح
الرمضان

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَنْعَمَّرَ اللَّهُ لَكَ أَلَمَ لَمْ يَكُنْ لَكَ آخِرُ عُمرٍ وَأَرْحَمَ عَلَيْكَ رَبًّا ذُو الْعَرْسِ الْعَظِيمِ



اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ بِمَا كَتَبْتَ فِي الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ
اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ بِمَا كَتَبْتَ فِي الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الصحيح من سيره النبي الاعظم صلى الله عليه و آله وسلم

كاتب:

سيد جعفر مرتضى حسيني عاملی

نشرت في الطباعة:

سحرگاهان

رقمی الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

| | |
|----|---|
| ٥ | الفهرس |
| ١٦ | الصحيح من سيره النبي الاعظم صلى الله عليه و آله وسلم المجلد ٨ |
| ١٦ | اشاره |
| ١٧ | اشاره |
| ٢٢ | [اتمه القسم ...] |
| ٢٢ | الباب الثامن: غزوه بنى النضير |
| ٢٢ | اشاره |
| ٢٤ | الفصل الأول: النصوص و الآثار |
| ٢٤ | اشاره |
| ٢٥ | تمهيد ضرورى: |
| ٢٨ | نص ابن كثير: |
| ٣٨ | قصه عمرو بن سعدى القرظى: |
| ٤١ | القتال .. فى بنى النضير: |
| ٤٣ | نصوص أخرى حول قضيه بنى النضير: |
| ٤٧ | ليخبرن بما همتم به: |
| ٥١ | الفصل الثانى: قبل أن تدق الطبول |
| ٥١ | اشاره |
| ٥٣ | بدايه: |
| ٥٣ | الإختلافات الفاحشه: |
| ٥٤ | تاريخ غزوه بنى النضير: |
| ٥٦ | تذكير بما سبق: |
| ٦٢ | تهافت ظاهر: |
| ٦٣ | سبب غزوه بنى النضير: |
| ٦٨ | روايه لا يعتمد عليها: |

| | |
|----|--|
| ٦٩ | نقض العهد .. و التكبير: |
| ٧١ | نقض العهد و المؤامره: |
| ٧٢ | المعاهدات فى الإسلام: |
| ٧٢ | من عهد الأشر: |
| ٧٦ | الوفاء بالعهد: |
| ٧٧ | الشرط الأساس فى كل عهد: |
| ٧٨ | العهود لا تنقض، و هى ملزمه للجميع: |
| ٨٠ | إحترام أموال المعاهدين: |
| ٨٠ | المعاهدون لا يجفون و لا يقصون: |
| ٨١ | من نتائج الصلح و العهد: |
| ٨٢ | العهد .. و الحذر: |
| ٨٢ | الخيانه فى حجمها الكبير: |
| ٨٣ | الوفاء بالعهد ضروره حياتيه: |
| ٨٥ | الغدر عجز، و عدم ورع: |
| ٨٥ | الغادر هو الذى يعاقب: |
| ٨٥ | السلاح فى أيدي المعاهدين: |
| ٨٦ | موقف له دلالاته: |
| ٨٨ | وفاء اليهودى هو الغريب المستهجن: |
| ٨٨ | اشاره |
| ٨٩ | الأول: |
| ٨٩ | الثانى: |
| ٩٠ | الثالث: |
| ٩٠ | الجراءه و ميرراتها: |
| ٩٣ | التصوير الحاقده، و التزوير الرخيص: |
| ٩٤ | مزيد من التجنى: |
| ٩٨ | الفصل الثالث: التقرار و الحصار |

- ٩٨ اشارة
- ١٠٠ القرار الحكيم:
- ١٠٢ لماذا كان الرسول أوسياً؟
- ١٠٤ حامل اللواء:
- ١٠٧ الفتح على يد علي (عليه السلام):
- ١٠٧ اشارة
- ١٠٨ ١- الحكمه .. والمعجزه:
- ١٠٩ ٢- الشعور بالمسؤوليه:
- ١٠٩ ٣- الأسرار العسكريه:
- ١١٠ ٤- دراسه شخصيه العدو:
- ١١٠ ٥- إستباق مخططات العدو:
- ١١١ ٦- العمليات الوقائيه:
- ١١١ ٧- إرهابات:
- ١١١ ٨- الفتح على يد علي (عليه السلام):
- ١١٣ ٩- قتل قائد المجموعه:
- ١١٣ ١٠- الإشكال فى شعر حسان:
- ١١٤ تحديد المواقع:
- ١١٦ ١- بنو النضير شرقى المدينه:
- ١١٩ مناقشه للسهمودى لا تصح:
- ١٢٠ مناقشه أخرى وردها:
- ١٢٠ ٢- قرب بنى خطمه إلى بنى النضير:
- ١٢٤ خلاصه أخيره:
- ١٢٤ مناقشه مع الواقدى:
- ١٢٥ قطع النخل، أو حرقه:
- ١٢٦ هل هذا العدد صحيح؟!:
- ١٢٧ تفاصيل أخرى فى حرق و قطع النخيل:

- لماذا ابن سلام؟! ١٢٩
- ٢- شكوك تصل إلى حد التهمه: ١٢٩
- البعض لم يفهم الآيه: ١٣٠
- ٣- الحرق أم القطع؟! ١٣١
- الحكم الفقهي في قطع الأشجار و حرقها: ١٣١
- حرق النخيل، و الفساد في الأرض: ١٣٢
- جواب السهيلي، لا يصح: ١٣٤
- ضروره قطع الأشجار، و حرقها: ١٣٩
- المهاجرون!! و قطع النخل: ١٤٤
- التصويب في الاجتهاد: ١٤٧
- هذا الشعر لمن؟! ١٤٩
- الفصل الرابع: الجزاء الأوفى ١٥٢
- اشاره ١٥٢
- تحسبهم جميعا، و قلوبهم شتى: ١٥٤
- اليهود و المنافقون لا ينصرون حلفاءهم: ١٥٦
- يخربون بيوتهم بأيديهم: ١٥٨
- نجاف الباب و وصيه موسى: ١٦١
- روايات غير موثوق بصحتها: ١٦٢
- لأول الحشر: ١٦٣
- اشاره ١٦٣
- الاول: ١٦٧
- الثاني: ١٦٨
- سبب إخراج عمر لليهود: ١٦٨
- دعاوى لا تصح: ١٨٠
- الروايه الأقرب الى القبول: ١٨١
- لا إكراه في الدين: ١٨٢

- ١٨٣ إلى خيبر، أم إلى الشام؟
- ١٨٤ السلاح للمؤمنين فقط:
- ١٨٤ حزن المنافقين:
- ١٨٨ نماذج مثيره: -
- ١٨٨ حسان بن ثابت يتعاطف مع اليهود: ..
- ١٩٠ روايه شاذه لابن عمر: ..
- ١٩١ روايه أخرى تحتاج إلى إصلاح: ..
- ١٩٢ بنو النضير بمنزله بنى المغيره: ..
- ١٩٨ ملاحظه: ..
- ١٩٨ نزول آيه سوره المائده فى بنى النضير: ..
- ١٩٩ التريبيه القرآنيه: ..
- ٢٠٠ الله هو الذى أخرجهم: ..
- ٢٠١ العز، و الذل .. بماذا؟ ..
- ٢٠٢ مبالغات لا مبرر لها: ..
- ٢٠٥ صلاه الخوف فى بنى النضير: ..
- ٢٠٥ تحريم الخمر فى غزوه بنى النضير: ..
- ٢١٠ الفصل الخامس: كى لا يكون دوله بين الأغنياء ..
- ٢١٠ اشاره ..
- ٢١٢ الخيانه و الفداء: ..
- ٢١٢ أموال بنى النضير فى النصوص و الآثار: ..
- ٢١٦ أموال بنى النضير لم تخمس: ..
- ٢١٧ توضيحات للواقدي: ..
- ٢١٧ اشاره ..
- ٢١٧ أ: التعبير ب (صدقات) و (صوافى): ..
- ٢١٨ ب: حيائل ماكره أخرى: ..
- ٢٢٠ أموال بنى النضير فى أم غنيمه؟ ..

- ٢٢٢ الجواب الأمثل:
- ٢٢٣ المهاجرون .. و أموال بنى النضير:
- ٢٢٣ حكاية قسمه الأراضى:
- ٢٢٥ محاسبات دقيقه:
- ٢٢٨ المستفيدون من أراضى بنى النضير:
- ٢٣١ نضان غير متوافقين:
- ٢٣٢ كى لا يكون دوله بين الأغنياء:
- ٢٣٦ لماذا اختص ذووا القربى بالخمس و الفى ؟:
- ٢٤٠ الفصل السادس: أراضى بنى النضير و الكيد السياسى
- ٢٤٠ اشاره
- ٢٤٢ الغاصبون:
- ٢٤٢ اشاره
- ٢٤٢ نص الروايه:
- ٢٤٨ المؤاخذات التى لا محيص عنها:
- ٢٤٨ اشاره
- ٢٤٨ أولا:
- ٢٥٠ و ثانيا:
- ٢٥٢ و ثالثا:
- ٢٥٣ و رابعا:
- ٢٥٩ خامسا:
- ٢٥٩ سؤال .. و جوابه:
- ٢٦٠ سادسا:
- ٢٦٠ سابعا:
- ٢٦١ ثامنا:
- ٢٦٢ تاسعا:
- ٢٦٤ عاشرا:

- ٢٦٥ حادى عشر:
- ٢٦٥ ثانى عشر:
- ٢٦٦ ثالث عشر:
- ٢٦٨ الإنتصار لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أم لعمر الفاروق:
- ٢٧٠ يحسبهم الجاهل أغنياء:
- ٢٧٦ الزهد .. الحريره:
- ٢٧٧ الزهراء .. فى مواجهه التحدى:
- ٢٨٠ لماذا لم يسترجع على (عليه السلام) ما اغتصب؟!:
- ٢٨٣ الباب التاسع: حتى الخندق
- ٢٨٣ اشاره
- ٢٨٥ الفصل الأول: غزوه ذات الرقاع .. تاريخ و أحداث
- ٢٨٥ اشاره
- ٢٨٧ بدايه:
- ٢٨٧ الرصد الدقيق:
- ٢٨٨ غزوه ذات الرقاع:
- ٢٨٨ نتائج و آثار:
- ٢٩١ نقاط لايد من بحثها:
- ٢٩٢ التسميه بذات الرقاع:
- ٢٩٤ تاريخ هذه الغزوه:
- ٢٩٦ الصحيح و المعقول:
- ٢٩٩ مؤيدات:
- ٣٠٠ لماذا مؤيدات!:
- ٣٠٠ كلام الدمياطى:
- ٣٠١ دليل الرأى الآخر:
- ٣٠٢ غزوتان أم غزوه واحده:
- ٣٠٣ من استخلف النبى صلى الله عليه وآله وسلم على المدينه:

- ٣٠٤ تضحيات عباد بن بشر:
- ٣٠٦ تسجيل تحفظ:
- ٣٠٧ مع الحدث فى مراميه و دلالاته:
- ٣٠٨ قصه غورث بن الحارث:
- ٣١٠ قصه أخرى تشبه قصه غورث:
- ٣١٦ القصة الأقرب إلى القبول:
- ٣١٧ كيف نفهم هذه القصة؟!
- ٣١٩ الفصل الثانى: حدث و تشريع
- ٣١٩ اشاره
- ٣٢١ ماذا فى هذا الفصل؟!
- ٣٢٢ صلاه الخوف:
- ٣٢٥ الروايه الاقرب إلى القبول:
- ٣٢٧ كيفيه صلاه الخوف:
- ٣٢٧ اشاره
- ٣٢٧ صلاه الخوف فى غزوه الخندق:
- ٣٢٨ صلاه الخوف لما ذا؟!
- ٣٣٠ قصر الصلاه:
- ٣٣٢ القصر فى حالتى الأمن و الخوف:
- ٣٣٥ إتمام عثمان للصلاه فى منى و عرفات:
- ٣٣٥ الصامدون، و المتزلفون:
- ٣٣٦ معاويه و الأمويون، و سنه عثمان:
- ٣٣٧ أعذار لا تصح:
- ٣٤٢ التقصير رخصه أم عظيمه:
- ٣٤٣ نزول آيه التيمم:
- ٣٤٥ الفصل الثالث: عطات و كرامات أو سياسات إلهيه
- ٣٤٥ اشاره

- ٣٤٧ ماذا في هذا الفصل؟! ..
- ٣٤٨ جمل جابر: ..
- ٣٥٣ اختلافات الروايه في مقدار ثمن الجمل: ..
- ٣٥٥ الزيادة المباركه: ..
- ٣٥٥ تاريخ قصه جمل جابر: ..
- ٣٥٦ القيمه الحقيقيه لهذا الحدث: ..
- ٣٥٨ كرامه، و تكريم: ..
- ٣٦٠ مع الحدث في دلالاته، و خصوصياته: ..
- ٣٦٢ رحمه الله بعباده: ..
- ٣٦٣ النبي يعالج ابن الاعرابيه: ..
- ٣٦٤ كرامه أخرى لرسول الله صلى الله عليه و آله وسلم : ..
- ٣٦٦ جمل يستعدى على صاحبه ..
- ٣٦٧ معرفه النبي صلى الله عليه و آله وسلم بلغات البشر، و الحيوان و الجماد، و الشجر: ..
- ٣٦٨ سؤالان يحتاجان إلى جواب: ..
- ٣٦٩ الإجابه و التوضيح: ..
- ٣٧٠ الإجابه على السؤال الآخر: ..
- ٣٧٢ تسخير المخلوقات للإنسان في الآيات القرآنيه: ..
- ٣٧٣ الشعور و الإدراك لدى المخلوقات: ..
- ٣٧٥ نماذج حيه من تسخير الموجودات العاقله: ..
- ٣٧٦ قصه سليمان و داود نموذج فذ: ..
- ٣٧٦ آيات من سوره النمل: ..
- ٣٧٧ مع آيات سوره النمل: ..
- ٣٧٨ إعادته توضيح و بيان: ..
- ٣٨٠ النقاط على الحروف: ..
- ٣٨٢ الفصل الرابع: بدر الموعد ..
- ٣٨٢ اشارته ..

- ٣٨٤ بدايه الحديث عن بدر الموعده:
- ٣٨٥ تاريخ غزوه بدر الموعده:
- ٣٨٦ النص التاريخى لبدر الصغرى:
- ٣٩٢ آيات سوره آل عمران:
- ٣٩٤ مواقف لابد من التأكد من صحتها:
- ٣٩٥ الأفرح و الأتراح:
- ٣٩٨ المجتمع المفتوح:
- ٣٩٩ استخلاف ابن أبى على المدينه:
- ٤٠٠ قوه الاسلام:
- ٤٠٣ لابد من الندم:
- ٤٠٥ الانتظار ثمانيه أيام:
- ٤٠٦ الاتجار فى بدر الموعده:
- ٤٠٦ اشاره
- ٤٠٨ إيضاحات:
- ٤٠٩ تاريخ هذه الغزوه:
- ٤١٠ هذه الغزوه:
- ٤١٢ مده غيبته صلى الله عليه و آله وسلم عن المدينه:
- ٤١٢ رجوع النبى صلى الله عليه و آله وسلم قبل بلوغ دومه!!
- ٤١٣ التوجيه الأقرب:
- ٤١٤ و نسجل هنا ما يلى:
- ٤١٧ دومه الجندل، حقيقه أم خيال!؟
- ٤١٩ ذكريات أبى موسى الأشعري فى دومه الجندل:
- ٤١٩ مواعده عينه بن حصن الغادر:
- ٤٢٠ حكومه القيم، أم حكومه المشاعر:
- ٤٢٢ الفهارس
- ٤٢٢ اشاره

٤٢٥ ----- ١- الدليل الاجمالي للكتاب

٤٢٦ ----- ٢- الدليل التفصيلي للكتاب

٤٤٣ ----- تعريف مركز

سرشناسه : عاملی، جعفر مرتضی، ۱۹۴۴- م.

عنوان و نام پدیدآور : الصحيح من سيره النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم / جعفر مرتضی العاملی

مشخصات نشر : سحر گاهان، ۱۴۱۹ق. = ۱۳۷۷.

مشخصات ظاهری : ج ۱۰

شابک : ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛
۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛
۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛
۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛
۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل)

وضعیت فهرست نویسی : فیا

یادداشت : عربی.

یادداشت : کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر گردیده است.

یادداشت : افسست از روی چاپ بیروت: دار السیره

یادداشت : جلد دهم: الفهارس

یادداشت : کتابنامه

موضوع : محمد صلی الله علیه و آله وسلم ، پیامبر اسلام، ۵۳ قبل از هجرت - ۱۱ق. -- سرگذشتنامه

موضوع : اسلام -- تاریخ -- از آغاز تا ۴۱ق.

رده بندی کنگره : BP۲۲/۹ع/۲ ص ۳ ۱۳۷۷

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۳

شماره کتابشناسی ملی : م ۷۷-۱۵۹۲۹

ص: ۱

اشاره

ص: ٦

[تمه القسم...]

الباب الثامن: غزوه بنى النضير

اشاره

ص: ٨

الفصل الأول: النصوص والآثار

إشاره

تمهيد ضرورى:

هناك بعض الأحداث الهامه، و المواقف الحساسه، التى تحمل فى طياتها الكثير من العبر و العظات، و تترك لها آثارا بارزه على منحنى و عمق الفكر الإنسانى، و الرسالى، و على الفهم الدقيق للمسار العام فى خط الرساله .. هذا عدا عن التأثير الظاهر لها فى البنيه العقائديه، و فى اللاشعور، و الشعور الوجدانى، المهيمن على الموقف، و الحركه، و السلوك، للانسان فى مختلف مراحلها و أدوارها، و فى كثير من أحواله و أطواره.

و لكن هذه الأحداث و المواقف بالذات، و خصوصا ما كان منها فى العهد النبوى الشريف لم تنل قسطها من البحث و التقصى، من قبل العلماء و أهل الفكر بل مروا عليها- تقريبا- مرور الكرام، فبدت: و كأنها أمورا تافهه و حقيره، و محدوده و صغيره، و خيّل إلى الكثيرين: أنها ليس فيها ما ينفع و لا- ما يجدى .. فكان طبيعيا أن تبقى الكثير من جوانبها، و حقائقها، و ظروفها و ملابساتها رهن الابهام، و الاهمال. و كأنها ليست حقيقه ثابتة، و إنما هى محض وهم أو خيال.

و لا نبعد كثيرا إذا قلنا: إن غزوه بنى النضير، كانت واحده من هذه الأحداث، التى لها هذه الحاله التى أشير إليها، فهى حدث فريد و متميز، لا يقل فى أهميته عن أى من الأحداث الكبرى فى العهد النبوى

و يتضح ذلك بصورة أجلى و أتم من خلال دراستنا لكثير من النصوص و الآثار التي وردت في هذه الواقعة .. و لا أدلّ على ذلك من أنهم يقولون:

إن سورة الحشر- بتمامها- قد نزلت في هذه المناسبه .. و هذا يبرهن على الأهميه البالغه لهذه الوقاعه، و على أنها كانت تمثل تحولا- كبيرا و إيجابيا، في مسيره العمل و العاملين في سبيل الله سبحانه من جهه .. كما أنها تعتبر- من الجهه الأخرى- ضربه قاسيه و قاصمه لأعداء الله، و أعداء دينه من الكافرين ..

فقد كان اليهود- الذين كان بنو النضير- أقواهم شوكة، و أشدهم شكيمه، و أعزهم عزه يعيشون في قلب الدوله الإسلاميه، و حيث كان بإمكانهم الإطلاع على أدق دقائقها، و على حقائق خفاياها و نواياها، ثم الوقوف على المستوى الحقيقي و الدقيق لما تملكه من قدرات و إمكانات ماديه و معنويه .. و على كل الواقع الذى كان قائما في داخل المجتمع الإسلامى، سواء على مستوى العلاقات و الإرتباطات فيما بين فئات ذلك المجتمع، أو سائر المجالات، و مختلف المواقع.

كما أنهم- أعنى اليهود- كانوا يملكون أذرع، ظاهره، و خفيه، ممتده هنا و هناك، و فى عمق المجتمع الإسلامى الجديد، حتى على مستوى بعض القيادات فيه، و التى كانت تساهم بشكل فعال فى صنع القرار، أو فى عرقلته و تعطيله.

ثم إن لليهود الهيمنه الروحيه و الثقافيه و العلميه على الأ-كثريه الساحقه، التى يفترض فيها: أن تكون القاعده الصلبه، و القويه، التى تعتمد عليها تلك القيادة فى تنفيذ القرار، و فى فعاليتها، و قوه تأثيره، ثم فى الحفاظ عليه و حمايته على المدى القريب أو البعيد على حد سواء ..

هذا .. وعلينا أن لا ننسى أن اليهود كانوا يملكون قوه كبيره فى حساب الثروات و الأموال ..

و يكفى أن نذكر: أنهم كانوا يملكون من (الحلى) الشىء الكثير، قال بعضهم: إنهم كانوا يعيرونه للعرب من أهل مكه و غيرهم. و كان يكون عند آل أبى الحقيق (١)، و سيأتى فى غزوه خيبر: أن آل أبى الحقيق قد قتلوا بسبب ذلك الحلى كما ذكر ذلك غيره أيضا (٢).

هذا .. بالاضافه إلى ما كان لليهود من ديون على الناس، قد بلغت حدا، جعلهم يجدون فيها حائلا دون تسهيل أمر رحيلهم، لو لا أن تصدى النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) لحل هذا المشكل بالصوره التى لم يبق لهم معها أى خيار، حينما أمرهم بالوضع (أى حذف بعض المال) و بالتعجيل فى الآجال (٣).

وعلينا أن لا ننسى: أن هذه الضربه القاسيه و القاصمه التى تلقاها اليهود عامه، و بنو النضير بصوره أخص، إنما تمثل إضعافا لواحد من أهم مصادر القوه و التحدى لدى أعداء الإسلام و المسلمين، و لا سيما بالنسبه إلى المشركين، و كل من يتعاطف معهم من القبائل و الطوائف فى المنطقه العربيه، حيث خسروا واحدا من أهم حلفائهم، و ذوى القوه و النفوذ فيهم.

و قد نجد فيما يأتى من فصول إلماحه أو أكثر إلى هذا الأمر، و إلى غيره من أمور فرض علينا البحث التذكير بها، و الإلماح إليها.

و لذا .. فإننا سوف نكتفى هنا بهذا القدر، و نبدأ- بحول الله و قوته- بالحديث عن غزوه بنى النضير، حسبما يتهاى لنا فى نطاق مراعاة نسق ٤.

١- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٧.

٢- الاموال ص ٢٤٢ و زاد المعاد ج ٢ ص ١٣٦.

٣- المغازى للواقدي ج ١ ص ٣٧٤.

الكتاب و مستواه، و كثير من الأمور الأخرى التى لا بد لنا من مراعاتها، فيما يرتبط بمقتضيات البحث بصورة عامه ..

ف نقول .. و من الله نستمد الحول و القوه، و منه نطلب التوفيق و التسديد.

إننا نذكر فى البدايه نصا لهذه الغزوه، نختاره مما هو بحوزتنا من نصوص، و سوف يكون هذه المره لابن كثير فى سيرته، و فى بدايته و نهايته، مع حذف بعض ما رأينا من المناسب حذفه .. ثم نشير فى نهايه النص إلى جانب من المصادر و المراجع، التى يمكن الرجوع إليها للاطلاع على نصوص هذه الغزوه:

ف نقول:

نص ابن كثير:

قال ابن كثير عن سوره الحشر فى صحيح البخارى عن ابن عباس أنه كان يسميها سوره بنى النضير.

و حكى البخارى عن الزهرى، عن عروه أنه قال: كانت بنو النضير بعد بدر بسته أشهر قبل أحد.

و قد أسنده ابن أبى حاتم فى تفسيره عن أبيه، عن عبد الله بن صالح، عن الليث، عن عقيل، عن الزهرى به.

و هكذا روى حنبل بن إسحاق، عن هلال بن العلاء، عن عبد الله بن جعفر الرقى، عن مطرف بن مازن اليمانى، عن معمر، عن الزهرى، فذكر غزوه بدر فى سابع عشر رمضان سنه اثنتين.

قال: ثم غزا بنى النضير، ثم غزا أحدا فى شوال سنه ثلاث، ثم قاتل يوم الخندق فى شوال سنه أربع.

و قال البيهقى: و قد كان الزهرى يقول: هى قبل أحد.

قال: و ذهب آخرون إلى أنها بعدها، و بعد بئر معونه أيضا.

قلت: هكذا ذكر ابن إسحاق كما تقدم، فإنه بعد ذكره بئر معونه و رجوع عمرو بن أمية و قتله ذينك الرجلين من بنى عامر، و لم يشعر بعهدهما الذى معهما من رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم ؛ و لهذا قال له رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم : (لقد قتلت رجلين لأدينهما).

قال ابن إسحاق: ثم خرج رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم إلى بنى النضير يستعينهم فى ديه ذينك القتيلين من بنى عامر اللذين قتلها عمرو بن أمية، للعهد الذى كان صلى الله عليه و آله وسلم أعطاهما، و كان بين بنى النضير و بين بنى عامر عهد و حلف، فلما أتاهم صلى الله عليه و آله وسلم قالوا: نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت.

ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه و رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد، فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صخره و يريحنا منه.

فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب، فقال: أنا لذلك، فصعد ليلقى عليه صخره كما قال، و رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم فى نفر من أصحابه، فيهم أبو بكر و عمر و على، فأتى رسول الله الخبير من السماء بما أراد القوم، فقام و خرج راجعا إلى المدينة.

فلما استلبث النبي صلى الله عليه و آله وسلم أصحابه قاموا فى طلبه، فلقوا رجلا مقبلا من المدينة، فسأله عنه فقال: رأيتته داخلا المدينة. فأقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم حتى انتهوا إليه، فأخبرهم الخبر بما كانت اليهود أرادت من الغدر به.

قال الواقدي: فبعث رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم محمد بن مسلمه يأمرهم بالخروج من جواره و بلده، فبعث إليهم أهل النفاق يشبتونهم و يحرضونهم على المقام و يعدونهم النصر، ففويت عند ذلك نفوسهم، و حمى حبي بن

أخطب، وبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنهم لا يخرجون، و نابذوه بنقض العهد.

فعند ذلك أمر الناس بالخروج إليهم.

قال الواقدي: فحاصروهم خمس عشرة ليلة.

وقال ابن إسحاق: وأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالتهيؤ لحربهم والمسير إليهم.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، وذلك في شهر ربيع الأول.

قال ابن إسحاق: فسار حتى نزل بهم فحاصروهم ست ليال، ونزل تحريم الخمر حينئذ، و تحصنوا في الحصون، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقطع النخيل و التحريق فيها، فنادوه: أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد و تعيب من صنعه، فما بال قطع النخيل و تحريقها.

قال: و قد كان رهط من بنى عوف بن الخزرج منهم عبد الله بن أبي و وديعه و مالك و سويد و داعس قد بعثوا إلى بنى النضير أن اثبتوا و تمنعوا، فإننا لن نسلمكم، إن قوتلتم قاتلنا معكم و إن أخرجتم خرجنا معكم.

فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا، و قذف الله في قلوبهم الرعب، فسألوا رسول الله أن يجليهم و يكف عن دمائهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة.

وقال العوفي: عن ابن عباس، أعطى كل ثلاثة بعيرا يعتقبونه (و) و سقا (١).

رواه البيهقي.

و روى من طريق يعقوب بن محمد، عن الزهري، عن إبراهيم بن جعفر بن محمود بن محمد بن مسلمة، عن أبيه، عن جده، عن محمد بنر.

مسلمه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعثه إلى بني النضير وأمره أن يؤجلهم في الجلاء ثلاث ليال.

وروى البيهقي وغيره أنه كانت لهم ديون مؤجله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ضعوا وتعجلوا.

وفي صحته نظر. والله أعلم.

قال ابن إسحاق: فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف (١) بابه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به، فخرجوا إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام، فكان من أشرف من ذهب منهم إلى خيبر: سلام بن أبي الحقيق وكنانه بن الربيع بن أبي الحقيق وحيى بن أخطب، فلما نزلوها دان لهم أهلها.

فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث أنهم استقبلوا بالنساء والأبناء والأموال، معهم الدفوف والمزامير والقيان يعزفن خلفهم بزهاء وفخر، ما رؤى مثله لحي من الناس في زمانهم.

قال: وخلوا الأموال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يعني النخيل والمزارع، فكانت له خاصة يضعها حيث شاء، فقسمها على المهاجرين الأولين دون الأنصار، إلا أن سهل بن حنيف وأبا دجانة ذكرا فقرا فأعطاهما، وأضاف بعضهم إليهما الحارث بن الصّمة.

حكاه السهيلي.

قال ابن إسحاق: ولم يسلم من بني النضير إلا-رجلان وهما يامين بن عمير بن كعب ابن عم عمرو بن جحاش وأبو سعد بن وهب، فأحرزا أموالهما.

قال ابن إسحاق: وقد حدثني بعض آل يامين أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ب.

قال ليامين: ألم تر ما لقيت من ابن عمك و ما همّ به من شأني؟ فجعل يامين لرجل جعلاً على أن يقتل عمرو بن جحاش، فقتله لعنه الله.

قال ابن إسحاق: فأنزل الله فيهم سورة الحشر بكاملها، يذكر فيها ما أصابهم به من نعمته، و ما سلط عليهم به رسوله، و ما عمل به فيهم. إلى أن قال ابن كثير:

فأسرهم بالمحاصره بجنوده و نفسه الشريفه ست ليال، فذهب بهم الرعب كل مذهب حتى صانعوا و صالحوا على حقن دمائهم و أن يأخذوا من أموالهم ما استقلت به ركابهم، على أنهم لا يصحبون شيئاً من السلاح إهانه لهم و إحتقاراً، فجعلوا يخربون بيوتهم بأيديهم و أيدي المؤمنين، فاعتبروا يا أولى الأبصار.

إلى أن قال:

و قد روى البخارى و مسلم جميعاً عن قتبيته، عن الليث، عن نافع، عن ابن عمر، أن رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم حرّق نخل بنى النضير و قطع، و هى البويره، فأنزل الله: (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمه على أصولها فبإذن الله و ليخزي الفاسقين).

و عند البخارى من طريق جويريه بن أسماء، عن نافع، عن ابن عمر، أن رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم حرّق نخل بنى النضير و قطع، و هى البويره، و لها يقول حسان بن ثابت:

و هان على سراه بنى لؤي حريق بالبويره مستطير فأجابه أبو سفيان بن الحارث يقول:

أدام الله ذلك من صنيع و حرّق فى نواحيها السعير

ستعلم أيتنا منها بسترو تعلم أى أرضينا نضير قال ابن إسحاق: و قال كعب بن مالك يذكر إجلاء بنى النضير و قتل

كعب بن الأشرف فالله أعلم:

لقد خزيت بغدرتها الحبور (١) كذاك الدهر ذو صرف يدور

و ذلك أنهم كفروا برب عظيم أمره أمر كبير

و قد أتوا معا فهما و علما و جاءهم من الله النذير

نذير صادق أدى كتابا و آيات مبينه تنير

فقالوا ما أتيت بأمر صدق و أنت بمنكر منا جدير

فقال: بلى لقد أديت حقا يصدقني به الفهم الخبير

فمن يتبعه يهد لكل رشو من يكفر به يخز الكفور

فلما أشربوا غدرا و كفروا جدد بهم عن الحق النفور

أرى الله النبي برأى صدق و كان الله يحكم لا يجور

فأيده و سلطه عليهم و كان نصيره نعم النصير

فغودر منهم كعب صريعافذلت بعد مصرعه النصير

على الكفين ثم و قد علتة بأيدينا مشهه ذكور

بأمر محمد إذ دس ليلا إلى كعب أبا كعب يسير

فما كره فأنزله بمكرو محمود أخو ثقه جسور

فتلك بنو النصير بدار سوء أبارهم بما اجترموا المبير (٢)

غداه أتاها في الزحف رهوا (٣) رسول الله و هو بهم بصير

و غسان الحماه مؤازروه على الأعداء و هو لهم وزير

فقال السلم و يحكم فصدوا و خالف أمرهم كذب و زور

فذاقوا غبّ أمرهم و بالالكل ثلاثه منهم بعير

و أجلوا عامدين لقينقاع و غودر منهم نخل و دورا.

١- الحبور: جمع حبر، و هم علماء اليهود.

٢- أبارهم: أهلكتهم.

٣- رهوا: يسيرا سهلا.

و قد ذكر ابن إسحاق جوابها لسؤال اليهودي، فتر كناها قصدا.

قال ابن إسحاق: و كان مما قيل في بني النضير قول ابن لقيم العبسي، و يقال: قالها قيس بن بحر بن طريف الأشجعي:

أهلى فداء لامرىء غير هالك أحل اليهود بالحسى المرسم (١)

يقيلون في جمر العضاء و بدلوا أهيب عودا بالودى المكمم (٢)

فإن يك ظنى صادقا بمحمدتروا خيله بين الصلا و يرمم (٣)

يؤم بها عمرو بن بهته إنهم عدو و ما حى صديق كمحرم

عليهن أبطال مساعير في الوغى يهزون أطراف الوشيج المقوم (٤)

و كل رقيق الشفرتين مهنتورثن من أزمال عاد و جرهم

فمن مبلغ عنى قريشا رسالهفهل بعدهم فى المجد من متكرم

بأن أخاهم فاعلمن محمداتلبد الندى بين الحجون و زمزم

فدينوا له بالحق تجسم اموركهم و تسمو من الدنيا إلى كل معظم

نبى تلاقته من الله رحمهو لا تسألوه أمر غيب مرجم

فقد كان فى بدر لعمرى عسيرهلكم يا قريش و القلب الملمم

غداه أتى فى الخزر جيه عامدا إليكم مطيعا للعظيم المكرم

معانا بروح القدس ينكى عدوه رسولا من الرحمن حقا لم يتعلم

رسولا من الرحمن يتلو كتابه فلما أنار الحق لم يتعلم

أرى أمره يزداد فى كل موطن علوا لأمر حمه الله محكم ح.

١- الحسى: ما يحسى من الطعام. و المزنم: الرجل يكون فى القوم ليس منهم، يريد: أحلهم بأرض غربه فى غير عشائرههم، و انظر الروض الأنف ج ٢ ١٧٧.

٢- جمر: الأصل خمر. و ما اثبتته من ابن هشام، و العضاه: شجر، و اهيضب: مكان مرتفع. و الودى: صغار النخل، و المكمم: الذى خرج كمامه.

٣- الصلا: موضع، و يرموم جبل.

٤- الوشيح: شجر الرّماح.

قال ابن إسحاق: وقال علي بن أبي طالب، وقال ابن هشام: قالها رجل من المسلمين، و لم أر أحدا يعرفها لعلی.

عرفت و من يعتدل يعرف و ايقنت حقا و لم أصدف

عن الكلم المحكم اللاء من لدى الله ذى الرأفة الأرف

رسائل تدرس فى المؤمنین بهن اصطفى أحمد المصطفى

فأصبح أحمد فينا عزيزا عزيز المقامه و الموقف

فيا أيها الموعوده سفاهو لم يأت جورا و لم يعنف

ألستم تخافون أدنى العذاب و ما آمن الله كالأخوف

و أن تصرعوا تحت أسيافه كمصرع كعب أبى الأشرف

غداه رأى الله طغيانه و اعرض كالجمل الأجنف

فانزل جبريل فى قتله بوحي إلى عبده ملطف

فدس الرسول رسولا له بأبيض ذى هبه مرهف

فباتت عيون له معولات متى ينع كعب لها تذرّف

و قلن لاحمد ذرنا قليلا فإنا من التّوح لم نشف

فخلاهم ثم قال أظعنوا حورا على رغم الأنف

و أجلى النضير إلى غربهو كانوا بدار ذوى أخرف

إلى أذرع ردافا و هم على كل ذى ذمر أعجف و تركنا جوابها أيضا من سماال اليهودى قصدا.

ثم ذكر تعالى حكم الفى ء، و أنه حكم بأموال بنى النضير لرسول الله (صلى الله عليه و آله) و ملكها له، فوضعها رسول الله (صلى الله عليه و آله) حيث أراه الله تعالى.

كما ثبت فى الصحيحين، عن عمر بن الخطاب أنه قال: كانت أموال بنى النضير مما افاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل و لا ركاب، فكانت لرسول الله صلى الله عليه و آله وسلم خاصة، فكان يعزل نفقه أهله

سنه ثم يجعل ما بقى فى الكراع و السلاح عده فى سبيل الله، إلى أن قال:

قال الإمام أحمد: حدثنا عارم و عفان، قالا: حدثنا معتمر، سمعت أبا يقول: حدثنا أنس بن مالك، عن نبي الله صلى الله عليه و آله وسلم: أن الرجل كان يجعل له من ماله النخلات أو كما شاء الله، حتى فتحت عليه قريظه و النضير، قال:

فجعل يردّ بعد ذلك.

قال: و إن أهلى أمرونى أن أتى نبي الله صلى الله عليه و آله وسلم فأسأله الذى كان أهله أعطوه، أو بعضه. و كان نبي الله صلى الله عليه و آله وسلم أعطاه أم أيمن أو كما شاء الله.

قال: فسألت النبي صلى الله عليه و آله وسلم فأعطانيهن، فجاءت أم أيمن فجعلت الثوب فى عنقى و جعلت تقول: كلا و الله الذى لا إله إلا هو لا أعطيكنهن و قد أعطانيهن أو كما قالت، فقال النبي صلى الله عليه و آله وسلم: لك كذا و كذا. و تقول:

كلا و الله.

قال: و يقول لك كذا و كذا، و تقول: كلا و الله. قال: و يقول لك كذا و كذا، حتى أعطها حسبت أنه قال عشره أمثاله، أو قال قريبا من عشره أمثاله أو كما قال.

أخرجاه بنحوه من طرق عن معتمر به.

ثم ذكر ابن كثير و غيره:

قصة عمرو بن سعدى القرظى:

حين مر على ديار بنى النضير و قد صارت بعدها ليس بها داع و لا مجيب، و قد كانت بنو النضير أشرف من بنى قريظه، حتى حداه ذلك على الإسلام و أظهر صفه رسول الله (صلى الله عليه و آله) من التوراه.

قال الواقدى حدثنا إبراهيم بن جعفر، عن أبيه، قال: لما خرجت بنو النضير من المدينه أقبل عمرو بن سعدى فأطاف بمنازلهم، فرأى

خرابها و فكر، ثم رجع إلى بنى قريظه فوجدهم فى الكنيسه، فنفخ فى بوقهم؛ فاجتموا، فقال الزبير بن باطا: يا أبا سعيد أين كنت منذ اليوم لم تزل. و كان لا يفارق الكنيسه و كان يتأله فى اليهوديه. قال: رأيت اليوم عبرا قد عبرنا بها، رأيت منازل إخواننا خاليه بعد ذلك العز و الجلد، و الشرف الفاضل، و العقل البارع، قد تركوا أموالهم، و ملكها غيرهم، و خرجوا خروج ذل، و لا و التوراه ما سأل هذا على قوم قط لله بهم حاجه، و قد أوقع قبل ذلك بابن الأشرف ذى عزهم ثم بيته فى بيته آمناء، و أوقع بابن سنيه سيدهم، و أوقع بنى قينقاع فأجلاهم و هم أهل جد يهود، و كانوا أهل عده و سلاح و نجده، فحصرهم فلم يخرج إنسان منهم رأسه حتى سباهم. و كلم فيهم فتركهم على أن أجلاهم من يثرب، يا قوم قد رأيتم ما رأيتم فأطيعونى و تعالوا تتبع محمدا، و الله إنكم لتعلمون انه نبي قد بشرنا به و بأمره ابن الهيثبان أبو عمير و ابن حراش، و هما أعلم يهود جاءنا يتوكفان قدومه و أمرانا بإتباعه، جاءنا من بيت المقدس و أمرانا أن نقرئه منهما السلام، ثم ماتا على دينهما و دفناهما بحرّتنا هذه.

فأسكت القوم فلم يتكلم منهم متكلم.

ثم أعاد هذا الكلام و نحوه، و خوّفهم بالحرب و السباء و الجلاء، فقال الزبير بن باطا: قد و التوراه قرأت صفته فى كتاب باطا، التوراه التى نزلت على موسى، ليس فى المثانى الذى أحدثنا.

قال: فقال له كعب بن أسد: ما يمنعك يا أبا عبد الرحمان من إتباعه؟ قال: أنت يا كعب، قال كعب: فلم؟ و التوراه ما حلت بينك و بينه قط.

قال الزبير: بل أنت صاحب عهدنا و عقدنا فإن اتبعته اتبعناه و إن أبيت أبينا.

فأقبل عمرو بن سعدى على كعب، فذكر ما تقاولا فى ذلك، الى أن

قال عمرو: ما عندي في أمره إلا ما قلت. ما تطيب نفسي أن أصير تابعا! رواه البيهقي (١).ا.

١- السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٤٥-١٥٦ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٧٤-٨١ و النصوص المتقدمه موجوده- كلا- أو بعضا- في المصادر التاليه: الثقات ج ١ ص ٢٤٠-٢٤٣ و تاريخ يعقوبى ج ٢ ص ٤٩ و الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٥٧ و فتوح البلدان قسم ١ ص ١٨-٢٢ و الوفاء ص ٦٨٩-٢١٣ و التبيه و الاشراف ص ٢١٣ و البدء و التاريخ ج ٤ ص ٢١٢-٢١٣ و دلائل النبوه لأبى نعيم ص ٤٢٢-٤٣١ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٠-٤٦٣ و مناقب آل أبى طالب ج ١ ص ١٩٦-١٩٧ و مجمع البيان ج ٩ ص ٢٥٧-٢٦٢ و البحار ج ٢٠ ص ١٥٧-١٧٣ و تفسير القمى ج ٢ ص ٣٥٩ و ٣٦٠ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ١٩٧ و ١٩٨ و ١١٩-١٢٣ و الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٧٣ و ١٧٤ و حياه الصحابه ج ٢ ص ٣٩٧ و ٣٩٨ و السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ١٩٩-٢١٢ و بهجه المحافل ج ١ ص ٢١٣ و شرحه بهامشه، نفس الصفحات و المصنف للصنعانى ج ٥ ص ٣٥٧-٣٦١ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٠-٢٦٣ و أنساب الأشراف قسم حياه النبى (صلى الله عليه و آله) ج ١ ص ٣٣٩ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٥٥٠-٥٥٥ ط دار المعارف و لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٤ فما بعدها، مدارك التنزيل بهامشه، نفس الجزء و الصفحه، و تفسير جامع البيان ج ٢٨ ص ١٩ فما بعدها، و غرائب القرآن بهامشه ج ٢٨ ص ٢٩ فما بعدها و الجامع لاحكام القرآن ج ١٨ ص ٢ فما بعدها و فتح القدير ج ٥ ص ١٩٥ فما بعدها و أحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ٤٢٨ فما بعدها و أسباب النزول ص ٢٣٦-٢٣٩ و أحكام القرآن لابن العربى ج ٤ ص ١٧٦٤ فما بعدها و التفسير الكبير ج ٢٩ ص ٢٧٨ فما بعدها و زاد المعاد ج ٢ ص ١١٠ و ٧١-٧٢، و كذلك فى ج ٤ ص ٤٩٨ فما بعدها و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ٢، قسم ٢ ص ٢٨ و جوامع الجامع ص ٤٨٦-٤٨٨ و تفسير الصافى ج ٥ ص ١٥٣ فما بعدها و تفسير البرهان ج ٤ ص ٣١٣ و الدر المنثور ج ٦ ص ١٨٧-٢٠٢ و حبيب السير ج ١ ص ٣٥٥-٣٥٦ و مغازى الواقدى ج ١ ص ٣٦٥-٣٨٣ و السيره الحليه ج ٢ ص ٢٦٣-٢٧٠ و تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ ص ٣٣٠-٣٤٤ و عمدته القارى ج ١٢ ص ٤٣ و ج ١٧ ص ١٢٥ فما بعدها.

و النضير إسم جبل نزلوا به، فسموا باسمه (١).

القتال .. فى بنى النضير:

يقول اليعقوبى، بعد أن ذكر إنذار النبى صلى الله عليه و آله وسلم إياهم بالخروج من ديارهم و أموالهم؛ فلم يمتثلوا استنادا لوعود ابن أبى و المنافقين:

(.. فسار إليهم رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم بعد العصر، فقاتلهم، فقتل منهم جماعة، و خذلهم عبد الله بن أبى و أصحابه، فلما رأوا: أنه لا-قوه لهم على حرب رسول الله طلبوا الصلح؛ فصالحهم على أن يخرجوا من بلادهم و لهم ما حملت الإبل، من خرتى (٢) متاعهم؛ لا يخرجون معهم بذهب، و لا فضه، و لا سلاح) (٣).

و قال ابن الجوزى: (فقاموا على حصنهم يضربون بالنبل و الحجارة) (٤).

و عند البعض: أنه لما جاء يستعينهم: (هموا بالغدر به، و خرجوا يجمعون الرجال و السلاح) (٥).

و سيأتى- حين الحديث عن خراب بيوتهم- ما يدل على ذلك أيضا ..

و بعد أن ذكر الواقدى قدوم النبى (صلى الله عليه و آله) لحصارهم، قال: ٢.

١- تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٤٩.

٢- الخرتى: أراد أ المتاع، راجع: لسان العرب ج ٢ ص ١٤٥.

٣- تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٤٩.

٤- الوفاء ص ٦٨٩ و راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦١ و راجع: سيره مغلطى ص ٥٣ و راجع البحار ج ٢٠ ص ١٦٥ عن الكازرونى و غيره و زاد المعاد ج ٢ ص ٧١ و مغازى الواقدى ج ١ ص ٣٧١ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٥.

٥- البدء و التاريخ ج ٤ ص ٢١٢.

(.. و جعلوا يرمون ذلك اليوم بالنبل و الحجارة، حتى أظلموا، و جعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم يقدمون من كان تخلف في حاجته، حتى تماموا عند صلاة العشاء؛ فلما صلى رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم العشاء رجع إلى بيته في عشرة من أصحابه، عليه الدرع، و هو على فرس، و قد استعمل عليا على العسكر، و يقال: أبا بكر.

و بات المسلمون يحاصرونهم، يكبرون حتى أصبحوا.

ثم أذن بلال بالمدينة؛ فغدا رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم بأصحابه الذين كانوا معه، فصلى بالناس في فضاء بني خطمه، و استخلف على المدينة ابن ام مكتوم (١).

و سيأتي عن قريب: أن بعض النصوص تقول: إنه صلى الله عليه و آله وسلم حصرهم، و طلب منهم: أن يعطوه عهدا؛ فأبوا؛ فقاتلهم يومهم ذاك، ثم غدا على بني قريظة، و دعاهم إلى أن يعاهدوه؛ ففعلوا، فغدا على بني النضير بالكتائب فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء.

و إنما قاتلهم لأنه كان بينهم و بين رسول الله (صلى الله عليه و آله) عهد و مده، فنقضوا عهدهم (٢).

قال السهمودي بعد ذكره روايه ابن إسحاق:

(و أضح منه ما رواه ابن مردويه، بسند صحيح: أنهم أجمعوا على الغدر، فبعثوا إلى النبي صلى الله عليه و آله وسلم: أخرج إلينا في ثلاثه من أصحابك، و يلقاك ثلاثه من علمائنا، فان آمنوا بك اتبعناك.

فاشتمل اليهود الثلاثه على الخناجر، فأرسلت إمراه من بني النضير.

١- مغازي الواقدي ج ١ ص ٣٧١ و راجع: السيره الحلييه ج ٢ ص ٢٦٥.

٢- تفسير القمي ج ٢ ص ٣٥٩. و مصادر كثيره أخرى ستأتي في الفصل الثاني حين الكلام حول تاريخ غزوه بني النضير.

إلى أخ لها من الأنصار مسلم، تخبره بأمر بنى النضير؛ فأخبر أخوها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأمر بنى النضير قبل أن يصل إليهم، فرجع و صبحهم بالكتائب؛ فحصرهم يومه، ثم غدا على بنى قريظة، فحاصرهم فعاهدوه؛ فانصرف عنهم إلى بنى النضير، فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء إلخ (١).

نصوص أخرى حول قضية بنى النضير:

و فى بعض النصوص: أنه (صلى الله عليه وآله) أجلهم عشرا- أو ثلاث ليال- فمن روى بعد ذلك ضربت عنقه، فمكثوا أياما يتجهزون، و أرسلوا إلى ظهر لهم بذى الجدر، و تكاروا من أشجع ابلا، فأرسل إليهم ابن أبى: أن معه الفين من قومه، و غيرهم من العرب، يدخلون معهم حصنهم، و يموتون عن آخرهم، و تمدهم قريظة، و حلفاؤهم من غطفان، فطمع حبي بن أخطب إلخ ... (٢)

و تذكر بعض النصوص: أنهم حين حاصرهم (صلى الله عليه وآله) و قطع نخلمهم، قالوا: نحن نخرج من بلادك.

فقال (صلى الله عليه وآله): لا أقبله اليوم. و لكن اخرجوا منها، ٧.

١- وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٩٨ و حياه الصحابه ج ١ ص ٢٩٦-٢٩٧ و فتح البارى ج ٧ ص ٢٥٥ و قال الكاندهلوى: و أخرجه أيضا أبو داود من طريق عبد الرزاق عن معمر بطوله مع زياده، و عبد الرزاق، و ابن المنذر و البيهقى فى الدلائل كما فى بذل المجهود ج ٤ ص ١٤٢ عن الدر المنثور. و عن عبد بن حميد فى تفسيره و راجع: شرح بهجه المحافل ج ١ ص ٢١٤ و المصنف ج ٥ ص ٣٥٩ و راجع: تفسير لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٤ و أسباب النزول ص ٢٣٧ و راجع: الدر المنثور ج ٦ ص ١٨٩ عن عبد الرزاق، و عبد بن حميد، و أبى داود، و ابن المنذر و البيهقى فى الدلائل و راجع: السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٤-٢٦٣ و راجع: تفسير القمى ج ٢ ص ٣٥٩.

٢- راجع على سبيل المثال: طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٥٧.

و لكم دماؤكم، و ما حملت الإبل، إلا الحلقه، فنزلت يهود على ذلك.

و كان حاصرهم خمسة عشر يوما .. إلى أن قال: و تحملوا على ستمائه بعير (١).

و نلاحظ هنا: إختلاف النصوص فى مده الحصار، من خمسة عشر يوما حسبما أشير إليه آنفا .. إلى:

ست ليال (٢)

و قيل خمسا و عشرين (٣) أو ثلاثا و عشرين و فيها نزلت صلاه الخوف (٤).

١- الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٥٨ و عمدہ القارى ج ١٧ ص ١٢٦ و حول حصرهم خمسة عشر يوما راجع: الوفاء ص ٦٩٠ و التنبيه و الاشراف ص ٢١٣ و دلائل النبوه لأبى نعيم ص ٤٢٩ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦١ و سيره مغلطى ص ٥٣ و البحار ج ٢٠ ص ١٦٥-١٦٦ عن الكازرونى و غيره، و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦١ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٥٥٣ و انساب الأشراف (قسم حياه النبى (صلى الله عليه و آله)) ص ٣٣٩.

٢- تاريخ ابن الوردى ج ١ ص ٥٩ و البدء و التاريخ ج ٤ ص ٢١٣ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦١ عن سيره ابن هشام، و عن الوفاء، و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ١٩٨ و وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٩٧ و السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢٢٠ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦١ و زاد المعاد ج ٢ ص ١١٠ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ٢ قسم ٢ ص ٢٨ و حبيب السير ج ١ ص ٣٥٥ و المغازى للواقدى ج ١ ص ٣٩٤ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٥ و تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٣٢.

٣- عمدہ القارى ج ١٧ ص ١٢٦ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٥

٤- عمدہ القارى ج ١٧ ص ١٢٦ و الجامع للقيروانى ص ٢٧٨ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٥.

أو نيفا و عشرين (١)

أو قريبا من عشرين (٢)

أو عشرين (٣)

أو إحدى و عشرين (٤)

و من جهة أخرى روى عن بعض أهل العلم: أن بنى النضير قد ألقوا الحجر على رسول الله (صلى الله عليه و آله)، فأخذه جبرئيل (٥).

و فى نص آخر: أنه لما أشرف حامل الصخره بها أخبر النبى (صلى الله عليه و آله) جبرائيل بالأمر (٦).

و كان الذين ذهبوا مع النبى (صلى الله عليه و آله) إلى بنى النضير، لا يبلغون عشره، و هم: أبو بكر، و عمر، و على، و طلحه، و الزبير، و سعد بن معاذ، و أسيد بن حضير، و سعد بن عباده (٧).

(و فى روايه: لما رأوا قله أصحابه صلى الله عليه و آله وسلم قالوا: نقتله، و نأخذ .٠)

١- مناقب آل أبى طالب ج ١ ص ١٩٧.

٢- السيره النبويه لدحلان ج ٢ ص ٢٦١.

٣- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٥.

٤- البحار ج ٢٠ ص ١٦٦ عن الكازرونى و غيره و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٢ و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٤ و بهجه المحافل ج ١ ص ٢١٤ و الكشاف ج ٤ ص ٤٩٨ و لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٤ و مدارك التنزيل بهامش لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٤.

٥- دلائل النبوه لأبى نعيم ص ٤٢٣.

٦- دلائل النبوه لأبى نعيم ص ٤٢٥ و راجع: مغازى الواقدى ج ١ ص ٣٦٥.

٧- دلائل النبوه لأبى نعيم ص ٤٢٥ و المغازى ج ١ ص ٣٦٤ و عمدته القارى ج ١٧ ص ١٢٥ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٠.

أصحابه أسارى إلى مكة؛ فبيعهم من قريش) (١).

(و لزم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدرع فبات فيه) (٢).

(و كان سعد بن عباده يحمل التمر إلى المسلمين) (٣).

و لم يغنهم أحد، و لم يقدر ابن أبي أن يصنع شيئاً، فجهدهم الحصار، و ضاقت عليهم الأحوال؛ فأرسلوا إلى النبي (صلى الله عليه وآله) بقبولهم الجلاء (٤).

و بعد حصارهم، و قطع نخلهم (قالوا: يا محمد نخرج من بلادك، و اعطنا مالنا، فقال: لا، و لكن تخرجون و لكم ما حملت الإبل، فلم يقبلوا ذلك، فبقوا أياماً ثم قالوا: نخرج و لنا ما حملت الإبل، فقال: لا و لكن تخرجون و لا يحمل أحد منكم شيئاً، فمن وجدنا معه شيئاً من ذلك قتلناه؛ فخرجوا على ذلك) (٥).

و كان منهم جماعه من أولاد الأنصار، لأن المرأة من الأنصار كان إذا لم يعيش لها ولد تجعل على نفسها: إن عاش لها ولد تهوده، فلما أجليت بنو النضير، قال آباء أولئك: لا ندع أبناءنا، و أنزل الله: لا إكراه في الدين، و هى مخصوصه بهؤلاء الذين تهودوا قبل الإسلام، و إلا .. فإكراهه.

١- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٣.

٢- مغازى الواقدي ج ١ ص ٣٧٢.

٣- مغازى الواقدي ج ١ ص ٣٧٢ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٥.

٤- راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦١.

٥- تفسير القمى ج ٢ ص ٣٥٩ و البحار ج ٢ ص ١٦٩-١٧٠ عنه و راجع حول عدم قبول النبي (صلى الله عليه وآله) منهم: لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٤-٢٤٥ و مدارك التنزيل بهامشه نفس الجلد و الصفحه. و غرائب القرآن، مطبوع بهامش جامع البيان ج ٢٨ ص ٣٣-٣٨ و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ١١ و تفسير الصافى ج ٥ ص ١٥٥.

الكفار الحربيين سائغ إلخ ... (١).

و قد ذكر البعض: أن ابن يامين قد جعل لرجل عشره دنانير، ليقتل عمرو بن جحاش (٢).

و ذكر البعض: أن المسلمين قد مشوا إلى بنى النضير على أرجلهم؛ لأنهم كانوا على ميلين من المدينة، و كان رسول الله (صلى الله عليه و آله) على حمار فحسب (٣) أو على جمل (٤).

و كانت منازلهم بناحية الفرع، و ما يقربها، بقرية يقال لها: زهره (٥).

ليخبرن بما همتم به:

و تذكر النصوص: انهم حين ائتمروا بالقاء الصخره عليه (صلى الله عليه و آله) قال لهم: سلام بن مشكم: لا تفعلوا، و الله، ليخبرن بما..

١- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٧ و الجامع لأحكام القرآن ج ٣ ص ٢٨٠ عن أبي داود و لباب التأويل ج ١ ص ١٨٥ و فتح القدير ج ٥ ص ٢٧٥ عن أبي داود و النسائي و ابن جرير و ابن المنذر و ابن أبي حاتم، و ابن حبان، و ابن مردويه و البيهقي في السنن و الضياء في المختاره و الدر المنثور ج ١ ص ٣٢٨ عنهم و عن ابن منده في غرائب شعبه و عن النحاس في ناسخه و عبد بن حميد و سعيد بن منصور.

٢- مغازى الواقدي ج ١ ص ٣٧٤.

٣- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦١ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٢ و راجع ص ٢٦١ و ذكر المسافه في فتح القدير ج ٥ ص ١٩٧. و راجع: الجامع لاحكام القرآن ج ١٨ ص ١١.

٤- غرائب القرآن مطبوع بهامش جامع البيان ج ٢٨ ص ٣٨ و راجع: الجامع لاحكام القرآن ج ١٨ ص ١١.

٥- و سيأتي توضيح ذلك مع مصادر أخرى إن شاء الله تعالى ..

هممتم به، و إنه لنقض العهد الذى بيننا و بينه (١). زاد الواقدى: ألا فو الله، لو فعلتم الذى تريدون، ليقومن بهذا الدين منهم قائم إلى يوم القيامة، يستأصل اليهود، و يظهر دينه (٢).

و فى نص آخر: إنه (صلى الله عليه و آله) حين قام من بين أصحابه، و ابطأ، و لم يرجع قال: كنانه بن سوريا: جاءه و الله الخبر الذى هممتم به (٣).

و فى نص آخر: أنه قال لهم: هل تدرون لم قام محمد؟!!

قالوا: لا و الله، ما ندرى، و ما تدرى أنت!

قال: بلى و التواره إنى لأدرى، قد أخبر محمد ما هممتم به من الغدر، فلا تخذعوا أنفسكم، و الله، إنه لرسول الله، و ما قام إلا لأنه أخبر بما هممتم به، و إنه لآخر الأنبياء، كنتم تطمعون أن يكون من بنى هارون، فجعله الله حيث شاء.

و ان كتبنا، الذى درسنا فى التوراه التى لم تغير و لم تبدل: أن مولده بمكه، و دار هجرته يثرب، و صفته بعينها لا تخالف حرفا مما فى كتابنا، و ما يأتىكم به أولى من محاربتة إياكم، و لكأنى أنظر اليكم ظاعنين، يتضاغى صبيانكم، قد تركتم دوركم خلوفا و أموالكم، و إنما هى شرفكم، فأطيعونى فى خصلتين، و الثالثة لا خير فيها.١.

١- الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٥٧ و دلائل النبوه لأبى نعيم ص ٤٢٥ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٠ و زاد المعاد ج ٢ ص ٧١ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٣ و عمدته القارى ج ١٧ ص ١٢٥.

٢- مغازى الواقدى ج ١ ص ٣٦٥.

٣- الثقات ج ١ ص ٢٤١ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٥٥٢ و المغازى للواقدى ج ١ ص ٣٦٥ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦١ و زاد: من الغدر، فلا تخذعوا انفسكم و الله، إنه لرسول الله، فأبوا أن يقبلوا.

قالوا: ما هما؟

قال: تسلمون و تدخلون مع محمد، فتأمنون على أموالكم، و أولادكم، و تكونون من عليه أصحابه، و تبقى بأيديكم أموالكم، و لا تخرجون من دياركم.

قالوا: لا نفارق التواره، و عهد موسى.

قال: فإنه مرسل إليكم: أخرجوا من بلدى، فقولوا: نعم، فإنه لا يستحل لكم دما و لا مالا، و تبقى أموالكم، إن شئتم بعتم، و إن شئتم أمسكنم.

قالوا: أما هذا فنعم.

قال: أما و الله إن الأخرى خيرهن لى، قال: اما و الله، لو لا أنى أفضحكم لا سلمت، و لكن و الله، لا تعير شعناء باسلامى أبدا، حتى يصيبنى ما أصابكم؛ و ابنته شعناء التى كان حسان ينسب بها، فقال:

سلام بن مشكم: قد كنت لما صنعتكم كارها إلخ (١).

ثم أرسل اليهم النبى (صلى الله عليه و آله) محمد بن مسلمه و ذكرهم بما كانوا ذكروه له من علامات النبى الموعود، و المنطقه على رسول الله (صلى الله عليه و آله).

و تستمر الروايه إلى أن تذكر رفض حيبى بن أخطب مغادره بلادهم، فقال له سلام بن مشكم:

لا تفعل يا حيبى، فو الله، إنك لتعلم و نعلم معك: أنه رسول الله:

و أن صفته عندنا، و إن لم نتبعه، حسدناه حين خرجت النبوه من بنى ٣.

١- مغازى الواقدى ج ١ ص ٣٦٥-٣٦٦ و دلائل النبوه لأبى نعيم ص ٤٢٦-٤٢٧ و يوجد ملخص عنه فى اعلام الورى ص ٨٨-

٨٩ و البحار ج ٢٠ ص ١٦٣-١٦٩ و تفسير القمى ج ٢ ص ٣٥٩ و تفسير الصافى ج ٥ ص ١٥٣.

هارون؛ فتعال؛ فلنقبل ما أعطانا من الأمن، و نخرج من بلاده فقد عرفت أنك خالفتنى فى الغدر به، فاذا كان آوان الثمر جثنا، أو جاءه من جاء منا إلى ثمره؛ فباعها و صنع ما بدا له، ثم انصرف إلينا؛ فكأننا لم نخرج من بلادنا إذا كانت أموالنا بأيدينا إلخ .. (١)

و فى نص آخر: (فجاء عمرو بن جحاش إلى رضى عظيمه، ليطرحها عليه، فأمسك الله يده، و جاء فأخبره، فخرج رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم راجعا إلى المدينه.

ثم دعا عليا، و قال: لا تبرح مقامك؛ فمن خرج عليك من أصحابى، فسألك عنى، فقل: توجه إلى المدينه، ففعل ذلك على، حتى انصبوا إليه، ثم تبعوه و لحقوا به) (٢).

كانت تلك طائفه من النصوص الوارده حول قضيه بنى النضير، و قد حان الآن وقت تسجيل ما يفيد و يجدى فى الإستفاده منها، أو فى التأييد، أو التفنيذ، لأى منها، فنقول.٤.

١- دلائل النبوه لأبى نعيم ص ٤٢٨ - ٤٢٩.

٢- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٠ و راجع البحار ج ٢٠ ص ١٦٤ عن الكازرونى و غيره و شرح بهجه المحافل ج ١ ص ٢١٤.

ص: ٣٣

الفصل الثاني: قبل أن تدق الطبول

أشاره

بدایه:

قد تقدمت فى الفصل السابق طائفه من النصوص التى تتحدث عن غزوه بنى النضير، أو عن بعض ما يتصل بها، و سنجد فيما يلى من مطالب و فصول كثيرا من النصوص التى اقتضى البحث إيرادها، لسبب أو لآخر ..

و حيث إن لنا الكثير من الوقفات و التساؤلات، بل و تراودنا شكوك قويه حول عدد منها، فإننا نشير إلى شىء من ذلك ضمن البحوث التى أوردناها فى هذا الفصل و فيما يليه من فصول، فنقول ..

و من الله نستمد العون، و منه نطلب التوفيق و التسديد.

إن أول ما يطالعنا فى نصوص قضيه بنى النضير هو:

الإختلافات الفاحشه:

إن هناك الكثير من الموارد التى اختلفت فيها النصوص و تناقضت بصوره فاحشه و ظاهره.

و ما دام: أن المهم هو الإلماح إلى أن الواقع لا يمكن أن يكون هو كل ما تضمنته تلك الروايات و المنقولات، و إنما هو واحد، و واحد فقط ..

فإننا نكل أمر تقصى هذه الإختلافات إلى القارىء نفسه، إن وجد ضروره إلى ذلك.

و لأجل ذلك، فنحن نصرّف عنان الكلام إلى التركيز على مفاصل أساسيه، نجد أنها بحاجه لمزيد من البحث، و الجهد. و إن كنا قد اكتفينا فيها بما يتناسب في حجمه و مستواه مع سائر بحوث الكتاب و فصوله.

و أول ما نبدأ الحديث عنه هنا هو:

تاريخ غزوه بنى النضير:

قالوا: إن غزوه بنى النضير كانت سنه أربع، في شهر ربيع الأول منها، خرج إليهم عشيه الجمعه لتسع مضين من ربيع الأول، ثم راح إليهم عشيه الثلاثاء.

و قد جعلها ابن إسحاق بعد سريه بئر معونه. و هذا مذکور في معظم المصادر فلا حاجه إلى تعداد مصادره ..

و لكن قال الزهري، و كذا روى عن عروه و عن عائشه: إنها كانت بعد غزوه بدر بسته أشهر (١). ٢

١- راجع: دلائل النبوه للبيهقي ج ٢ ص ٤٤٢-٤٤٣-٤٤٤ و ليراجع في قول الزهري وحده، أو منضمًا إلى غيره المصادر التاليه:
الروض الأنف ج ٣ ص ٣٥٠ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١٠٤ و تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٥٩ و أحكام القرآن لابن العربي ج ٤ ص ١٧٦٥ و سيره مغلطاي ص ٥٣ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٠ و الجامع للقيرواني ص ٢٧٨-٢٧٩ و الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٥٧ و تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٣٢-٣٣٤ و الأموال ص ١٥ و وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٩٧ و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٣٦ و صحيح البخاري ج ٣ ص ١٠ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ١١٩-١٩٧ و الدر المنثور ج ٦ ص ١٨٧ عن البيهقي في الدلائل، و عن ابن مردويه، و عن الحاكم و صححه. و فتح الباري ج ٧ ص ٢٥٣ و ٢٥٥ و ٢٥٦ و مجمع البيان ج ٩ ص ٢٥٨ و البحار ج ٢٠ ص ١٦٠-١٦٢ عنه و زاد المعاد ج ٢

و هو ما جرى عليه البخارى، و ذهب إليه النووى و غيره (١).

أما نحن فنقول:

إن هذا هو الصحيح، و ذلك للأمر التالى:

١- إنهم يقولون: إن أبا سلمه بن عبد الأسد قد استفاد من أرض بنى النضير (٢) و من المعلوم: أن أبا سلمه قد مات قبل شهر ربيع الأول سنة أربع، و قبل بئر معونه.

و قال ابن حبان؛ بعد ذكره غزوه بنى النضير مباشرة: (ثم رجع رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم إلى المدينة، ثم بعث رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم أبا سلمه بن عبد الأسد إلى ماء لبنى أسد إلخ .. (٣)).

- ١- راجع: بهجه المحافل ج ١ ص ٢٢٣-٢١٣ و فتح القدير ج ٥ ص ٢٠٥ و راجع: السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٣ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٠ و تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٥٩ و راجع: مرآه الجنان ج ١ ص ٩ و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٣٦ و جوامع الجامع ص ٤٤٨. و فتح البارى ج ٧ ص ٢٥٥ حيث استغرب من السهيلي ترجيحه قول الزهرى و راجع أيضا: وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٩٧ و صحيح البخارى ج ٣ ص ١٠ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ١٢٢-١٩٧.
- ٢- الطبقات الكبرى ج ١ ص ٥٨ و المغازى للواقدي ج ١ ص ٣٨٠. و قالوا: إنه (صلى الله عليه و آله) أعطاه أرضا تسمى (بويله)، و وفاء الوفاء ج ٤ ص ١١٥٧ و راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٣ و راجع: السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٩.
- ٣- الثقات ج ١ ص ٢٤٣.

٢- إنهم يقولون: إن الحارث بن الصمه قد استفاد هو الآخر من أراضي بني النضير (١).

مع أنهم يدعون: أن الحارث هذا قد قتل في بئر معونه، فكيف تكون غزوه بني النضير بعدها ..

هذا .. بالإضافة إلى أننا قد قدمنا: أن تاريخ سريه بئر معونه كان قبل السنه الرابعه، فراجع ما ذكرناه هناك.

و جعل قتله في بئر معونه دليلا على ضعف هذا الخبر (٢).

ليس بأولى من العكس، أى جعل استفادته من أراضي بني النضير دليلا على عدم صحه قتله في بئر معونه. و لا أقل من أنه يدل على تقدم غزوه بني النضير على تلك الغزوه التي يقال: إنه قد قتل فيها. و يتأكد ذلك إذا عرفنا أن أحدهما ليس ناظرا إلى الآخر. مع ملاحظه:

أنه لا داعى للجعل و الوضع فى أى من الموردين، بالنسبه إلى هذا الرجل بخصوصه.

تذكير بما سبق:

و لنا هنا ملاحظه و هى: أن ابن التين قد قوّى أن تكون غزوه بني ٩.

١- مجمع البيان ج ٩ ص ٢٦٠ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٥١ عن المدارك، و عن معالم التنزيل و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٩ و لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٦ و جوامع الجامع ص ٤٨٧ و التفسير الكبير ج ٢٩ ص ٢٨٥ و الكشاف ج ٤ ص ٥٠٥ و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ١١ و راجع ص ١٤-٢٤ و أحكام القرآن لابن العربى ج ٤ ص ١٧٧١-١٧٧٢ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٢ و الروض الأنف ج ٣ ص ٢٥١ عن غير ابن إسحاق، و بهجه المحافل ج ١ ص ٢١٦ و مناقب آل أبى طالب ج ١ ص ١٩٧ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٩.

٢- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٩.

النضير بعد سريه بئر معونه، و ذلك إستنادا إلى دليل لا يصح، و قد ذكرناه مع جوابه فى سريه بئر معونه فى الجزء السابق من هذا الكتاب، فليراجع هناك.

٣- إنه لا شك فى كون غزوه بنى النضير قد كانت قبل حرب الخندق بثمانيه أشهر فى أقل الأقوال.

و قد قوينا: أن تكون الخندق قد حصلت فى السنه الرابعه من الهجره و ليس فى السنه الخامسه منها (١). فتكون غزوه بنى النضير قبلها ..

بل إن ابن إسحاق، الذى ذكر: أن إجلاء بنى النضير قد كان بعد أحد أى فى السنه الرابعه .. قد ذكر: ان فتح قريظه كان مرجعه (صلى الله عليه و آله) من الأحزاب (أى الخندق)، و بينهما سنتان (٢).

فاذا كان بينهما سنتان (و إذا كانت قريظه التى هى بعد الخندق مباشره) فى السنه الرابعه فلا شك فى كون غزوه بنى النضير قد حصلت فى السنه الثانيه، بعد بدر مباشره، لا بعد غزوه أحد.

٤- إن بعض النصوص تذكر: ان سبب غزوه بنى النضير هو: أن كفار قريش كتبوا- بعد بدر- إلى اليهود يهددونهم، و يأمرؤنهم بقتال رسول الله (صلى الله عليه و آله)؛ فأجمع حينئذ بنو النضير على الغدر، و أرسلوا إلى النبى (صلى الله عليه و آله): أن اخرج إلينا فى ثلاثين من أصحابك.

ثم تذكر الروايه كيف: أن النبى (صلى الله عليه و آله) غدا عليهم ١.

١- راجع كتابنا: حديث الإفك ص ٩٦-١٠٦ و الجزء السادس من هذا الكتاب حين الحديث عن تحرر سلمان المحمدي (الفارسي) من الرق.

٢- مجمع البيان ج ٩ ص ٢٥٨ و البحار ج ٢٠ ص ١٦٠ عنه و راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٢ و لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٥ و راجع: الجامع لأحكام القرآن ج ٢١٨ ص ٣٦ و راجع أيضا: تاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ١٢١.

بالكثائب فحصرهم، و طلب منهم العهد، فقاتلهم يومه ذاك ثم تركهم و غدا إلى بنى قريظه، و دعاهم إلى أن يعاهدوه ففعلوا؛ فانصرف عنهم إلى بنى النضير بالكثائب، فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء (١).

و عند العسقلاني: ان هذا أقوى مما ذكره ابن إسحاق من أن سبب غزوه بنى النضير هو طلبه (صلى الله عليه و آله) منهم المساعدة في ديه العامريين (٢).

٥- إن عددا من النصوص يذكر: أن كعب بن الأشرف كان لا يزال حيا إلى حين غزوه بنى النضير، و أنه قد قتل حينها، أو بعدها ..

و من المعلوم: أن قتل كعب بن الأشرف قد كان على رأس خمسه و عشرين شهرا من الهجره، و معنى ذلك هو صحه ما ذكر من أن هذه الغزوه قد كانت بعد ستة أشهر من بدر.

و نذكر من الشواهد على دور كعب فى هذه الغزوه ما يلى:

ألف: إن بعض النصوص تقول: إنه لما جاء النبى (صلى الله عليه و آله) إلى بنى النضير يستسلفهم فى ديه العامريين قصد أولا كعب بن الأشرف، فلما دخل عليه قال كعب: مرحبا يا أبا القاسم و أهلا. و قام كأنه ٥.

١- راجع: الدر المنثور ج ٦ ص ١٨٩ عن عبد الرزاق، و عبد بن حميد، و ابن المنذر و البيهقى، و ابى داود و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٣ و السيره الحلييه ج ٢ ص ٢٦٣، و المصنف للصنعانى ج ٥ ص ٣٦٠ و سنن أبى داود ج ٣ ص ١٥٦-١٥٧ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٢ ص ٤٤٥-٤٤٦ و فتح البارى ج ٧ ص ٢٥٥ عن ابن مردويه، و عبد بن حميد فى تفسيره عن عبد الرزاق و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ١٢٠ و تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٣١ و وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٩٨ و حياه الصحابه ج ١ ص ٣٩٧ و لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٤ و مدارك التنزيل بهامشه نفس الصفحه و أسباب النزول ص ٢٣٦.

٢- فتح البارى ج ٧ ص ٢٥٥.

يصنع له الطعام، و حدث نفسه بأن يقتل رسول الله، و يتبع أصحابه، فنزل جبرئيل إلى النبي (صلى الله عليه و آله) فأخبره (١).

ب: إن كعب بن الأشرف ذهب إلى مكة في أربعين رجلا، فاجتمع بأبي سفيان، و كان في أربعين رجلا أيضا، و تعاهدا بين الأستار و الكعبة، فنزل جبرئيل بسوره الحشر؛ فبعث النبي (صلى الله عليه و آله) محمد بن مسلمة بقتله؛ فقتله في الليل ثم قصد إليهم، و عمد على حصارهم، فضرب قبتة في بني خطمه (٢).

ج: و لكن ذكر الشيخ المفيد (رحمه الله) و غيره: أن قتل كعب بن الأشرف قد كان حين قتل أمير المؤمنين (عليه السلام) للعشره، الذين خرجوا يلتمسون غزّه من المسلمين، قال المفيد (رحمه الله):

(و في تلك الليله قتل كعب بن الأشرف و اصطفى رسول الله (صلى الله عليه و آله) أموال بني النضير) (٣).

و يفهم من الأربلى و غيره أيضا: أن قتل ابن الأشرف كان أثناء حصار بني النضير، فراجع (٤)...

١- تفسير القمى ج ٢ ص ٣٥٩ و اعلام الورى ص ٨٩ و البحار ج ٢ ص ١٦٣-١٦٩ و تفسير البرهان ج ٤ ص ٣١٣ و تاريخ يعقوبى ج ٢ ص ٤٩ و تفسير الصافى ج ٥ ص ١٥٣. و راجع: مناقب آل أبى طالب ج ١ ص ١٩٦.

٢- مناقب آل أبى طالب ج ١ ص ١٩٦ و راجع: بهجه المحافل ج ١ ص ٢١٤ و شرحه بهامش نفس الصفحه و لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٤. و راجع: البحار ج ٢٠ ص ١٥٨ و راجع: مجمع البيان ج ٩ ص ٢٥٧ و راجع: غرائب القرآن مطبوع بهامش جامع البيان ج ٢٨ ص ٣٣.

٣- الإرشاد للمفيد ص ٥٠ و كذا في مناقب آل أبى طالب ج ١ ص ١٩٧.

٤- راجع: كشف الغمه ج ١ ص ٢٠١ و فتح البارى ج ٧ ص ٢٥٦ و راجع المصادر المتقدمه ..

د: و لكن آخرين يذكرون: أنه (صلى الله عليه و آله) إنما أمر بقتل كعب حين ذهب إلى بنى النضير، يستعينهم في ديه العامرين، فاطلع على محاولتهم الغدر به، فانصرف راجعاً، و أمر بقتل كعب بن الأشرف ثم أصبح غادياً عليهم بالكتاب، و كانوا بقرية يقال لها زهره، فوجدهم ينوحون على كعب، فقالوا: يا محمد، واعيه إثر واعيه، ثم حشدوا للحرب، و فى آخره: قالوا: ذرنا نبكى سويعه، ثم أثمر أمرك (١).

و على كل حال، فإن عدداً من المؤرخين و المؤلفين قد صرحوا بأن غزوه بنى النضير، كانت صبيحة قتل ابن الأشرف (٢).

ه: و يؤيد ذلك الشعر المنسوب إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) فى هذه المناسبه؛ فمنها قوله (عليه السلام)

و ان تصرعوا تحت أسيافه كمصرع كعب أبى الأشرف إلى أن قال:

فدس الرسول رسولا له بايضى ذى هبه مرهف

فبات عيون له معولات متى ينع كعب لها تذرف

و قلن لاحمد ذرنا قليلا فانا من النوح لم نشفت ه.

١- راجع بهجه المحافل ج ١ ص ٢١٤ عن البخارى و شرح بهجه المحافل ج ١ ص ٢١٥ عن مسلم و أبى داود و الترمذى، و لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٤ و راجع: تاريخ الخميس ح ١ ص ٤٦١.

٢- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦١ عن معالم التنزيل، و فتح البارى ج ٧ ص ٢٥٦ عن عبد بن حميد فى تفسيره و راجع: الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٤ و التفسير الكبير ج ٢٩ ص ٢٧٨ و الكشاف ج ٤ ص ٤٩٨ و جوامع الجامع ص ٤٨٦، و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٣ و المصادر المتقدمه فى الهامش السابق و راجع مجمع البيان ج ٩ ص ٢٥٧ و البحار ج ٢٠ ص ١٥٨-١٥٩ و وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٩٨ عن عبد بن حميد فى تفسيره.

فخلاهم ثم قال اظعنوا دحور على رغم الأنف

و أجلى النصير إلى غربها لخب .. (١)

فإن هذه الأبيات إنما تقرر القصه المذكوره فيما تقدم ..

و: و يؤيد ذلك أيضا: أن البعض يقول: إن آيه: فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا (٢)، يقال: نزلت في كعب بن الأشرف (٣). و كذا قوله:

و قذف في قلوبهم الرعب، قيل: بقتل سيدهم كعب بن الأشرف (٤).

و معنى ذلك: أن قتل كعب كان سببا في هزيمتهم، و أن قتله قد كان بعد غدرهم، و إعلانهم للحرب على رسول الله (صلى الله عليه و آله) كما يفهم من الآيات الشريفه.

ز: و أخيرا، فإن بعض النصوص تقول:- و ذاك أمر غريب حقا- إن كعب بن الأشرف قد اعتزل قتال بنى النصير، و زعم: أنه لم يظاهر على المسلمين، فتركه النبي (صلى الله عليه و آله) ثم انبعث يهجوهم و المؤمنين، ثم سار إلى قريش يستدعيهم على رسول الله (صلى الله عليه و آله) ٦.

١- السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢٠٧ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٥٢-١٥٣ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٧٩.

٢- الحشر الآيه: ٢.

٣- الروض الأنف ج ٣ ص ٢٥١ و راجع: مجمع البيان ج ٩ ص ١٥٨ و البحار ج ٢٠ ص ١٦٠ عنه و راجع غرائب القرآن بهامش جامع البيان ج ٢٨ ص ٣٤ و مدارك التنزيل المطبوع بهامش لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٥ و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٣ عن أبي صالح، و السدى، و ابن جريج و التفسير الكبير ج ٢٩ ص ٢٧٩ و راجع: الكشاف ج ٤ ص ٤٩٩ و جوامع الجامع ص ٤٨٤ و فتح القدير ج ٥ ص ١٩٥.

٤- فتح القدير ج ٥ ص ١٩٦.

إلخ ... (١).

و لعل المراد: أنه اعتزل قتال بدر، و إلا.. فإن بقاءه إلى ما بعد غزوه بنى النضير، مما تضافرت النصوص التاريخيه على خلافه فراجع حكاية مقتله فى سيره ابن هشام، و الطبرى، و تاريخ الخميس، و غير ذلك.

٦- و سيأتى أنهم يقولون: إن آيه: لا إكراه فى الدين قد نزلت فى غزوه بنى النضير، و معلوم أن هذه الآية قد وردت فى سورة البقره، التى نزلت فى أوائل الهجره و يبعد: ان يستمر نزولها إلى ما بعد بدر، حيث نزلت سورة الأنفال. و لم يرد: أنه (صلى الله عليه و آله) قال لهم ضعوا هذه الآية فى السوره الفلانيه، فالظاهر: انها فى جمله الآيات التى نزلت تدريجا، فراجع فى كيفيه نزول القرآن ما ذكرناه فى كتابنا: حقائق هامه حول القرآن الكريم، فصل: الترتيب و النزول.

٧- و نشير أخيرا إلى أن الحاكم قد ذكر: أن إجلاء بنى النضير و بنى قينقاع قد كان فى زمان واحد (٢).

تفاوت ظاهر:

و بعد ما تقدم؛ فإن القول بأن هذه القضية قد حصلت فى السنه الرابعه، لا يجتمع مع القول بأنها كانت متزامنه مع قتل كعب بن الأشرف- كما صدر من البعض (٣)- لأن ابن الأشرف قد قتل قبل هذا التاريخ بحوالى سنتين. كما يعلم بالمراجعه لكتب التاريخ و الروايه.٩.

١- تاريخ المدينه ج ٢ ص ٤٦١-٤٦٢ و راجع: السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ٩ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٥ كلاهما عن البخارى و البيهقى.

٢- فتح البارى ج ٧ ص ٢٥٦.

٣- راجع على سبيل المثال ما قاله يعقوبى فى تاريخه ج ٢ ص ٤٩.

سبب غزوه بنى النضير:

لقد ذكرت معظم المصادر: أن سبب هذه الغزوه هو: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد جاءهم يستعينهم في ديه العامريين، الذين قتلها بعض أصحابه بعد سريه بئر معونه، فأرادوا الغدر به، فجاءه الخبر من السماء. إلى آخر ما تقدم ذكره.

قال البعض: (و كانوا قد عاهدوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم على ترك القتال، و على أن يعينوه فى الديات) (١).

و لكننا نجد فى مقابل ذلك أقوالاً أخرى، و هى:

الأول: إن السبب هو أنهم قد طلبوا من النبي (صلى الله عليه وآله): أن يخرج إليهم فى ثلاثه نفر، ليناقشوه فى أمر الدين، و كانوا قد خبأوا الخناجر، فأرسلت إليه إمراه منهم - بواسطة أخيها - تعلمه بخيانتهم فلما أخبره بالأمر، رجع قبل أن يصل إليهم (٢).

و يبدو أن هذه هى نفس الروايه القائله: إنهم طلبوا إليه أن يخرج إليهم فى ثلاثين رجلاً و هم فى مثلهم، ثم لما رأوا: أنه لا يمكن التفاهم فيما بين هذا العدد الكبير اقترحوا خروجه (صلى الله عليه وآله) فى ثلاثه، و منهم كذلك .. و قد كان ذلك بسبب تهديد قريش لهم بعد غزوه بدر (٣)، ٩٧.

١- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٠ و راجع: بهجه المحافظ ج ١ ص ٢١٣، و شرحه للأشخر اليمنى، مطبوع بهامشه، نفس الجلد و الصفحه.

٢- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٣ و ٢٦٤ و وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٩٨ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٢.

٣- راجع هذه القضيه فى دلائل النبوه للبيهقى ج ٢ ص ٤٤٥ ٤٤٦ و المصنف ج ٥ ص ٣٥٩-٣٦١ و لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٤ و مدارك التنزيل مطبوع بهامشه نفس الصفحه و تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٣١ و حياه الصحابه ج ١ ص ٣٩٧

و قد تقدم: أن العسقلاني قد اعتبر هذه الروايه أقوى مما ذكره ابن إسحاق، و وافقه عليه جل أهل المغازي، من ان السبب هو أنه خرج إليهم في ديه العامريين (١).

و قد عرفنا فيما تقدم. أن هناك العديد من الدلائل و الشواهد التي تؤكد على أن غزوه بنى النضير، قد كانت قبل بئر معونه ..

فإن العامريين المشار إليهما هما اللذان قتلوا بعد بئر معونه، فلا ينسجم ذلك مع ما تقدم. و لا يصح ما ذكره ابن إسحاق، و إن كانا قد قتلوا قبل ذلك، و في مناسبه و قضيه أخرى، فلا إشكال فيه من هذه الناحيه.

الثاني: قيل: إنه إنما ذهب إليهم لأخذ ديه العامريين لأن بنى النضير كانوا حلفاء لبنى عامر (٢). فيسهل الدفع منهم؛ لكون المدفوع لهم من حلفائهم (٣).

و لكن لا ندرى لماذا يريد أن يأخذ الديه من حلفاء المقتول، فهل جرت عادة العرب على ذلك؟!

أم أنه يريد إذلال بنى النضير في ذلك؟!

فإذا كان كذلك، فهل المراد الإيحاء بأن ناقض العهد في الحقيقه .

١- فتح الباري ج ٧ ص ٢٥٥.

٢- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٣ و ٢٦٤.

٣- السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٠.

هو نفس رسول الله (صلى الله عليه وآله) وذلك بغيا منه و تعديا فى أمر لاحق له به .. نعوذ بالله من الخطأ و الخطل، فى القول و العمل ..

الثالث: إن البعض يقول: إنه (صلى الله عليه وآله) قد ذهب إلى بنى النضير، ليسألهم كيف الديه عندهم، و ذلك للعهد الذى كان بينهم و بين بنى عامر (١) ..

و لا ندرى لماذا لم يكتف بارسال بعض أصحابه إليهم ليسألوهم عن ذلك، و هل كان ثمة اتفاق خاص فى مقدار الديه فيما بين بنى النضير و بنى عامر، يختلف عن مقدارها لدى سائر الناس الذين يعيشون فى تلك المنطقه؟!

و إذا كان كذلك، فكيف يريد هو أن يدفع خصوص هذا المقدار الذى اتفق عليه هؤلاء، و لماذا لا يدفع المقدار المتعارف عليه فيما بين سائر الناس؟! ..

و إذا كان يريد أن يدفع المقدار المتعارف عليه بين عامه الناس، فهل كان (صلى الله عليه وآله) يجهل هذا المقدار؟!.

و إذا كان- و العياذ بالله- يجهل به، فهل لم يكن أحد من أصحابه، من سائر أهل المدينه، و سائر القبائل و الأقاليم الذين يعيشون فيها و حولها، يعلم بمقدار الديه؟! حتى يحتاج إلى المسير مع جماعه من أصحابه إلى خصوص بنى النضير؟! ..

ام أن المقصود هو إظهار: ان النبى (صلى الله عليه وآله) لم يكن يعرف أحكام الشريعه السابقه- شريعه اليهود خاصه- دون غيرهم من سائر اهل الملل. فلا بد أن يتفضل عليه اليهود، و يعلموه مما عندهم، و يصبح مدينا لهم، هو و شريعته، و كل اتباعه من بعده.ق.

ثم ليثبت من خلال ذلك: أن النبي (صلى الله عليه و آله) كان يعمل، بشريعه اليهود و أحكامهم!!

مع أنه (صلى الله عليه و آله) كان يخالفهم فى كل شىء حتى لقد عبروا عن استيائهم من أنه يريد أن لا يدع من أمرهم شيئاً إلا خالفهم فيه (١).

لا ندرى .. و لعل الفطن الذكى يدرى ..

فإننا لله و انا إليه راجعون .. و لا حول و لا قوة إلا بالله.

الرابع: قد تقدم أن بنى النضير لما هزم المسلمون فى أحد ارتابوا و نقضوا العهد، فركب كعب بن الأشرف فى أربعين راكبا من اليهود إلى مكة، و حالفوهم و عاقدوهم على أن تكون كلمتهم واحده على محمد، ثم دخل أبو سفيان فى أربعين و كعب بن الأشرف فى أربعين المسجد، و أخذ بعضهم على بعض الميثاق بين الأستار و الكعبه. ثم رجع كعب و أصحابه إلى المدينه، و نزل جبرائيل، فأخبر النبي (صلى الله عليه و آله) بما تعاقد عليه كعب بن الأشرف و أبو سفيان، و أمره بقتل كعب بن الأشرف، فقتله محمد بن مسلمه الأنصارى، و كان أخاه من الرضاعه (٢).

الخامس: ورد فى نص آخر ما ملخصه: أنه ذهب مع أصحابه يستقرض مالا- من كعب بن الأشرف، فحدث كعب نفسه بقتل النبي، فاخبره جبرائيل، فقام كأنه يقضى حاجه، و عرف: أنهم لا يقتلون أصحابهك.

١- راجع حول إصرار النبي (صلى الله عليه و آله) على مخالفه اليهود: الجزء الرابع من هذا الكتاب ص ١٠٦.

٢- راجع: البحار ج ٢٠ ص ١٥٨ و مجمع البيان ج ٩ ص ٢٥٧ و راجع: مناقب آل أبى طالب ج ١ ص ١٩٦ و راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٠ و قد تقدمت بقيه المصادر حين الحديث عن تاريخ غزوه بنى النضير، فلتراجع هناك.

و هو حى، و أخذ طريق المدينة، فاستقبله بعض أصحاب كعب، فأخبر كعبا بذلك، و رجع المسلمون.

فأخبرهم ابن صوريا بأن رب محمد أطلعته على ما هموا به، و أنه سوف يأمرهم بالجملاء إن لم يسلموا، فاختاروا الجملاء (١).

و قد أسلفنا: أننا نرجح هذه الرواية التى تنص على وجود كعب بن الأشرف، و على دور له فى قضيه بنى النضير، و قد استحق بذلك الدور أن يأمر النبى (صلى الله عليه و آله) بقتله فقتل.

ولكننا لا ندرى حقيقه هذا الدور، فلعل كعبا قد عاقد أبا سفيان على حرب النبى (صلى الله عليه و آله) ثم هجا المسلمين، و شبب بنسائهم، ثم حاول نقض العهد حين طلب منه النبى (صلى الله عليه و آله) الوفاء بتعهداته المالىه، حيث قد كان ثمة عهد ينص على التعاون فى الديات.

و كان ذلك من كعب بالتعاون مع قومه، حين انتدب عمرو بن جحاش لتنفيذ المهمه.

فكان أن تركهم رسول الله (صلى الله عليه و آله)، و قفل عائدا إلى أصحابه، فأمر بقتل كعب بن الأشرف، ثم غدا على بنى النضير بالكتائب.

فإن من الطبيعى أن نجد رسول الإسلام الأكرم (صلى الله عليه و آله) يتحمل منهم نقض العهد أكثر من مره، من أجل أن يقطع لهم كل عذر، و تعلق فى ذلك، و ليتضح لكل أحد ما بيتوه من مكر و خداع، و ما.

١- راجع: اعلام الورى ص ٨٩٨٨ و البحار ج ٢٠ ص ١٦٣ و ١٦٩ و تفسير الصافى ج ٥ ص ١٥٣ و تفسير القمى ج ٢ ص ٣٥٩ و تفسير البرهان ج ٤ ص ٣١٣ و تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٤٩ و راجع: مناقب آل أبى طالب ج ١ ص ١٩٦.

أبطنوه من ختل و غدر، و يحق الله الحق بكلماته، و ليخزي الفاسقين، بفضل صبر الرسول (صلى الله عليه و آله) و أناته. الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج ٨ ٥٠ سبب غزوه بنى النضير: ص : ٤٥

الأسباب و العوامل سببا واحدا لما حصل ..

روايه لا يعتمد عليها:

و تقدم فى الفصل الأول من هذا الباب روايه تقول: إنهم حين جاءهم الرسول (صلى الله عليه و آله) و معه بعض أصحابه. فكروا فى أن يقتلوه، و يأخذوا من جاء معه من أصحابه أسرى، و يبيعوهم من أهل مكه.

و نحن نشك فى هذه الروايه أيضا؛ فإن أسر من جاء معه و يبيعهم إلى أهل مكه، معناه إثارة حرب طاحنه فيما بين بنى النضير، و بين الأوس و الخزرج، و من معهم من سائر المسلمين، و لن يمكنهم الوصول بهم إلى مكه قبل أن تندر الرؤوس، و تطيح الأيدى، و تخرب البلاد، و تهلك العباد ..

و قد جرب اليهود حظهم مع الأوس و الخزرج فيما سبق، و استطاع هؤلاء أن يخرجوا أولئك من المدينه ليعيشوا حوالىها، و فى أطرافها. و قد كان هذا و أمر اليهود مجتمع؛ فكيف تكون الحال بعد أن أجلى منهم بنو قينقاع مع كون العلاقات بين بنى قريظه و النضير غير متكافئه و لا طبيعيه بسبب التمييز الظالم لبنى النضير عليهم، حسبما أوضحناه حين الحديث، حول كونهم بمنزله بنى المغيره فى قريش كما سيأتى ان شاء الله تعالى.

و بعد أن أصبح بنو النضير أضعف ناصرا و أقل عددا، فإن التفكير بهذا الأمر يصبح فى عداد المحالات و الممتنعات ..

و ذلك أمر ظاهر لا يحتاج إلى بيان، و لا إلى إقامه برهان.

نقض العهد .. و التكبير:

و قد ورد فى بعض النصوص: أنهم حين أبلغوا رسول الله (صلى الله عليه و آله) بنقض بنى النضير للعهد أظهر التكبير، و قال:

الله أكبر، حاربت يهود. و كبر المسلمون بتكبيره (١) كما تقدم: أن المسلمين باتوا يحاصرون بنى النضير، و يكبرون حتى أصبحوا ..

و نقول:

إن إظهار المسلمين للتكبير، و تكبير النبى (صلى الله عليه و آله) بالذات أمر له دلالاته الهامه، و آثاره الظاهره، و يتضح بعض ذلك ضمن النقاط التاليه:

١- لقد كان من الطبيعى أن يتوقع اليهود: أن يواجه النبى (صلى الله عليه و آله) و المسلمون نقضهم للعهد بكثير من القلق، و عدم الارتياح، بل و حتى بالخوف، و بالوجوم الناجم عن الإرتباك، و التزلزل ..

و لكن النبى (صلى الله عليه و آله) و المسلمون قد قابلوا ذلك- و بسرعه غير متوقعه- بموقف لا يمكن أن يخطر لليهود على بال، الأمر الذى من شأنه أن يربكهم، و يوقعهم فى حيره، و يثير لديهم أكثر من ٦.

١- راجع فى ذلك ما يلى: الثقات ج ١ ص ٢٤٢ و الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٥٧-٥٨ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٠ و تفسير القمى ج ٢ ص ٣٥٩ و البحار ج ٢٠ ص ١٦٩ عنه و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٢، و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٥٥٣ و زاد المعاد ج ٢ ص ٧١ و تفسير الصافى ج ٥ ص ١٥٤ و تفسير البرهان ج ٤ ص ٣١٣ و المغازى للواقدى ج ١ ص ٣٧٠ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٤ و عمدته القارى ج ١٧ ص ١٢٦.

سؤال، ثم هو يزعم ثباتهم، و يذكي مخاوفهم، بصورة كبيرة و خطيره

٢- إنه إذا كان يوجد فيما بين المسلمين من ينظر إلى اليهود نظره إجلال و إكبار، و يكنّ لهم في نفسه قدرا من الثقة و الإحترام؛ فان معنى ذلك هو أن نشاطات المنافقين- و على رأسهم عبد الله بن أبي- في التخذيل عن حربهم، و الصد عن مواجعتهم، لسوف تجد مجالا واسعا، و لسوف تترك آثارها السلبية على تماسك الصف الإسلامى في مواجعتهم ..

و لعل وجود أبناء للمسلمين في بنى النضير لسوف يجعل اتخاذ موقف حازم ضدهم على درجه من الصعوبه بالنسبه لكثير من الآباء، و من يتصل بهم بسبب، أو بآخر.

و لأجل ذلك؛ فإن توقّر جو حماسى جماهيرى، لسوف يضعف حاله التردد لدى هؤلاء و أولئك، و ينقلهم من أجواء الإنسياقات العاطفيه، و الإندهاش و الإنبهار بالانتفاخات غير الواقعيه، التى تؤثر في نشوء حاله من التقديس غير المنطقى.- ينقلهم- إلى أجواء الشعور بالقوه، ثم التغلب على عوامل الضعف النفسى من خلال مساعده العامل الداخلى، بعامل خارجى يعطيه القدره على الصمود و التصدى، كما و يعطيه المناعه و المصونيه من التأثير بعامل العاطفه منفصلا عن الإحساس بالمسؤوليه، أو التأثير بعامل التوهامات، و التقديسات، التى لا تركز على الدليل المقنع، و لا تقوم على التأمل القاطع لكل الشبهات، و لكل التساؤلات المنطقيه، التى يثيرها العقل الفطرى السليم و الراشد ..

و هكذا، فإن هذا العامل المساعد للإحساس الواقعى بالمسؤوليه، و القادر على المواجهه الحازمه، القائم على الدرايه و العقل. لسوف يضعف من قدره اليهود و المنافقين على التأثير في درجه التصميم على التصدى، أو التأثير في خلخله الوضع الداخلى، و تميع الموقف

بالإستفاده من عامل العاطفه أو عامل الإنبهار القائم على التخيل و التوهم غير المنطقى و لا المسؤول.

٣- و إذا كان القرآن الكريم، و النبي الأُمى (صلى الله عليه و آله) و كذا التاريخ الطويل الزاخر بالأحداث قد قدم للمسلمين صورته تكاد تكون واضحه عن حاله الأخلاقية الذميمة لليهود، و عن طموحاتهم اللامنطقيه و اللامشروعه و التي كانوا يدعمونها بتعاليم دينيه مزيفه، و يعملون على تحقيقها بسياساتهم الخبيثه فى مجال الإعلام و السياسه، و الإقتصاد، و كل نشاطاتهم الإجتماعيه- إذا كان كذلك- فان صدق هذه النبوءه، المتمثل فى بروز صفه الغدر و الخيانه فيهم على صعيد الواقع بصوره ملموسه و ظاهره للعيان، لسوف يمسح عن أعين الكثيرين غبار الخداع و الانخداع، و لسوف يكون فى ذلك آيه أخرى تدل على صدق هذا النبي الأكرم، و على حقانيه موقفه، و صواب سياساته منهم و يقطع من ثم كل عذر، و يزيل كل شبهه، فقد، تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ (١)، وَ قُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ، وَ مَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ (٢).

نقض العهد و المؤامره:

هذا، و نجد: أن النبي (صلى الله عليه و آله) قد اعتبر تأمرهم على حياته، و محاولتهم اغتياله، و إن لم ينجحوا فى مجال تنفيذ ذلك، نقضا للعهد يبرر مواجهتهم بالموقف الصارم و الحازم.

و واضح: أن إغتيال القياده الإسلاميه هو أجلى مظاهر الخيانه، و أخطرها، و لا يجب أن ننتظر من الخائنين إعلانهم للحرب، و التصدى ٩.

١- البقره: ٢٥٦

٢- الكهف: ٢٩.

الفعلی و الظاهر لها، كما ربما يفترضه البعض.

المعاهدات فى الإسلام:

و يحدثنا التاريخ: أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) قد عاهد بنى النضير، كما عاهد غيرهم، و لعل أبرز عهد عقده هو عهد الحديبيه، حيث أمر بكتابه نسختين للكتاب (١) لأن بالكتابه يتم الحفاظ على النص، و يمكن الإلتزام به، و يكون مرجعا لا يمكن التشكيك و لا المراء فيه، فيما إذا ثار خلاف، و قد اعتبر الإسلام هذه العهود وسيله لا يقاف الحروب، و للمنع من نشوبها، يتوفر للإنسان المسلم فى ظلها حريه التعبير، و حريه العمل و الحرکه كما سنرى.

و هذا بالذات هو السر فى أننا نجد الإسلام قد أولى العهود و الإتفاقات أهميه بالغه، و رسم لها حدودها، و بين بوضوح تام مختلف الأصول و الأهداف التى لا بد من رعايتها، و الحفاظ عليها فيها.

و بديهى: أن دراسه هذا الموضوع بعمق، و الإلمام بجميع جوانبه إسلاميا و تاريخيا، يتطلب بذل جهد كبير، و يحتاج إلى دراسه مستقله و منفصله، و إلى وقت يتيح الفرصه للإطلاع على قدر كاف من الآيات الشريفة و النصوص الوارده عن النبى (صلى الله عليه و آله) و الأئمه (عليهم السلام)، ثم دراسه المعاهدات التى عقدت فى صدر الإسلام و ظروفها، و لا نجد أنفسنا قادرين على توفير ذلك فى ظروفنا الراهنه. إلا أن ذلك لا يمنع من إيراد إلماحه سريعه، ترتكز - عموما - على بعض ما ورد فى هذا المجال فى خصوص نهج البلاغه، فنقول:

من عهد الأشر:

قال (عليه السلام) فى عهده لمالك الأشر: ا.

١- آثار الحرب فى الفقه الإسلامى ص ٦٥٩ عن السياسه الشرعيه، للبنا.

(.. و لا تدفعن صلحا دعاك إليه عدوك و لله فيه رضا؛ فإن في الصلح دعه لجنودك، و راحه من همومك، و امنا لبلادك، و لكن الحذر كل الحذر من عدوك، بعد صلحه؛ فإن العدو ربما قارب ليتغفل، فخذ بالحزم، و اتهم في ذلك حسن الظن.

و إن عقدت بينك و بين عدوك عقده، أو البسته منك ذمه؛ فحط عهدك بالوفاء، و ارع ذمتك بالإمانه، و اجعل نفسك جنه دون ما أعطيت؛ فانه ليس من فرائض الله شىء الناس أشد عليه إجتماعا، مع تفرق أهوائهم، و تشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهد.

و قد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استولوا من عواقب الغدر (١)؛ فلا تغدرن بدمتك، و لا تخيسن بعهدك، و لا تختلن عدوك؛ فإنه لا يجترى على الله إلا جاهل شقى.

و قد جعل عهده و ذمته أمنا أفضاه بين العباد برحمته، و حريما يسكنون إلى منعه، و يستفيضون إلى جواره؛ فلا إدغال، و لا مدالسه و لا خداع فيه.

و لا تعقد عقدا تجوز فيه العلل، و لا تعولن على لحن قول بعد التأكيد و التوثقه، و لا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير الحق، فان صبرك على ضيق أمر ترجو إنفراجه، و فضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته، و أن تحيط بك من الله طلبته، فلا تستقل فيها دنياك و آخرتك (٢)..

١- هذا يؤيد بما قدمناه في الجزء الثاني من هذا الكتاب من أن العرب كانوا أوفياء بعهودهم، و قد فرض عليهم هذا الأمر طبيعه الحياه التي كانوا يعيشونها حيث رأوا: أنه لا يمكنهم العيش بدون ذلك.

٢- نهج البلاغه بشرح عبده ج ٣ ص ١١٧-١١٨ و معادن الحكمه ج ١ ص ١٠٩ و تحف العقول ص ١٢٦ و دعائم الإسلام ج ١ ص ٣٥٠، و البحار ج ٨ ص ٦٠٩ ثم شرحه، و ج ٧٧ ص ٢٤٠ عن النهج و التحف، و مستدرک الوسائل ج ٣ ص ١٩٥ و أضاف العلامة المحقق الأحمدي: أن بعضه قد نقل في كنز العمال ج ١٥ ص ١٦٥-١٦٦ عن الدينورى، و ابن عساكر، و مآثر الإنافه ج ٣ ص ٦ عن صبح الأعشى، و مفتاح الأفكار. و أشار إليه النجاشى في رجاله ص ٧ و ذكر سنده أيضا الشيخ في الفهرست. و قال في معجم رجال الحديث ج ٣ ص ٢٢٢: طريق الشيخ إلى عهد مالک الأشر صحيح. و ذكره في نهج السعاده ج ٥ ص ٥٨ عن جمع ممن تقدم، و قال: روى قطعه منه مسندا في تاريخ الشام ج ٣٨ ص ٨٧ و في النسخه المرسله ص ١٩٣. و ذكر في خاتمه المستدرک ص ٢١٨ عن مجله المقتطف ٤٢ ص ٢٤٨: أنه نقله عن نسخه السلطان بايزيد الثانى، و في دستور معالم الحكم ص ١٤٩ شواهد لهذا العهد، و نقله في مصادر نهج البلاغه عن جمع ممن تقدم، و عن نهايه الإرب للنويرى ج ٦ ص ١٩. ثم ذكر في مصادر نهج البلاغه بعض من شرح هذا العهد، مثل: آداب الملوك لرفيع الدين التبريزى، و أساس السياسه فى تأسيس الرئاسه للكجورى الطهرانى، و التحفه السليمانيه للبحرانى، و الراعى و الرعيه لتوفيق التفكيكى، و السياسه العلويه لآل مظفر (خطيه). و شرح عهد أمير المؤمنين (عليه السلام) للمجلسى، و شرح عهد أمير المؤمنين (عليه السلام) للمولى محمد باقر القزوينى، و شرح عهد أمير المؤمنين (عليه السلام) للميرزا حسن القزوينى، و شرح عهد أمير المؤمنين (عليه السلام) للميرزا محمد التنكابنى. و شرح عهد أمير المؤمنين (عليه السلام) للشيخ هادى القائنى البيرجندى، و شرح الفاضل بدايع نكار المثبت فى المآثر و الآثار، و

نصايح الملوك لأبى الحسن العاملى. و مقتبس السياسه و سياج الرئاسه للشيخ محمد عبده، انتزع من شرحه و طبع على حده، و القانون الأ-كبر فى شرح عهد الأشر للسيد مهدي السويج (مخطوط) و مع الإمام فى عهده لمالك الأشر للشيخ محمد باقر الناصرى. و نزيد هنا فى ما يرتبط بشروحه، ما اورده السيد هبه الدين الشهرستانى فى مقدمته لكتاب الراعى و الرعيه ص ۸- ۹ و الشيخ آقا برزك الطهرانى فى كتابه الذريعه ص ۳۷۳- ۳۷۵ و ج ۱۵ ص ۳۵۳، حيث اضافا إلى شروح العهد: شرح الحسين الهمدانى الموسوم بهديه الحسام لهدايه الحكام. و شرح محمد صالح الروغنى القزوينى، من علماء القرن الحادى عشر، و دستور حكمت. و ترجمه الوصال الشيرازى المتوفى سنه ۱۲۷۴ و نظمه شعرا بالفارسيه. و ترجم محمد جلال هذا العهد إلى التركيه، و نظمه شعرا بالتركيه. فرمان مبارك لجواد فاضل. و عنوان رياست (ترجمه لهذا العهد أيضا للسيد على أكبر بن سلطان العلماء السيد محمد النقوى اللكنهوى). هذا كله عدا عن شرح شراح النهج له فى ضمنه كالمعتزلى و ابن ميثم و غيرهما. بقى أن نشير إلى أن صاحب الذريعه قد قال فى ج ۱۵ ص ۲۶۲: (نسخه العهد بخط ياقوت المستعصمى موجوده فى المكتبه الخديويه بمصر تاريخ فراغها سنه ثمانين و ستمائه كما فى فهرسها).

الوفاء بالعهد:

أما بالنسبة إلى ضروره الإلتزام بالعهود و الوفاء بها، حتى لغير المسلمين، فإن الله تعالى يقول: فَأَتَمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ (١).

و يقول سبحانه: وَ أَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا (٢).

و يقول: .. وَ أَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ .. إلى أن تقول ٤.

١- التوبه: ٤.

٢- الإسراء: ٢٤.

الآية: وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا (١).

فقد جعل الله العهد مع الأعداء عهداً لله سبحانه ..

الشرط الأساس في كل عهد:

و بعد .. فإن أمير المؤمنين (عليه السلام) قد قرر أن الشرط الأساس في كل عهد هو أن يكون (لله فيه رضا) كما ورد في عهده (عليه السلام) للأشتر (رحمه الله).

و واضح: أن رضا الله سبحانه إنما هو في حفظ مصلحه الإسلام العليا، و كرامه المسلمين، و حریتهم في الدعوه إلى الله سبحانه بأمن و دعه و إطمئنان.

و حين يكون الداعي للصالح الذي فيه رضا الله سبحانه، هو العدو فان معنى ذلك هو أن العدو قد اعترف بك، و بموقعك، و أصبح على إستعداد لأن يقبل شروطك العادله، و معنى ذلك هو أنك تكون قد سجلت نصراً من أقرب طريق و أيسره.

و أما إذا دعاك هذا العدو إلى صلح ظالم و فيه ذل للمسلمين، و وهن على الإسلام، فإن من الطبيعي أن ترفض صلحاً كهذا لأنه تسجيل إنتصار للعدو من أسهل طريق ..

و ثمه شرط آخر:

و ثمه شرط آخر، لابد من توفره في أى عهد، و ذلك من أجل أن يحتفظ بقيمته، و بفعاليته، في حسم الصراع، ثم من أجل أن لا يوجب عقد العهد ضعفاً في موقف المسلمين، و فتح باب التشكيك في حقهم، أو إعطاء فرصه المناوره للباطل. ١.

و هذا الشرط لابد للجانب المحق من الاهتمام به، و العمل على توفيره بصورة أجلي و أتم، و هو أن (لا تعقد عقدا تجوز فيه العلل، و لا تعولن على لحن قول بعد التأكيد و التوثقه).

أى أنه لا بد أن لا يكون فى العهد إبهامات يمكن التشبث بها من قبل العدو، كما أنه لا بد أن يكون نفس العهد هو المعيار و المرجع و الفيصل فى الأمور، فلا يعتمد على مواعيد أو لحن قول، فان ذلك يوجب و هنا فى العهد نفسه، و فيه فتح باب النقض، و الخيانه، من دون أن يكون ثمه حرج ظاهر فى ذلك ..

و ذلك يعتمد على نباهه و دقه ذلك الذى يتصدى لعقد العهد، و هو يتحمل مسؤوليه أى تقصير فى هذا المجال.

العهد لا تنقض، و هى ملزمه للجميع:

١- و نجد فى نص المعاهده التى كتبها على أمير المؤمنين (عليه السلام) فيما بين ربيعه، و اليمن، ما يدلّ على أن العهد ملزم لكل الآخرين الذين ينتمى إليهم المباشرون لعقد العهد .. و ذلك يقطع أى عذر، و يمنع من أى تعلل، أو محاوله خداع.

و هذا مطلب عادل، و سليم، فان كل الأمور التى تمسّ حياه المجتمعات، لا يمكن أن يعتمد فيها مبدأ موافقه كل فرد منها و لا سيما مع اختلاف المصالح، و تشتت الآراء، و تباين الأهواء، حسبما ذكره أمير المؤمنين (عليه السلام) فى فقره المنقوله عنه فى عهده للأشتر النخعي (رحمه الله) ..

٢- إن عتب العاتبين، و غضب الغاضبين، لا يجوز أن يجعل ذريعه لنقض العهد، ما دام أن إرضاء كل أحد غير ممكن، و لا سيما فى الأمور المرتبطه بمستقبل الجماعات، و علاقاتها و مواقفها، حتى و لو كان العاتبون

و الغاضبون فريقا ثالثا، يريد أن يحصل على مكاسب سياسيه أو غيرها، و يكون له دور ما فى التحرك السياسى، أو تأثير- إيجابى أو سلبى- على ساحه الصراع.

فإذا كان القانون العام هو عدم نقض العهد بسبب ذلك، فلا بد أن تنقطع أطماع الطامعين، ما دام أن عتبههم و غضبههم، لن يجدى نفعا، و لن يؤثر شيئا.

٣- إن العهد لا ينقض لأجل استدلال قوم قوما، و لا لمسبه قوم قوما؛ فان تعرض فريق للاستدلال من قبل فريق آخر، بسبب عقده للعهد، و كذا اتخاذ عقد العهد من قوم و سيله لتعيرهم و مسبتهم، لا يبرر للعاقدين له نقض عهدهم ..

و إذن .. فإن من يقدم على عهد، لا بد و أن يعلم مسبقا: أنه لا بد له من الوفاء بما عقده، حتى فى أشق الأحوال، و أصعبها، فهو إذن عالم بما يفعل، و مطلع على نتائجه مسبقا، و قد أقدم مختارا على ذلك .. فعليه أن يتحمل نتائج ما أقدم عليه ..

و قد أشار على أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى ذلك كله فى العهد الذى كتبه بين اليمن و ربيعه، فقد جاء فيه:

(.. لا- ينقضون عهدهم لمعتبه عاتب، و لا- لغضب غاضب، و لا لاستدلال قوم قوما و لا لمسبه قوم قوما على ذلك شاهدتهم و غائبهم، و سفيهم و عالمهم، و حليمهم و جاهلهم، ثم إن عليهم عهد الله إلخ ..) (١).٤.

إحترام أموال المعاهدين:

و حين يكون المعاهدون يتمتعون بحمايه دوله الإسلام، فان أموالهم- كأموال المسلمين- لا تمس، بل تبقى لهم، و يمارسون حريتهم التجاربه بصوره تامه ..

قال على أمير المؤمنين (عليه السلام) في كتاب له إلى عمال الخراج:

(و لا تمسّن مال أحد من الناس، مصل، أو معاهد، إلا أن تجدوا فرسا، أو سلاحا إلخ) (١).

المعاهدون لا يجفون و لا يقصون:

و قد كتب على أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى بعض عماله:

(و اعزز المسلمين، و لا تظلم المعاهدين) (٢). و كتب أيضا إلى عامل آخر له، يقول:

(أما بعد، فإن دهاقين أهل بلدك شكوا منك غلظه و قسوه، و إحتقارا و جفوه، و نظرت فلم أرهم أهلا لأن يدنوا لشركهم، و لا أن يقصوا و يجفوا لعهدهم، فالبس لهم جلبابا من اللين تشوبه بطرف من الشده، و داول لهم بين القسوه و الرأفه، و أمزج لهم بين التقريب و الإذناء و الإبعاد و الإقصاء (٣).٣.

١- نهج البلاغه بشرح عبده ج ٣ ص ٩٠ الرساله رقم ٥١.

٢- تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٢٠٠-٢٠١.

٣- نهج البلاغه ج ٣ ص ٢١ الرساله رقم ١٩، و أنساب الأشراف ج ٢ ص ١٤١ و تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٢٠٣.

من نتائج الصلح و العهد:

و عن نتائج الصلح و العهد، فهى:

١- دعه الجنود.

٢- الراحة من الهموم.

٣- الأمن لبلاد المسلمين.

و ذلك معناه: أنك أصبحت قادرا على التخطيط للمستقبل لأنك قد ارتحت من همومك، و أصبحت قادرا أيضا على تنفيذ خططك، لأنك تملك الوقت الكافى، و الطاقات الفاعله، المهيأه للعمل الجاد و الدائب، دونما مانع أو رادع ..

كما أن هذا السلم و الأمن لسوف يجنب بلادك التعرض للأزمات الإقتصادية الحاده، و يحفظ مرافقها الإقتصادية و الحيويه من التدمير، أو التعطيل، أو صرفها فى مواجهه متطلبات الحرب.

هذا، عدا عن حفظ القوى الفاعله و المؤمنه من أن تتعرض للتدمير، أو للتشويه، ثم ما ينشأ عن ذلك من آثار إجتماعيه لا تجهل.

و يجب أن لا ننسى أن حاله عدم الإستقرار، بل و الخوف و عدم الأمن فى أحيان كثيره، من شأنها أن تشل حركه المجتمع فى المجالات المختلفه، و تمنعه من أن يقوم بدوره على النحو المطلوب و المؤثر.

ثم هناك الحاله الفكرية و النفسية و كثير من السلبيات الأخرى، التى تنشأ عن ظروف الحرب، و تتفاعل بصوره تصاعديه فى كثير من المجالات، و القطاعات ..

و كل ذلك يمثل هموما حقيقه لأى حاكم يشعر بمسؤولياته الإلهيه، و الإنسانيه تجاه مجتمعه و أمته.

العهد .. و الحذر:

و إذا كان عقد العهد مع العدو لا يعنى أن العدو قد تنازل عن كل طموحاته، و صرف النظر عن كل مراداته و خططه، فإنه ربما يكون قد قارب ليجد الفرصه للوثوب، و ايراد الضربه القاصمه ..

فقد جاء النهى عن الإطمئنان لهذا العدو، حيث قد تقدم قول أمير المؤمنين (عليه السلام) فى عهده للأشتر: (و لكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه؛ فان العدو ربما قارب ليتغفل، فخذ بالحزم و اتهم فى ذلك حسن الظن).

و قال تعالى: وَ خُذُوا حِذْرَكُمْ (١).

الخيانه فى حجمها الكبير:

و بما أن الله سبحانه قد جعل عهده و ذمته أمنا أفضاه بين العباد برحمته، و حرهما يسكنون إلى منعه، و يستفيضون إلى جواره، فان الشرط الأساس فيه هو أنه لا إدغال. و لا مدالسه و لا خداع فيه؛ فإذا رأى أن العدو لا يعمل بشروط الصلح و مقتضيات العهد، و إنما هو يتآمر، و يعد العده للغدر، فان نفس هذه الأعمال تكون نقضا منه للعهد، و تخليا عن شروطه، فلا معنى حينئذ للالتزام بهذا العهد، من طرف واحد، و إنما لا بد من نبذ العهد إليه و معاملته معاملة الخائن المجرم قال تعالى:

وَ إِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً، فَأَنْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (٢).

و عن على (عليه السلام): الوفاء لأهل الغدر غدر عند الله، و الغدر ٨.

١- التوبه: ٧

٢- الأنفال: ٥٨.

بأهل الغدر وفاء عند الله (١).

و بالنسبه إلى بنى النضير، فإنهم قد مارسوا الخيانه فى أبشع صورها و أفضعها، حين تأمروا على القياده الإسلاميه و الإلهيه، فردّ الله كيدهم إلى نحورهم، و حفظ الله نبيه، و أعز دينه، و أдал المسلمين من أعدائهم، من أسهل الطرق، و أيسر السبل.

الوفاء بالعهد ضروره حياتيه:

و نجد أمير المؤمنين (عليه السلام) قد أوجب على واليه الوفاء بالعهد. بل هو قد طلب منه أن يجعل نفسه جنه دون ما أعطاه.

و قد علل ذلك بأنه من الأمور التي اتفقت عليها جميع الناس، رغم تفرق أهوائهم، و تشتت آرائهم، و قد لزم ذلك المشركون فيما بينهم، و ذلك إنطلاقاً من إحساسهم بضروره ذلك، حين رأوا: عواقب الغدر الوخيمه، التي من شأنها أن تدمر حياتهم، و تقضى على كل نبضات الراحة و الإستقرار فيها.

و لكنهم قد خالفوا ضميرهم و وجدانهم، و كل المعايير الأخلاقيه، و العقليه فى تعاملهم مع المسلمين، حيث أجازوا لأنفسهم نقض عهودهم معهم، و تحيّل كل ما لذلك من تبعات و نتائج .. و ذلك يدل على عدم إنسجامهم مع قناعاتهم و لا مع فطرتهم فى مواقفهم تجاه الإسلام و المسلمين ..

و قد اعتبر (عليه السلام): من يخيس بعهدة، و يغدر بدمته، و يختل ٦.

١- نهج البلاغه ج ٣ ص ٢١٠ الحكمة رقم ٢٥٩ و غرر الحكم ج ١ ص ٦٠ و روض الأخييار ص ١١١ و ربيع الأبرار ج ٣ ص ٣٧٥ و مستدرک الوسائل ج ٢ ص ٢٤٩. و غرر الخصائص الواضحه ص ٥٩ و مصادر نهج البلاغه ج ٤ ص ٤ و ص ٤٠١ عن بعض من تقدم و عن شرح النهج للمعتزلى ج ١ ص ٢١٦.

عدوه، و يجترى على الله جاهلا- لا- يعرف الأمور و مواردها، و لا الصالح من الطالح، و هو شقى أيضا، لأنه بالإضافة إلى أنه يكون متجرئا على الله سبحانه في ذلك، فإنه يكون قد جرّ على نفسه الكثير من المصائب و البلايا نتيجة لسياساته الخاطئه هذه.

و خلاصه الأمر: إن العهد فى الإسلام ليس وسيله للمكر و الخداع بهدف الإيقاع بالعدو، و إنما هو أمانه ضميريه، ذات قاعده إيمانيه أساسيه؛ فلا بد من رعايتها و الوفاء بها و لا يسوغ نقض العهد (بغير حق) حتى و لو كان فيه ما يوجب الضيق كما تقدم فى عهد على (عليه السلام) للأشتر، و روى عن النبى (صلى الله عليه و آله) قوله:

(لا دين لمن لا عهد له) (١).

و قد مدح الله من يفى بعهده فقال: وَ الْمُؤَفُّونَ بَعَثْنَاهُمْ إِذَا عَاهَدُوا (٢).

و قد ذم على (عليه السلام) عمرو بن العاص فقال: (و يسأل فيبخل، و يخون العهد) (٣).

و قد ذم (عليه السلام) أهل البصره بقوله: (و عهدكم شقاق) (٤).

و قال (عليه السلام): (و قد ترون عهود الله منقوضه فلا تغضبون و انتم لنقض ذمم آبائكم تأنفون) (٥).٤.

١- السنن الكبرى ج ٩ ص ٢٣١ و غرر الخصائص الواضحه ص ٦٠.

٢- البقره: ١٧٧.

٣- نهج البلاغه ج ١ ص ١٤٥ الخطبه رقم ٨٠.

٤- النهج الخطبه رقم ١٢ ج ١ ص ٤٠ و الأخبار الطوال ص ١٥١ و ربيع الأبرار ج ١ ص ٣٠٨.

٥- النهج الخطبه رقم ١٠٢ ج ١ ص ٢٠٤.

الغدر عجز، و عدم ورع:

و قد قال على (عليه السلام): (إن الوفاء توأم الصدق، و لا أعلم جنه أوقى منه، و لا يغدر من علم كيف المرجع. و لقد أصبحنا فى زمان قد إتخذ أكثر أهله الغدر كيسا، و نسبهم أهل الجهل فيه إلى حسن الحيله، ما لهم؟ قاتلهم الله، قد يرى الحول القلب وجه الحيله، و دونه مانع من أمر الله و نهيه؛ فيدعها رأى عين بعد القدره عليها، و ينتهز فرصتها من لا حريجه له فى الدين) (١).

الغادر هو الذى يعاقب:

و طبيعى أن ينال العقاب خصوص اولئك الذين ينقضون العهد، و يخونون أماناتهم، و قد أوضح ذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) حينما قال:

(مع أنى عارف لذى الطاعه منكم فضله، و لذى النصيحه حقه، غير متجاوز متهما إلى برى ء، و لا ناكثا إلى وفى) (٢).

السلاح فى أيدي المعاهدين:

كما أن من الطبيعى: أن يحتاط الحاكم الإسلامى، فلا يترك فى أيدي المعاهدين، الذين يعيشون فى ظل حكمه، و تحت حمايته، من السلاح و التجهيزات ما يشكل خطرا على أمن الدوله، مع التأكيد على إحترام كل ما يعود إليهم من أموال و ممتلكات، و عدم المساس بها فى أى حال، قال على أمير المؤمنين (عليه السلام): ٩.

١- نهج البلاغه بشرح عبده ج ١ ص ١٨٨ الخطبه رقم ٤٠.

٢- نهج البلاغه، بشرح عبده ج ٣ ص ٤١ الرساله رقم ٢٩.

(.. و لا- تمسّن مال أحد من الناس، مصل و لا معاهد، إلا أن تجدوا فرسا أو سلاحا يعدى به على أهل الإسلام؛ فإنه لا ينبغي للمسلم أن يدع ذلك في أيدي أعداء الإسلام؛ فيكون شوكة عليه الخ ..) (١).

موقف له دلالاته:

و من المعلوم أن مواقف على أمير المؤمنين تعتبر التجسيد الدقيق و الحى لمفاهيم الإسلام، و أحكامه، و سياساته، و التاريخ يحدثنا: أنه حين بلغه (عليه السلام) إغاره خيل معاوية على بلاد المسلمين، خطب (عليه السلام) خطبه الجهاد المعروفه، و قد جاء فيها:

(هذا أخو غامد، و قد وردت خيله الأنبار، و قد قتل حسان بن حسان البكرى، و أزال خيلكم عن مسالحها. و لقد بلغنى: أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمه، و الأخرى المعاهده، فينتزع حجلها، و قلبها، و قلاندها، و رعاثها (٢) ما تمنع منه إلا بالإسترجاع و الإسترحام، ثم انصرفوا وافرین، ما نال رجلا منهم كلم، و لا أريق لهم دم؛ فلو أن امراء مسلما مات من بعد هذا أسفا ما كان به ملوما، بل كان به عندى جديرا) (٣).

و نحن نسجل هنا ما يلي:

١- إن هذا الموقف منه (عليه السلام) يوضح لنا قيمه الإنسان فى الإسلام. و اهتمامه البالغ فى الحفاظ على موقعه، و على كرامته و وجوده، ٢.

١- نهج البلاغه ج ٣ ص ٩٠ الرساله رقم ٥١.

٢- الرعات: جمع رعثه، القرط و الحجل: الخلخال. و القلب: السوار.

٣- نهج البلاغه، بشرح عبده ج ١ ص ٦٤-٦٥ خطبه رقم ٢٦ و الأخبار الطوال ص ٢١١ و ٢١٢ و الغارات ج ٢ ص ٤٧٥ و ٤٧٦ و المبرد فى الكامل ج ١ ص ٢٠ و العقد الفريد ج ٤ ص ٧٠ و معانى الأخبار ص ٣١٠ و أنساب الأشراف ط الأعلمی ج ٢ ص ٤٤٢.

حتى إن الرجل الأول فى الدوله الإسلاميه ليعانى من الألم و الأسى بسبب الإعتداء على كرامه الإنسان ما يجعل الموت أسفا على ما جرى أمرا مقبولا، بل يجعله هو الجدير و اللائق به. ثم هو (عليه السلام) يقرر: أن هذا الحدث لا بد أن يؤثر بهذا المستوى أيضا فى كل إنسان مسلم، من كان و مهما كان.

٢- إنه يعطى: أن أمير المؤمنين (عليه السلام)- و هو الذى يمثل نظره الإسلام الأصيله- ينظر بعين المساواه إلى كل من هم تحت سلطته، أو تحت حمايته، فهو يتألم للمرأه كما يتألم للرجل، و هو يتألم كذلك للمعاهده و التى هى على غير دينه، بنفس المستوى الذى يتألم فيه للمسلمه، و هو يطلب موقفا حازما تجاه الإعتداء على كرامتهما معا من كل مسلم، بنفس القوه و الفعاليه و التأثير فى رفع الظلامه و اعاده الحق إلى نصابه.

٣- إنه (عليه السلام) قد حاول إثارة الناس و تحريكهم بأسلوب عاطفى يلامس مشاعرهم و أحاسيسهم؛ فتحدث عن سلب المغيرين حلى النساء المسلمات و المعاهدات، و فى ذلك إثارة عاطفيه، و تحريك لا شعورى للناس، الذين سوف يسوؤهم الإعتداء على هذا الموجود الذى يمثل جانب الرقه، و الحنان فى المجتمع.

٤- إنه (عليه السلام) إنما توقع من المرء (المسلم) أن يموت أسفا، و اعتبره جديرا بذلك، و حريا به ..

و لعل هذا الأمر يشير إلى أن الإسلام هو ذلك الدين الذى يغرس فى الإنسان معانى إنسانيته، و يريبه تربيته إلهيه يحيا بها وجدانه، و تتنامى فيها خصائصه و مزاياه الإنسانيه، فيصبح حى الشعور، صافى النفس، سليم الفكر، إلهى المزايا ..

٥- كما و نجده صلوات الله و سلامه عليه .. قد أهدر دماء

المعتدين، واعتبر أن أدنى جزاء لهم هو أن ينالهم كلم و جرح، و تهرق دماءؤهم. رغم أن ما ارتكز عليه بيانه، و جعله منطلقاً له في تقريره هذا الجزاء القاسى هو أمر لا يزيد على سلب الحجل و القلب و الرعاث من إمرأه مسلمه و أخرى معاهده ..

و ذلك لأن الميزان فى العقاب إنما هو درجة الجراء على الله و على المحرمات، ثم ما ينشأ عن ذلك من فساد و إفساد، فى البلاد و العباد ..

٦- إنه (عليه السلام) إنما ركز على الجانب الإنسانى؛ فحاول أن يؤكد للناس لزوم نصره الضعيف، و الدفاع عنه و الحفاظ عليه، و أن ذلك هو مسؤوليه كل فرد قادر بالنسبه إليه .. و قد أشار إنتباه الناس إلى جانب الضعف هذا حين قال: (ما تمنع منه إلا بالإسترجاع و الإسترحام) ..

و ليكن من ثم مبدأ نصره الضعيف و الدفاع عنه من الأوليات التى يفرضها الوجدان الحى، و الضمير الإنسانى ..

٧- ثم هناك الجانب التربوى، الذى يستهدف تركيز مفهوم العدالة فى التعامل، فلا يفرق بين مسلم و معاهد، ثم مفهوم عدم التغاضى عن المعتدين و المجرمين، و عدم التواكل فى رد العدوان. إلى غير ذلك مما لا مجال لتفصيله هنا.

وفاء اليهودى هو الغريب المستهجن:

إشاره

و بعد فإننا حين نقرأ التاريخ، فما يلفت نظرنا هو تكرّر الغدر من اليهود، و استمرارهم فى نقض العهود و المواثيق، مره بعد أخرى، كما كان الحال بالنسبه لبنى قينقاع، و بنى النضير، و بنى قريظه.

و نجد فى مقابل ذلك إلتزاماً تاماً من قبل النبى (صلى الله عليه و آله) بالعهود و المواثيق المعقوده.

و نحن نشير هنا إلى الأمور الثلاثه التاليه:

الأول:

بالنسبة لعدم التزام اليهود في عهودهم نقول:

إن ذلك طبعى بالنسبة إلى قوم يزنون الأمور بموازين الربح والخساره في الدنيا؛ فإن من كان كذلك، لا يلتزم بالصدق - مثلا - لأجل أن له قيمه أخلاقيه أو إنسانيه، أو لأن فيه رضا الله سبحانه و تعالى و إنما يلتزم به لأنه يجلب له نفعاً دنيوياً ملموساً، أو يدفع عنه ضرراً كذلك .. و بدون ذلك؛ فإنه لا يجد مبرراً و لا دافعاً للالتزام به، بل هو حين يلتزم بصدق لا يشعر بنفعه الدنيوى يجد نفسه متناقضاً مع مبدئه، و مع منطلقاته في التفكير و في العمل، التي رضىها لنفسه.

و كذلك الحال بالنسبة لسائر الكمالات و الفضائل الإنسانيه، و بالنسبة لكل الإلتزامات، و العهود، و المواثيق، التي يفرضها عليه واقع دنيوى معين؛ فإنه إذا تجاوز ذلك الواقع، فسوف لا يجد ما يبرر التزامه بذلك الكمال، و تلك الفضيله، أو وفاء بهذا العهد و الميثاق، أو ذاك. بل كل المبررات متضافره لديه، و كل القناعات حاكمه عليه بلزوم نقضها، و النكث بها، و الإلتزام بضدها.

الثاني:

بالنسبة لإلتزام النبي (صلى الله عليه و آله) و المسلمين بعهودهم و مواثيقهم، فقد اتضح: أنهم لا بد أن يكونوا فيها على العكس من اليهود تماماً، إذ قد أصبح من البديهي: أن العهد، و الميثاق و كل شىء آخر يفرضه عليهم الشرع، و العقل، و الإنسانيه، إنما يمثل لهم قيمه أخلاقيه و إنسانيه، و حدّاً شرعياً، لا بد لهم من الإلتزام به، و الوقوف عنده، إن ذلك يمثل جزءاً من وجودهم، و من شخصيتهم، و إن الإخلال به سوف يوقعهم في تناقض مع أنفسهم بالدرجه الأولى، و لسوف يجعلهم وجهاً لوجه مع

أحكام العقل، و مقتضيات الفطره.

الثالث:

أما بالنسبه لموقف المسلمين الصارم و الحازم من ناقضى العهود و الموائيق، فإن ذلك هو ما تفرضه عليهم المسؤوليات الإنسانيه و الإسلاميه أيضا، بعد أن رضى أولئك المعتدون و الناقضون للعهد بتحمّل نتائج عملهم، و أصبحوا و باء يريد أن يغتال فرص الخير من بين ايدي أهلها، و أحق الناس بها .. و ذلك لأن نقض العهود معناه إستخدام مناشىء القوه فى سبيل ضرب مواقع الخير، و مناشئته، و تكريس الإمتيازات لجهه الشر، و الإنحراف، الذى لا بد و أن تنال سلبياته، و يمتد و باؤه الى كل مواقع الخير، و السلامه و يقضى عليها ..

فتصبح الحركه لضرب الشر فى مواقعه و مناشئته حاله طبيعيه يمارسها الإنسان المسلم، و مسؤوليه إلهيه و إنسانيه، و عقليه، و فطريه، يفرضها واقع الحياه، و حق الدفاع عن الوجود، و عن الإنسانيه و الفطره.

الجرأه و مبرراتها:

و بعد كل ما تقدم، فإن السؤال الذى ربما يراود ذهن البعض هو:

انه قد تقدم: ان اليهود، و كل من لا يؤمن بالآخره، و كذلك كل من يرى:

ان الدنيا هى كل شىء بالنسبه إليه .. لا يمكنهم ان يقدموا على الموت و على التضحيه بالنفس إلا فى حالات نادره، تتدخل فيها عناصر من شأنها أن تلقى و لو فى فترات قصيره و خاطفه تأثيرات تلك الرؤيه، و ذلك الفهم الخاطىء، لموضوع المعاد و الجزاء، و للآخره، و انعكاسات ذلك الفكر، أو حيث لا يكون ثمه لهم خيار آخر يمكنهم اللجوء اليه، و الاعتماد عليه.

و معنى ذلك هو: أن اليهود، و كذلك المشركون، سوف لا يكونون

قادرين على اتخاذ قرار الحرب، و هم يرون أنها سوف تحرق الاخضر و اليابس؛ فكيف يمكن فهم غدرهم بعهودهم، و نقضهم لمواثيقهم، ثم سعيهم لإثارة الحروب مع الآخرين، ثم تحالفهم مع المشركين و المنافقين لحرب المسلمين؟! أليس الأنسب بطريقتهم فى التفكير، و الأحرى و الأجدر بهم، فى ظل ماديتهم، و عدم إيمان الكثيرين منهم بالآخره، أن يعيشوا بسلام مع المسلمين، و مع غيرهم، و أن يتعدوا بأنفسهم عن كل ما يثير، و يوجب تأزما فى العلاقات، مع أى طرف كان؟!

و الجواب:

إن ذلك صحيح فى حد نفسه لو لا أن اليهود كانوا واقعين تحت تأثير التصورات و الأمور التاليه:

١- إنهم يرون: أن الخطر الذى يتهددهم من جهه المسلمين، أعظم و أشد، و هو حتمى بالنسبه إليهم .. أما الخطر الآتى من قبل نكث العهود، و ما ينشأ عنه من حروب، و مشاكل، فليس - بنظرهم بهذه الدرجه من الحتميه، و لا هو بهذا المستوى من الخطوره، فقد كانت الحرب نفسها تخضع لإحتمالات إيجابيه بالنسبه إليهم.

سواء على مستوى القرار لديهم، لاحتمال مساعده المشركين و المنافقين لهم. أو على مستوى القرار لدى الفريق الآخر، و هم المسلمون- و لا سيما بملاحظه وجود المنافقين فيهم- حيث يرون أن الوضع العام للمسلمين لا يسمح لهم باتخاذ قرار الحرب، الأمر الذى يجعل ارتكاب أخطار الحرب أهون عليهم، و أقرب إلى احتمالات السلامه لهم.

أو على مستوى النتائج، و الآثار، بالنسبه لكلا الفريقين على حد سواء.

٢- إن المسلمين، و إن كانوا قد أثبتوا- و لا سيما فى حرب بدر-

أنهم مقاتلون من الدرجة الأولى، وأنهم لا يهمهم شىء سوى رضا الله سبحانه ..

فإن هذا الامتياز يمكن أن يصبح غير ذى أهميه، حينما يكون ثمة حصون، قادره على جعل كل هذه الكفاآت بدون أثر ولا جدوى، وهو ما أشار إليه سبحانه بقوله: وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ (١).

و من الواضح: أن المسلمين لم يثبتوا بعد: أن لديهم قدرات، و كفاءات لمواجهة حصون اليهود، أو غيرهم.

٣- إن اليهود يعتقدون: أنهم أبناء الله و أحبائه، و أنهم شعب الله المختار، و معنى ذلك هو أن دعوه محمد (صلى الله عليه و آله) سوف تصبح خطرا أكيدا على امتيازهم هذا الذى يرون فيه مبرر وجودهم، و رمز كل عزتهم، و خلاصه مجدهم.

فكانوا يجدون أنفسهم ملزمين بإضعاف أمر هذه الدعوه، و إسقاطها، بقدر ما هم مكلفون بالحفاظ على حياتهم و وجودهم، و كل خصائصهم.

و هم معيّنون أكثر من أى فريق آخر بذلك؛ لأن خسارتهم هذه الورقه، و فقدانهم هذا الأمر إنما يعنى خسارتهم لكل شىء.

و ما ذلك إلا لأنهم يزنون الأمور بميزان مادي تحت من جهه ..

و لأن الحاله الشعوريه الإنفعاليه قد أصبحت هى المهيمنه على كل تفكيرهم، و على كل تصوراتهم، و هى التى تحركهم فى هذا الإتجاه تاره، و فى ذاك الإتجاه أخرى. ٢.

التصوير الحاقدا، و التزوير الرخيص:

و يحاول البعض أن يقول: إن النبي (صلى الله عليه و آله) قد ذهب إلى بني النضير، ليطلب منهم مساعده لدفع ديه العامريين، و لما كانت النضير حليفه عامر؛ فلا شك أن تعقيدات نتجت عن ذلك، و إن كانت المصادر لا تتحدث عنها.

و لربما فكر محمد بأن على اليهود أن يدفعوا أكثر مما يدفعه متوسط سكان المدينة، فراق لليهود أن يدفعوا أقل (١).

و نقول:

إن ملاحظه العبارات الآنفه الذكر تعطينا: أن الهدف هو الإيحاء بأن النبي (صلى الله عليه و آله) كان يطلب من بني النضير، دفع شىء لم يكونوا ملزمين بدفعه.

و أنه قد أخرجهم بطلبه ذاك، للحلف الذى كان بينهم و بين بني عامر.

و إذن فبنوا النضير يصبحون ضحية أطماع ماله لا مبرر لها، و لا يصح مطالبتهم بها، لا واقعا، و لا أخلاقيا ..

كما أن إخراجهم بسبب الحلف المشار إليه، يصبح عملا لا إنسانيا و لا أخلاقيا.

فكيف إذا كانت المساومه فيما بين المستجدي، و الضحية، قد بلغت حدا نتجت عنه تعقيدات نزل الوحي الشيطانى بها على هؤلاء رغم أن المصادر لم تتحدث عنها؟!.

و فوق ذلك، فقد بلغ الصلف، و الظلم، و الإبتزاز حدا من الدناءه و السوء جعل محمدا- و العياذ بالله- يفكر فى أن يحملهم القسط الأكبر فى ٢.

ديه رجلين لم يكن لهم فى قتلهمآ يد، لا- من قريب، ولا- من بعيد، و ينزل الوحى الشيطانى أيضا على هؤلاء ليقول لهم: إن محمدا قد فكر فى ذلك، لكن راق لليهود أن يدفعوا أقل ..

و لكن اليهود المظلومين (!! الذين وقعوا فى فخ الأطماع الرخيصة (!! عادوا فاستسلموا لهذا الظلم المقيت (!! و أعلنوا أنهم على استعداد لأعطاء جواب مرض.

ثم تعاملوا مع هذا الذى يريد أن يبتزهم بأخلاقه عالية و نبيله، حين طلبوا منه أن يستريح، بينما كانوا يعدون له الطعام ..

مزيد من التجنى:

ثم يتابع هذا الحاقد كلامه عن ذكر إرسال النبى (صلى الله عليه و آله) إليهم يأمرهم بمغادره المدينه، تحت طائله الموت فى مده عشره أيام، على أن يبقى نخلهم لهم؛ و يحتفظوا بنصف المحصول، فيقول:

(إن هذا الإنذار لا يتناسب مع الإهانه، أو الإدعاءات الغامضه، بصدد خيانه مقصوده ..

و مع ذلك يمكن لهذه الادعاءات: أن لا تبدو غامضه لرجل غربى فى أيامنا هذه؛ فقد كان الفريقان يعلمان كيف عامل بعض المسلمين كعب بن الأشرف. و كان محمد يعلم جيدا- حسب الآراء السائده فى الجزيره العربيه انذاك- أنه إذا سنحت الفرصه المناسبه انتهزها أعداؤه، و قتلوه. و كان التأخير فى إعطاء الجواب لإتاحه الفرصه لقتله، و لهذا اعتبر عملا عدائيا .. (١).

و نقول:٣.

إننا لم نفهم السبب فى وضوح هذه الإدعاءات، و خروجها عن الغموض لخصوص الرجل الغربى فى أيامنا هذه (!!).

كما أن هذا الباحث (!!) لم يقل لنا: ما هو حجم الإنذار الذى يتناسب مع الإهانه و الخيانه، إذا كان إنذاره (صلى الله عليه و آله) لا يتناسب معهما (!!).

فهل يقصد هذا الباحث (!!) أن المفروض هو أن يكون قتل بنى النضير هو الجزاء العادل لخيانتهم، و تأمرهم، و نقضهم للعهد؟

أم أنه يقصد: أن طلب الجلاء منهم مع إحتفاظهم بنخلهم، و يكون لهم نصف المحصول، كان جزاء ظالما، لا يصح طلبه من الخائن المتآمر، الناقض للعهد، و الموثيق؟! ..

و بعد .. فان هذا الباحث (!!) يريد أن يوحى لقراءه بأن كعب بن الأشرف قد قتل مظلوما أيضا، و أن المسلمين قد عاملوه بقسوه لا يستحقها.

و لا- ندرى إن كان قبل أن يظهر تعاطفه مع هذا الرجل قد اطلع على سلسله خيانات ابن الأشرف، و مواقفه الظالمه، و سعيه الحثيث للايقاع بالمسلمين، أم لم يطلع على شىء من ذلك ..

و هل يستطيع: أى نظام حكم غربى - يدعى لنفسه الحضاره و الرقى - فى هذا العصر، أن يحكم على أمثال كعب بن الأشرف و يجازيه بأقل مما حكم عليه به المسلمون، و جازوه به؟! ..

و بعد كل ما تقدم، لماذا اعتبر هذا الباحث: أن ما يذكره النبى (صلى الله عليه و آله) و المسلمون عن خيانات بنى النضير، و تأمرهم، و نقضهم العهد مجرد إدعاءات غامضه؟! و ها نحن نراها واضحه وضوح الشمس، و تقدم تفصيلات وافيه، مستندها الوحي الإلهى عن خطط

اليهود، و موافقهم. و لم يستطع اليهود: أن يدفعوا التهمه عن أنفسهم، و لا حاولوا ذلك و لو مره واحده ..

هذا كله، عدا عما تقدم من أن أخبار المؤامره و الخيانه قد وصلت إلى المسلمين أيضا عن طريق بعض اليهود أنفسهم (١).

و نكتفى بهذا القدر من الأسئلة، التي لن تجد لها لدى هؤلاء الحاقدين جوابا مقنعا و مفيدا ..

فإنما هي:

(شنشنه أعرفها من أخزم).

١- تقدم ذلك مع مصادره حين الكلام عن إخبار المرأه أخاها المسلم عن تأمر اليهود على حياه النبي (صلى الله عليه و آله).

ص: ٧٩

الفصل الثالث: القرار و الحصار

اشاره

القرار الحكيم:

لقد كان من المتوقع - بعد نقض بنى النضير للعهد، و خيانتهم الظاهره - أن يكون قرار النبي (صلى الله عليه و آله) هو حربهم و قتالهم، و إباده خضرائهم؛ فإن ذلك هو الجزاء العادل لكل خائن و غادر، و لا سيما إذا كان يخطط و يتآمر، ثم يعمل على تنفيذ خططه بضرب الإسلام فى الصميم، على مستوى ضرب مقام النبوه و القيادة فى أعلى مستوياتها، و أخلص تجلياتها.

و لكن الملاحظ هو أن الرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله) قد آثر أن يعامل بنى النضير - كما عامل بنى قينقاع قبلهم - بمزيد من الرفق و التسامح، و لعل ذلك يرجع إلى الأمور التاليه:

١- إن هؤلاء القوم قد عاشوا دهرا فى هذه المنطقه، و أصبحت لديهم الكثير من العلاقات الإقتصاديه و التجاريه، و غيرها، إلى جانب علاقات الصداقه و المحبه مع سائر أهل البلاد الذين قبل كثير منهم الإسلام دينا و هداهم الله للايمان ..

و إذن .. فقد يعز على الكثيرين ممن لهم معهم علاقات كهذه أن يروهم و قد حاقت بهم المصائب و البلايا، و اختطفت الكثيرين منهم أيدي المنايا، فيعتبرون أنهم قد عوملوا بقسوه بالغه، و بلا شفقه و لا رحمه، و قد كان يمكن أن يكون الموقف أكثر مرونة و انعطافا و ملاءمه من ذلك.

٢- إن الكثيرين من الناس كانوا مبهورين بأهل الكتاب و اليهود بالذات، و ينظرون إليهم على أنهم مصدر العلوم و المعارف، و عندهم الكثير من الخفايا و الأسرار .. و على هذا فقد يفسر ضربهم بقسوه على أنه ناشىء عن حاله من التخوف منهم، أو الحسد و البغى عليهم. و إذا كان كذلك فلا- حرج من أن يتخيلهم المتخيلون شهداء و أبطالاً لا بد من التأسف عليهم، بل و الحنين إليهم ..

٣- و من جهه أخرى، فإن رؤيه ذلهم و صغارهم، ثم مراقبه ما يصدر منهم خلال ذلك من مواقف ماكره و عادره، و من مخالقات صريحه للأعراف، و لأحكام العقل و الفطره، و الضمير، لسوف يساهم فى كشف زيفهم و خداعهم و غشهم للإسلام و للمسلمين.

كما أن رؤيه الكرامات الإلهيه الظاهره، و التأييدات الربانيه الخفيه منه تعالى لنبيه و للمسلمين، و نصره تعالى عليهم لسوف يرسخ حقايقه موقف الإسلام، و نبى الإسلام منهم.

هذا .. مع توفر المزيد من الفرص للإنسان المسلم الواعى للتأمل و التدبر فى ذلك كله، بعيداً عن الإنفعالات و التشنجات، و فى منأى عن أعمال التضليل و التزوير، التى ربما يمارسها الكثيرون من المنافقين، و باقى اليهود الذى يتعاطفون معهم.

و من هنا .. فقد جاء قرار إجلائهم عن المدينه ليكون القرار الحكيم و الصائب، و ليكون هو الأوفق و الأنسب و الأقرب لتحقيق الأهداف الإلهيه الساميه و الكبرى.

و قد أبلغهم النبى الأعظم (صلى الله عليه و آله) بقراره هذا، عن طريق رسول أرسله إليهم، ليرى ماذا يكون جوابهم و يعلم الناس حقيقه موقفهم ..

لماذا كان الرسول أوسيا؟:

إن النص التاريخي يقول: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) حين أراد أن ينذر بنى النضير، قال: أدعوا لى محمد بن مسلمه، فحين أتى أرسله إليهم يندرهم بوجوب مغادرتهم مساكنهم (١) ولا بد لنا من وقفه هنا، لنعلم السر فى إختياره (صلى الله عليه وآله) هذا الرجل بالذات - محمد بن مسلمه - ليكون رسوله إلى يهود بنى النضير، فنقول:

إن الأوس كانوا حلفاء لبنى النضير (٢)، و لربما كان يدور بخلداهم أن يكون للأوس دور إيجابى لصالحهم، و لا أقل من أن يكون لهم موقف فيه شىء من العطف، و عدم القسوه تجاههم ..

إذا عرفنا ذلك، فإن إختيار رجل الأوس ليحمل رساله النبى (صلى الله عليه وآله) إليهم يأمرهم فيها بالجلاء، لسوف يزيد من بأسهم، و يضاعف من تخوفاتهم و هو يمثل ضربه روحيه موفقه ساهمت فى المزيد من إضعاف معنوياتهم، و جعلتهم يراجعون حساباتهم بجديه، ثم يرضخون للأمر الواقع.

و يكفى أن نذكر شاهدا على ذلك: أنهم حين جاءهم محمد بن مسلمه الأوسى بالخبر، قالوا: ٤.

١- الثقات ج ١ ص ٢٤١ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٥٥٢، و المغازى للواقدى ج ١ ص ٣٦٧ و دلائل النبوه لأبى نعيم ص ٤٢٧. و إرسال محمد بن مسلمه إليهم موجود فى مختلف المصادر، فراجع على سبيل المثال: السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٤ و تفسير القمى ج ٢ ص ٣٥٩ و اعلام الورى ص ٨٩ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٠ و مجمع البيان ج ٩ ص ٢٥٨ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٤٧ و البحار ج ٢٠ ص ١٦٠ و ١٦٤ و ١٦٩ عن بعض من تقدم، و عن الكازرونى و غيره. و راجع سائر المصادر التى سلفت و ستأتى.

٢- دلائل النبوه لأبى نعيم ص ٤٢٥ و راجع: مغازى الواقدى ج ١ ص ٣٦٤.

(يا محمد، ما كنا نظن: أن يجيئنا بهذا رجل من الأوس.

فقال محمد بن مسلمة: تغيرت القلوب، و محا الإسلام العهود.

فقالوا: نتحمل.

فأرسل إليهم عبد الله بن أبي: لا تخرجوا إلخ .. (١).

بل في بعض النصوص: أن محمد بن مسلمة هو الذى تولى إخراجهم من ديارهم (٢).

و قال الواقدي: (كان محمد بن مسلمة الذى ولى قبض الأموال و الحلقة، و كشفهم عنها) (٣).

و واضح: أن ذلك أيضا يضاعف ذلهم و خزيهم، و يزيد من آلامهم، و قد كان يفترض فيهم: أن يأخذوا من ذلك عظه و عبره، و أن يرجعوا حساباتهم، بشأن هذا الرسول و دعوته؛ فقد تبين لهم أن الإسلام قد هيمن على القلوب و غيرها، و محا الإسلام العهود، و معنى ذلك هو أن ثمة رعايه إلهيه له (صلى الله عليه و آله)، و لدينه، و رسالته الظافره، و قد تجاوزت هذه الرعايه كل التوقعات، و قلبت جميع الموازين لديهم، و لدى غيرهم من المشركين، الذين كانوا يعيشون فى المنطقه، و كانوا يتعاملون مع النبى (صلى الله عليه و آله) و مع الدين الذى جاء به من موقع التحدى، و المكابره، و الجحود .. فما كان أحراهم بعد أن عاينوا ما عاينوا من آيات بينات، و من كرامات و معجزات، أن يسلموا و يشهدوا لنبى الإسلام بالرساله و النبوه، و لكنهم لم يفعلوا .. بل جحدوا بها و استيقنتها أنفسهم ٧.

١- الثقات ج ١ ص ٢٤١ و المغازى للواقدي ج ١ ص ٣٦٧.

٢- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٠ و البحار ج ٢٠ ص ١٦٥ عن الكازرونى و غيره، و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٢ و المغازى للواقدي ج ١ ص ٣٧٤.

٣- المغازى للواقدي ج ١ ص ٣٧٧.

حامل اللواء:

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلى (عليه السلام): تقدم إلى بنى النضير، فأخذ أمير المؤمنين الراية، و تقدم، و جاء رسول الله (صلى الله عليه وآله)، و أحاط بحصنهم (١).

و حسب نص آخر: و حمل لواء رسول الله (صلى الله عليه وآله) على بن أبى طالب (٢).

و لكن الواقدي قال: (و قد استعمل عليا (عليه السلام) على العسكر، و قيل: أبا بكر) (٣).

و نقول: لا بد من الإشارة هنا إلى أمرين:

الأول: بالنسبة لاستعمال أبى بكر على العسكر، فإنه قول منسوب إلى مجهول، لم يجرؤ الواقدي على ذكر اسمه، و لا مستنده، و نحن نشك في كونه مختلعا و موضوعا على أبى بكر؛ و ذلك لما قدمناه من أن عليا كان ٥.

١- تفسير القمى ج ٢ ص ٣٥٩ و عنه فى البحار ج ٢٠ ص ١٦٩ و الصافى ج ٥ ص ١٥٤.

٢- الثقات ج ١ ص ٢٤٢ و الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٥٨ و الوفاء ص ٦٨٩ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦١ و البحار ج ٢٠ ص ١٦٥ عن الكازرونى و غيره، و راجع: الكامل فى التاريخ ج ٢ ص ٧٤ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٥٥٥ و زاد المعاد ج ١ ص ٧١ و حبيب السير ج ١ ص ٣٥٥ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٤-٢٦٥ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦١.

٣- المغازى للواقدي ج ١ ص ٣٧١ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٥.

صاحب لواء رسول الله (صلى الله عليه وآله) في بدر وفي كل مشهد (١).

وقد صرحوا بأنه (صلى الله عليه وآله) لم يؤمر على على أحدا (٢)، وقد كان (عليه السلام) في غزاه بنى النضير، فكيف يكون قد أمر أبا بكر عليه؟!

وعدا عن ذلك كله .. فإن أبا بكر لم يكن معروفا بالشجاعه والإقدام، إن لم نقل: إن الأمر كان على عكس ذلك تماما، حسبما أوضحناه في الجزء الثالث من هذا الكتاب، حين الكلام حول حرب بدر، وما يذكر من شجاعه أبي بكر فيها، لبقائه مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في العريش.

ومن الواضح: أن إماره الجيوش وراياتها إنما تكون بيد الشجعان وأصحاب النجده، قال على (عليه السلام): وهو يحث أصحابه على القتال:ه.

١- راجع: ترجمه الإمام على أمير المؤمنين، من تاريخ ابن عساكر (بتحقيق المحمودى) ج ١ ص ١٤٥. و ذخائر العقبى ص ٧٥ عن أحمد في المناقب، و الطبقات الكبرى ج ٣ قسم ١ ص ١٤ و كفايه الطالب ص ٣٣٦ و فى هامشه عن كنز العمال ج ٦ ص ٣٩٨ عن الطبرانى، و راجع: هامش ص ١٨٠ من احتجاج الطبرسى عن الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٦٧ و ٢٠٢ عن نظام الملك فى أماليه. و راجع أيضا مناقب أمير المؤمنين لابن المغازلى ص ٢٠٠ و المناقب للحوارزمى ص ٢٥٨ و ٢٥٩ و عمده القارىء ج ١٦ ص ٢١٦ و مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٥٠٠ و تلخيصه بهامش نفس الصفحه للذهبي و صحاحه على شرط الشيخين و المصنف لعبد الرزاق ج ٥ ص ٢٨٨ و حياه الصحابه ج ٢ ص ٥١٤-٥١٥ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٣٤ و فتح البارى ج ٦ ص ٨٩ عن أحمد و أسد الغابه ج ٤ ص ٢٠ و أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودى) ج ٢ ص ١٠٦، و شرح النهج للمعتزلى الشافعى ج ٦ ص ٢٨٩، و الغدير للعلامه الأمينى ج ١٠ ص ١٦٨ عنه.

٢- المناقب لابن شهر آشوب ج ٤ ص ٢٢٣ و البحار ج ٤٧ ص ١٢٧ عنه.

(ورايتمكم فلا تميلوها، ولا تجعلوها إلا بأيدي شجعانكم، و المانعين الذمار منكم؛ فان الصابرين على نزول الحقائق، هم الذين يحفون براياتهم و يكتفونها؛ حفا فيها، و وراءها، و أمامها، لا يتأخرون عنها فيسلموها، و لا يتقدمون عليها، فيفردوها) (١).

و لعل الهدف من تلك الأكذوبه التي نسبها الواقدي إلى القيل هو التشكيك فيما هو حق و صدق فيما يرتبط بعلي (عليه السلام)، و التخفيف من حده النقد الموجه إلى أبي بكر، بسبب ما عرف عنه من إحجام عن خوض الغمرات، و الفرار في مواطن الخطر، و التحدي الحقيقي، كما جرى له في أحد و خيبر و غيرهما، مما هو مسطور في كتب الحديث و التاريخ.

الثاني: إن من الواضح: أن حملة (عليه السلام) لراه رسول الله (صلى الله عليه و آله)، و قيادته للعسكر لمّا يزيد في رعب اليهود، و يهزمهم نفسياً. كيف لا .. و قد كانت أخبار مواقفه و بطولاته في بدر- و كذا في أحد، لو صح كون غزوه بنى النضير بعدها، و قد استبعدناه- قد أرهبت و أرعبت القاصي و الداني، من أعداء الله و أعداء رسوله و دينه.

فهو قد قتل نصف قتلى المشركين، و شارك في قتل النصف الثاني في حرب بدر، و في أحد- لو كانت القضية بعدها- كان الفتح و حفظ الإسلام على يديه، و قد آثرت قريش الفرار على البقاء و القرار، حينما علمت أنه (عليه السلام) يلاحقها في غزوه حمراء الأسد، رغم ما كانت تشعر به من زهو و خيلاء بالنسبة للنتائج التي تمخضت عنها حرب أحد.٩.

١- نهج البلاغه ج ٢ ص ٥ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٥ ص ١٧ و الفتوح لابن أعمش ج ٣ ص ٧٣ و صفيين ص ٢٣٥ و الكافي ج ٥ ص ٣٩.

الفتح على يد علي (عليه السلام):**أشاره**

لما توجه رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى بني النضير عمد إلى حصارهم، فضرب قبته في أقصى بني خطمه من البطحاء. فلما أقبل الليل رماه رجل من بني النضير بسهم، فأصاب القبه، فأمر النبي (صلى الله عليه وآله) أن تحول قبه إلى السفح، و أحاط بها المهاجرون والأنصار. (و عند الواقدي: أنها حولت إلى مسجد الفضيخ).

فلما اختلط الظلام فقدوا أمير المؤمنين (عليه السلام)؛ فقال الناس: يا رسول الله، لا نرى عليا. فقال (صلى الله عليه وآله): أراه (١) في بعض ما يصلح شأنكم؛ فلم يلبث أن جاء برأس اليهودي الذي رمى النبي (صلى الله عليه وآله) - و كان يقال له: عزورا- فطرحه بين يدي النبي (صلى الله عليه وآله).

فقال له النبي (صلى الله عليه وآله): كيف صنعت؟

فقال: إني رأيت هذا الخبيث جريا شجاعا؛ فكمنت له، و قلت: ما أجرأه أن يخرج إذا اختلط الليل، يطلب منا غره.

فأقبل مصلنا بسيفه، في تسعه نفر من اليهود؛ فشددت عليه، و قتلته، فأفلت أصحابه، و لم يبرحوا قريبا؛ فابعث معي نفرا فإني أرجو أن أظفر بهم.

فبعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) معه عشرة، فيهم أبو دجانة سماك بن خرشه، و سهل بن حنيف؛ فأدركوهم قبل أن يلجوا الحصن؛ فقتلوهم، و جاؤا برؤوسهم إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فأمر أن تطرح في بعض آبار بني خطمه.

و كان ذلك سبب فتح حصون بني النضير م.

١- في مغازي الواقدي و السيرة الحلييه: دعوه فإنه في بعض شأنكم.

و فى ذلك يقول حسان بن ثابت:

لله أى كريهه أبليتهابنى قريظه و النفوس تطلع

أردى رئيسهم و آب بتسعهطورا يشلهم و طورا يدفع يشلهم بالسيف: يضربهم و يطردهم.

و حسب نص الواقدى و دحلان: أن القبه كانت من غرب (ضرب من الشجر) عليها مسوح، أرسل بها إليه سعد بن عباده فأمر بلالا فضربها فى موضع المسجد الصغير الذى بفضاء بنى خطمه و صلى بالناس فى ذلك الفضاء، فلما رماها، (عزوك) بالسهم حولت إلى مسجد الفضيف.

إلى أن تقول الروايه: فيئسوا من نصرهم، فقالوا: نحن نخرج من بلادك الخ (١).

و نحن نسجل هنا الأمور التاليه:

١- الحكمة .. و المعجزه:

إن تحويل النبي الأكرم (صلى الله عليه و آله) قبه إلى السفح، حتى لا تنالها يد العدو، يعطينا: أنه (صلى الله عليه و آله) كان يتحرك من موقع الحكمة و التدبير، وفقا لأحكام العقل و جريا على مقتضيات الفطره.

و أما المعجزه، و التصرف الإلهى الغيبى، فإنما كان فى حالات خاصه، حيث تمس الحاجه لذلك، و تفرضه ضروره حفظ الإسلام، و رمزه الأول، كما كان الحال بالنسبه لإخبار جبرائيل (عليه السلام) للنبي (صلى ٢).

١- راجع ما تقدم فى المصادر التاليه: الإرشاد للمفيد ص ٤٩ ٥٠ و البحار ج ٢٠ ص ١٧٢-١٧٣ و مناقب آل أبى طالب ج ١ ص ١٩٦-١٩٧ و المغازى للواقدى ج ١ ص ٣٧١-٣٧٢ و كشف الغمه للإربلى ج ١ ص ٢٠١ و ٢٥٥ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٥ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٢.

اللّٰه عليه و آله) بتأمر بنى النضير على حياته (صلى الله عليه و آله)، حينما ذهب إليهم يستمددهم فى ديه العامرين، حسبما تقدم .. و كما كان الحال بالنسبه إلى الإمداد بالملائكه فى حرب بدر، إلى غير ذلك من موارد فرضت التدخل الإلهى، و حدوث المعجزه و الكرامه، من أجل حفظ الإسلام فى منطلقاته الأساسيه، و فى رموزه الأولى و الكبيره.

و لعل تحول النبى (صلى الله عليه و آله) إلى السفح بعد وصول النبل إلى تلك الخيمه كان يهدف إلى تعليم المسلمين هذا الدرس بالذات بالاضافه إلى دروس أخرى تأتي ..

٢- الشعور بالمسؤوليه:

إن تحرك أمير المؤمنين (عليه الصلاه و السلام) لمواجهة الخطر اليهودى إنما جاء من منطلق الإحساس بالمسؤوليه، و نتيجته للشعور بالواجب، و الثقه باللّٰه سبحانه .. حتى و لو لم يصدر الأمر به من رسول اللّٰه (صلى الله عليه و آله)، تفاديا لبعض السلبيات.

و هذا الإحساس و الشعور لم نجده عند سائر الصحابه، الذين كانوا حاضرين مع النبى (صلى الله عليه و آله)، و شهدوا ما شهدوه على (عليه السلام)، و عاينوا ما عاينه.

٣- الأسرار العسكريه:

إن سريه تحرك أمير المؤمنين (عليه الصلاه و السلام)، و عدم إفصاح النبى (صلى الله عليه و آله) عن طبيعه المهمه التى كان أمير المؤمنين بصدد تحقيقها، حتى إنه (صلى الله عليه و آله) لم يشر إلى أن طابعها كان عسكريا أو استطلاعيا، أو تموينيا، أو غير ذلك ..

إن هذه السريه مطلوبه فى كل عمل عسكري- إلا ما كان ذا طبيعه

خاصه- ليتمكن تحقيق الأهداف المتوخاه من ذلك العمل على النحو الأفضل و الأكمل.

و قد كان من الطبيعي أن يتسرب الخبر في ظروف كهذه إلى بنى النضير- لو أفصح به النبي (صلى الله عليه و آله)- عن طريق المنافقين، و لعل ذلك يؤدي إلى تفويت الكثير من الفرص، و إلى أن تفقد العمليه عناصر هامه من شأنها أن تساعد على إحراز نصر كبير فيها. كأن يتمكن بنو النضير من نجده سررتهم العامله، و لا أقل من تمكن المنافقين من مساعده عناصر السريه اليهوديه على الفرار و النجاه، أو الإختفاء في الأمكنه المناسبه لذلك ..

٤- دراسه شخصيه العدو:

إن قول أمير المؤمنين (عليه السلام): (إني رأيت هذا الخبيث جريًا شجاعا؛ فكمنت له، و قلت: ما أجرأه أن يخرج إذا اختلط الليل، فيطلب منا غره) يعطينا: أنه لابد من دراسه حالات العدو، و خصائصه النفسيه، فإن لذلك أثرا كبيرا في العمل العسكري، و له دور هام في تعيين مستقبل الحرب، و أسلوب حركتها و نتائجها.

٥- إستباق مخططات العدو:

و إن كلمه أمير المؤمنين (عليه السلام)، الآنفه الذكر، لتعطينا: أنه لابد من أن يكون لدى الكوادر القياديه القدره على التنبؤ بما يمكن أن يخطط له العدو، و طرح كافة الإفتراضات و الخيارات التي يمكن أن يلجأ إليها، لمواجهتها من موقع الوعي و الدراسه و التخطيط، حتى لا تتحول إلى مفاجأ يتعامل معها من موقع العفويه و الإرتجال، و رده الفعل، و الانفعال ..

٦- العمليات الوقائية:

و بعد .. فلم تكن مبادره أمير المؤمنين لإفشال المخططات المحتمل للعدو إلا إيذانا بضروره القيام بعمليات وقائيه، و ضرب العدو في مواقعه، و بصوره مفاجئه، و قويه، فإن ذلك من شأنه أن يلحق به هزيمه نفسيه، فضلا عن الهزيمه العسكريه الساحقه ..

٧- إرهابات:

إن شعر حسان الأنف الذكر يدل على أن عليا (عليه الصلاه و السلام) هو الذي آب بالتسعه، و أنه قد قتل بعضهم، و آب بالبعض الآخر أحياء .. و لعل دور العشره الذين أرسلهم رسول الله (صلى الله عليه و آله) معه قد اقتصر على أمور ثانويه و هامشيه في عمليه أسر التسعه، أو قتلهم، و إن الدور المصيري و الأهم إنما كان لأمير المؤمنين (عليه السلام).

و لأجل ذلك لا يصغى إلى ما ذكره الحلبي، حينما ذكر إرسال العشره مع علي (عليه السلام) لقتل التسعه فقتلوهم، و طرحوهم في بعض الآبار.

حيث قال الحلبي: (.. و في هذا رد على بعض الرافضه حيث ادعى: أن عليا هو القاتل لأولئك العشره) (١).

٨- الفتح على يد علي (عليه السلام):

و كان من الطبيعي: أن يكون لهذه الضربه تأثير كبير على معنويات بني النضير، و أن يضح الرعب في قلوبهم، فإن تصدى رجل واحد من المسلمين لعشره منهم، ثم قتل. العشره جميعا، يؤذن بأن المسلمين قادرون على إبادتهم، و استئصال شأفتهم بسهولة و يسر. ٥.

و إذا كان يمكن اعتبار حرق الأشجار و قطعها تهديدا، و ممارسه لمستوى من الضغط، قد يتم التراجع عنه، حين يؤول الأمر إلى سفك الدماء، و إزهاق الأرواح، فإن هذا التراجع قد أصبح غير محتمل على الإطلاق، بعد أن باشر المسلمون عملا عسكريا بهذا المستوى، و بهذه الشده و الصلابه و التصميم ..

و لقد باشر هذا الأمر رجل هو أقرب الناس إلى رسول الله، و أعرفهم بنواياه و آرائه، و أشدهم اتباعا له، رجل عرفوا بعض مواقف المرعبه فى بدر و ربما فى أحد .. و هو على بن أبى طالب (عليه الصلاه و السلام) ..

إذن .. و بعد أن تخلى عنهم حلفاءهم، و لم يف لهم المنافقون بما و عدوهم به، فإنهم لم يبق لهم إلا هذه الأحجار التى يختبئون خلفها- كالفئران- و لكن إلى أى حد يمكن لهذه الحجارة أن تدفع عنهم، و كيف و أنى لهم برد هجوم الجيش الإسلامى عنها حين يصمم على تدميرها؟!!

فقد جاءهم ما لم لم يكن بالحسبان، فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَ قَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ (١) و (كان ذلك سبب فتح حصون بنى النضير) كما تقدم فى النص السابق ..

و من جهه أخرى، فان الضربه الموفقه لابد و أن تقوى من معنويات الجيش الإسلامى. و قد حصّنته من أن يصاب بالضعف و الوهن لدى مواجهه الأولى مع عدو لا يرى سيلا- إليه، ما دام بالحصون المنيعه، بالإضافة إلى قدرات قتاليه عاليه لديه بنظر الكثيرين.

و مما ذكرناه يتضح معنى العبارة المنقوله عن النبى (صلى الله عليه و آله) هنا، حينما سئل عن على (عليه السلام) حيث يقول: (أراه فى بعض ما يصلح شأنكم). ٢

فإن هذه العمليه كان لها أثر كبير فى إصلاح شأن المسلمين - كل المسلمين - و إفساد أمر أعدائهم، و دحرهم و كسر شوكتهم، حيث أتاهم الله من حيث لم يحتسبوا.

٩- قتل قائد المجموعه:

و نلاحظ أيضا: أن الهدف العسكرى الذى وضعه على (عليه السلام)، هو قائد المجموعه بالذات، و هذا العمل يعتبر نموذجيا و ناجحا عسكريا مائه فى المائه، فان حدوث فراغ على مستوى القيادة يزعزع كل الثوابت، و يفقد المجموعه بأسرها كل فاعليتها و حيويتها، و تتحول إلى ركام خاو و رماد خامد.

١٠- الإشكال فى شعر حسان:

و يلاحظ: أن شعر حسان قد ذكر: أن هذه القضية وقعت فى بنى قريظه، لكن الروايه تنص على حدوث ذلك فى بنى النضير، و هذا تناقض ظاهر، و لعل ملاءمه كلمه: (بنى قريظه) لوزن الشعر، أكثر من كلمه (بنى النضير) يؤيد: أن يكون الشعر صحيحا و غير محرّف ..

و لكن هذا المقدار لا يكفى للحكم على الروايه بالتلاعب و التصرف فيها ..

و ذلك لأن الروايه قد صرحت بأنه (صلى الله عليه و آله) فى حصار بنى النضير قد ضرب قبه فى أقصى بنى خطمه من البطحاء.

و هذا يعنى: أن بنى خطمه كانوا يسكنون فى مجاوره بنى النضير.

و إذن فمن المفيد أن نحدد موقع بنى خطمه، و بنى النضير، و بنى قريظه؛ ليتضح من ثم أن حصول التلاعب فى الشعر هو الأقرب و الأنسب فنقول:

تحديد المواقع:

أما بالنسبة لبني قريظه، فانهم يقولون: إنهم نزلوا بالعاليه على وادي مهزور (١) و ذلك حيث يقع مسجد بني قريظه، الذي هو شرقي مسجد الشمس (أعنى مسجد الفضيخ) الذي يقع هو الآخر شرقي مسجد قباء (٢) في الحره الشرقيه، المعروفه بحره واقم، و تسمى حره بني قريظه أيضا، لانهم كانوا بطرفها القبلي (٣).

أما بنو النضير، فقد نزلوا بالعاليه أيضا على وادي مدين، و هو شعبه من سيل بطحان (٤) و قد نقل ابن عساكر و الحموي عن الواقدي: أن منازلهم كانت بناحيه الغرس و ما والاها مقبره بني حنظله (٥) أو خطمه (٦).

قال السهمودي: (الظاهر: أنهم كانوا بالنواعم، و تمتد منازلهم و أموالهم إلى ناحيه الغرس، و إلى ناحيه الصافيه، و ما معها من صدقات النبي (صلى الله عليه و آله) و بعض منازلهم كانت بجفاف، لأن فاضجه (أطم لبني النضير معجم البلدان ج ٤ ص ٢٣١) به، و رأيت بالحره في شرقي النواعم آثار حصون و قريه بقرب مدين، يظهر أنها من جمله ٣.

١- وفاء الوفاء ج ١ ص ١٦١ و ج ٣ ص ١٠٧٦ و راجع: معجم البلدان ج ١ ص ٣٤٦ و ج ٥ ص ٢٣٤.

٢- راجع: وفاء الوفاء ج ٣ ص ٨٢٣ و ٨٢١ و راجع: مرآه الحرمين ج ١ ص ٤١٩.

٣- راجع: وفاء الوفاء ج ٤ ص ١١٨٨.

٤- راجع وفاء الوفاء ج ١ ص ١٦١ و ج ٣ ص ١٠٧٦ و راجع: معجم البلدان ج ١ ص ٤٤٦ و ج ٥ ص ٢٩٠ و ٢٣٤.

٥- وفاء الوفاء ج ٣ ص ١٠٧٥ و ١٠٧٦ و ج ١ ص ١٦١ و معجم البلدان ج ٤ ص ١٩٣.

٦- التنبيه و الإشراف ص ٢١٣.

منازلهم (١).

و أما منازل بنى خطمه، فإن المطرى يقول: إنها قرب مسجد الشمس بالعوالي (٢).

لكن السهمودى قد رد على ذلك بقوله: (و الأظهر عندنا: أنهم بقرب الماجشونيه، لقول ابن شبه فى سيل بطحان: إنه يصب فى جفاف، و يمر فيه، حتى يفضى إلى فضاء بنى خطمه، و الأعرس، و قوله فى مدينب: إنه يلتقى هو و سيل بنى قريظه بالمشارف، فضاء بنى خطمه.

و سيأتى: أن ذلك عند تنور النوره، الذى فى شامى الماجشونيه. و قد رأيت آثار القرية و الآطام هناك (٣).

إذا عرفت هذا فإننا نقول:

إن الروايه هى الصحيحه، و إن شعر حسان هو الذى تعرض للتلاعب العفوى أو المعتمد؛ و ذلك لأن الروايه قد صرحت - كما صرح غيرها - بأن فضاء بنى خطمه ملاصق للمواقع المحاصره، لأن السهام كانت قد نالت القبه التى ضربها النبى (صلى الله عليه و آله) فى أقصى بنى خطمه. و قد كان بنو خطمه قرب بنى النضير لا قرب بنى قريظه .. و كان الفاصل بين قريظه و النضير شاسع جدا، فقد كان بنو قريظه جنوبى المدينه شرقى مسجد قباء، و مسجد الشمس، فى الطرف القبلى للحره الشرقيه.

أما بنو النضير، فقد كانوا شرقى المدينه المتمايل إلى جهه الشام شمالا ..

و نحن فى مقام التدليل على هذين الأمرين: أعنى بعد قريظه عن ٧.

١- وفاء الوفاء ج ١ ص ١٦٣.

٢- وفاء الوفاء ج ١ ص ١٩٨ و ج ٣ ص ٨٧٣.

٣- وفاء الوفاء ج ٣ ص ٨٧٣ و راجع ص ١٠٧٥ - ١٠٧٧.

النضير، و قرب بنى خطمه من هؤلاء لا أولئك نقسم الكلام إلى قسمين؛ فنقول:

١- بنو النضير شرقى المدينة:

أما بالنسبة لكون بنى النضير شرقى المدينة؛ فيدل على ذلك:

أولاً: قال ابن كثير: (كانت منازل بنى النضير ظاهر المدينة على أميال منها، شرقياً) (١).

و ثانياً: إن الصافيه، و برقه، و الدلال و الميثب متجاورات بأعلى الصورين، من خلف قصر مروان بن الحكم (٢).

و هذه المواضع المشار إليها هي من أموال مخيريق، التى أوصى بها إلى النبى (صلى الله عليه و آله)، و كان هذا الرجل من بنى النضير، و كانت حوائطه سبعة، و هى الأربعة المتقدمه بالإضافه إلى: حسنى، و الأعواف، و مشربه أم إبراهيم.

و قيل: بل هو من يهود بنى قينقاع، كان نازلاً ببني النضير، و كانت أمواله فيهم، و هى عامه صدقات رسول الله (صلى الله عليه و آله) (٣).

و عليه.. فإذا كانت تلك المواضع الأربعة متجاورات بأعلى الصورين، و كانت من أموال بنى النضير، فنقول إنهم يقولون إن الصورين يقعان فى أدنى الغابه، و الغابه فى عوالى المدينة من جهة الشام (٤). ٥.

١- تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٣١.

٢- راجع: تاريخ المدينة ج ١ ص ١٧٣ و وفاء الوفاء ج ٣ ص ٩٩٣.

٣- راجع: فتح البارى ج ٦ ص ١٤٨ و معجم البلدان ج ٥ ص ٢٩٠-٢٩١ و تاريخ المدينة ج ١ ص ١٧٥ و وفاء الوفاء ج ٣ ص ٩٨٩ و ٩٩٠ عنه و عن ابن زباله.

٤- راجع: وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٧٥.

و حسب نص آخر: أنها كانت على بريد من المدينة على طريق الشام (١). (و الصوران أيضا موقع فى البقيع (٢). و البقيع يقع داخل المدينة) و ليس هذا الموضع قرب قصر مروان، فلا يتوهم ذلك.

و ثالثا: قد صرحوا بأن مشربه أم إبراهيم، و هى من أموال بنى النضير، من مخيريق، قد كانت فى (القف)، كما أن سائر أموال مخيريق قد كانت بقرب القف أيضا (٣).

و معلوم: أن القف يقع فى شرقى المدينة، لأن زهره مما يليه، كما سنرى (٤).

و رابعا: قد صرحوا بأن بنى النضير كانوا يسكنون فى قريه يقال لها: زهره (٥).

و زهره تقع فى شرقى المدينة، و بها تقع الصافيه (٦). التى كانت من أموال مخيريق، و صارت إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله).

كما أنهم قد ذكروا: أن زهره هى الأرض السهله بين الحره و السافله مما يلى القف (٧).٩.

-
- ١- معجم البلدان ج ٤ ص ١٨٢.
 - ٢- معجم البلدان ج ٣ ص ٤٣٢.
 - ٣- راجع: وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٢٩ و ١٢٣٠ و فى ج ٣ ص ٨٢٦ عن الإستيعاب.
 - ٤- راجع: وفاء الوفاء ج ٣ ص ٩٧٨.
 - ٥- راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٠ و البحار ج ٢٠ ص ١٦٤ عن الكازرونى و غيره، و فى هامشه عن: المنتقى فى مولود المصطفى ص ١٢٥. و راجع أيضا: بهجه المحافل ج ١ ص ٢١٤ و لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٤.
 - ٦- راجع: وفاء الوفاء ج ٣ ص ٩٩٣.
 - ٧- وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٢٩.

و لعل التعبير الأدق، أن يقال: إن زهره مما يلي طرف العالیه، و ما نزل عنها، فهو السافله و أدنى العالیه ميل من المسجد (١).

و خامسا: إن سهم عثمان الذى أعطاه إياه رسول الله (صلى الله عليه و آله) من بنى النضير أيضا (٢).

و غافر و البرزتان أيضا، و هما من طعم أزواج النبی (صلى الله عليه و آله) من بنى النضير (٣). و فى بئر أريس أيضا (٤).

و لعل كيدمه هى نفس الجزع الذى بقرب مشربه أم إبراهيم، و المعروف بالحسينيات، (و هو قريه فى زهره) و يعرف بلفظ (كيادم) بصيغه الجمع (٥).

ثم إن السهمودى بعد أن ذكر: أن المعروف اليوم هو بئر أريس غربى مسجد قباء، و أنها ليهودى من بنى محم.م.

قد رد ذلك بأن ما تقدم من كون سهم عثمان و عبد الرحمان بن عوف من بنى النضير موجود فيها يدل على خلاف ذلك؛ لأن بنى النضير، و بنى محم لم يكونوا بقباء. لا- سيما و أن ابن زباله يذكر: أن مهزورا يشق فى أموال عثمان، يأتى على أريس، و أسفل منه، حتى يتبطن السورين، فصرفه عثمان مخافه على المسجد الذى فى بئر أريس.

و من الواضح: أن الموضع المعروف بقباء لا يمكن وصول شىء ٦.

١- وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٣٠.

٢- راجع: وفاء الوفاء ج ٣ ص ٩٤٤ و ستأتى بعض المصادر لكيدمه و كونها سهم ابن عوف من بنى النضير فى فصل: كى لا يكون دوله بين الأغنياء.

٣- وفاء الوفاء ج ٣ ص ٩٩٢ عن ابن زباله و راجع ص ٩٩٣.

٤- راجع: وفاء الوفاء ج ٣ ص ٩٩٢ و ج ٤ ص ١١٣٩.

٥- راجع: وفاء الوفاء ج ٣ ص ٩٤٥-٩٤٦.

من مهزور إليه (١).

و سادسا: روى عن جعفر: أن سلمان كان لناس من بنى النضير؛ فكاتبوه على أن يغرس لهم نخلا، ثم أفاءها الله على نبيه، فهي الميثب صدقه النبي (صلى الله عليه و آله) بالمدينه (٢).

و فى روايه أخرى: أن امرأه من بنى النضير قد كاتبت سلمان على أن يحيى لها موضعا اسمه (الدلال). فأعلم النبي (صلى الله عليه و آله) بذلك، فجاء، فجلس على (فقير)، ثم جعل يحمل إليه الودى؛ فيضعها (صلى الله عليه و آله) بيده، فقال: (و الذى تظاهر عندنا: انها) (أى الدلال) من أموال بنى النضير، و مما يدل على ذلك: أن مهزورا يسقيها، و لم يزل يسمع أنه لا يسقى إلا أموال بنى النضير (٣).

قال السهمودى: (الذى يتحصل من مجموع ما تقدم: ان نخل سلمان الذى غرسه هو (الدلال) و قيل: برقه، و الميثب) و قيل:

(الميثب) (٤).

مناقشه للسهمودى لا تصح:

و قد ذكر السهمودى هنا: أن (الفقير) الذى جلس عليه النبي إسم الحديقه بالعالیه، قرب بنى قريظه.

ثم أورد على ذلك بأن (الفقير) ليس من صدقات النبي (صلى الله عليه و آله)، و إنما هو من صدقات على (عليه السلام) (٥).

١- المصدر السابق.

٢- وفاء الوفاء ج ٣ ص ٩٩١.

٣- تاريخ المدينه ج ١ ص ١٧٤.

٤- وفاء الوفاء ج ٣ ص ٩٩١.

٥- راجع: وفاء الوفاء ج ٣ ص ٩٩٢ و ج ٤ ص ١٢٨٢ و تاريخ المدينه ج ١ ص ٢٢٢.

و نقول: إننا نلاحظ هنا: أن التعبير الوارد هو (جلس على فقير).

فإذا كان هذا اللفظ إسما لحديقه، لم يصح قوله: جلس عليه، بل يقال:

ذهب إليه، و جلس فيه، أو فى بعض جوانبه و نواحيه. و الصحيح هو: أن (الفقير) هو الحفره التى توضع فيها النخله حين غرسها. فالنبي (صلى الله عليه و آله) قد جلس فوقها بانتظار أن يأتيه سلمان بالودى ليضعه فيها؛ فصح أن يقال حينئذ: جلس على فقير ..

مناقشه أخرى وردها:

و لكن يبقى إيراد آخر، و هو: أن روايه رواها أحمد و الطبرانى و غيرهما تفيد: أن الذى اشترى سلمان هو رجل من بنى قريظه (١).

و يدل على ذلك أيضا: نفس كتاب المفاداه الذى صرح باسم ذلك الرجل، و انه قرظى (٢).

و نقول: إنه يمكن أن يكون ذلك القرظى زوجا لمالكة سلمان، التى كانت نضيريه. و كانت أموالها فى منطقه قبيلتها. و قد تولى زوجها كتب الكتاب عنها، و ذلك ليس بالأمر الغريب، و لا البعيد عن المؤلف.

٢- قرب بنى خطمه إلى بنى النضير:

أ- و أما بالنسبه للقسم الثانى، أعنى قرب بنى خطمه من منازل بنى النضير، و بعدهم عن منازل بنى قريظه، فيدل على ذلك بالإضافة إلى صراحه نفس الروايه التى هى موضع البحث فى ذلك: بى.

١- الثقات ج ١ ص ٢٥٤ و وفاء الوفاء ج ٣ ص ٩٩١.

٢- راجع كتابنا: سلمان الفارسى فى مواجهه التحدى، الفصل الثانى.

أولاً: قول المسعودي: (كانت منازل بني النضير، بناحية الغرس، و ما والاها و مقبره بني خطمه) (١).

ثانياً: تصریحهم بان بئر غرس، حيث منازل بني النضير، إنما تقع في جهة بني خطمه (٢). فبنو خطمه إذن هم في منطقه زهره منازل بني النضير ..

و ثالثاً: إن فضاء بني خطمه يقع شامى الماجشونيه - كما ذكره السهمودي (٣) - و الماجشونيه تقع قرب تربه صعيب و بلحارث، كما أن منازل بني النضير تقع بناحية الغرس، و هي قرب تربه صعيب أيضاً (٤).

و ذلك يعنى: أن بني خطمه كانوا قرب بني النضير، لا قرب بني قريظه.

و رابعاً: إن مما يدل على بعد بني خطمه عن بني قريظه:

أن البويره التى وقع الحريق فيها قد كانت قرب تربه صعيب و دار بلحارث بن الخزرج و ليست هي البويره المعروفه في قبله مسجد قباء.

و يدل على ذلك ما رواه ابن زباله، من أنه (صلى الله عليه و آله) قد وقف على السيره التى على الطريق، حذو البويره؛ فقال: إن خير نساء و رجال في هذه الدور. و أشار إلى دار بني سالم، و دار بلحبلبي، و دار بلحارث بن الخزرج. ٨.

١- التنبيه و الإشراف ص ٢١٣.

٢- راجع: وفاء الوفاء ج ٣ ص ٩٧٨.

٣- راجع: وفاء الوفاء ج ٣ ص ٨٧٣ و راجع ص ١٠٧٥-١٠٧٧.

٤- راجع: وفاء الوفاء ج ١ ص ١٩٧ و ١٩٨ و ج ٤ ص ١١٥٧ و ١٢٩٨.

و هذا الوصف لا يطابق الموضع الذى فى قبله مسجد قباء؛ لبعده جدا (١).

و قد أكد السمهودى فى غير موضع من كتابه على هذا الأمر، ورد القول بأن البويره هى فى قبله مسجد قباء، فراجع (٢).

بل لقد ذكر البعض: أن البويره موضع بين المدينه و تيماء (٣) و لكن العسقلانى قد زاد على ذلك قوله: (و هى من جهه قبله مسجد قباء إلى الغرب) (٤).

و معلوم: أن تيماء موضع بين المدينه و الشام. و منازل بنى قريظه إنما هى قبلى المدينه شرقى مسجد قباء أى فى الجهه المقابله لجهه الشام، فكيف يتلائم قول العسقلانى هذا مع قوله بأنها إلى جهه تيماء؟! و مما يؤكد قول السمهودى المتقدم: أنهم يقولون فى قصه إجلاء بنى النضير: (فخرجوا على بلحارث بن الخزرج، ثم على الجبليه، ثم على الجسر، حتى مروا بالمصلى، ثم شقوا سوق المدينه، و النساء فى الهوداج) (٥).

و حين همّ اليهود بالغدر برسول الله (صلى الله عليه و آله) و رجع إلى المدينه، و تبعه أصحابه لقوا رجلا خارجا من المدينه، فسألوه: هل لقيت رسول الله (صلى الله عليه و آله). ٤.

١- وفاء الوفاء ج ٣ ص ١١٥٧.

٢- المصدر السابق.

٣- شرح بهجه المحافل ج ١ ص ٢١٤ و فتح البارى ج ٧ ص ٢٥٦.

٤- فتح البارى ج ٧ ص ٢٥٦.

٥- المغازى للواقدى ج ١ ص ٣٧٤.

قال: لقيته بالجسر داخلا (١).

و خامسا: و مما يدل على ذلك أيضا: أن وادي مهزور يأتي من شرقي الحره، و من هكر، و حره صفه، حتى يأتي على حلاه بنى قريظه.

ثم يسلك منه شعيب؛ فيأخذ على بنى أميه بن زيد بين البيوت فى واد يقال له مدينب، ثم يلتقى و سيل بنى قريظه بفضاء بنى خطمه، ثم يجتمع الواديان: مهزور، و مدينب، فيفترقان بالأموال (٢)، و يدخلان فى صدقات رسول الله كلها إلا مشربه أم إبراهيم، ثم يفضى إلى السورين على قصر مروان بن الحكم (٣).

و نص آخر يقول: أن دار بنى أميه بن زيد شرقي دار الحارث بن الخزرج، أى أنهم كانوا قرب النواعم، و يمر سيل مدينب بين بيوتهم ثم يسقى الأموال، و يشهد لذلك: أن ابن إسحاق ذكر فى مقتل كعب بن الأشرف- و كان من بنى النضير- أن محمد بن مسلمه و من معه بعد أن قتلوه سلكوا حسب قول ابن مسلمه على بنى أميه بن زيد، ثم على بنى قريظه ثم على بعث إلى آخره (٤).

فقد اتضح من هذا النص: أن فضاء بنى خطمه متصل بالأموال و الصدقات (التي هى فى زهره، و من أموال بنى النضير) و أن قريظه منفصله عن فضاء بنى خطمه بنى أميه بن زيد.

١- المغازى للواقدي ج ١ ص ٣٦٦.

٢- هى أموال مخيريق التي أوصى بها إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله)، و يعبرون عنها بالصدقات لما سيأتى فى فصل: كى لا يكون دوله بين الأغنياء.

٣- راجع وفاء الوفاء ج ٣ ص ١٠٧٧.

٤- راجع: وفاء الوفاء ج ٣ ص ٨٧٤ و ج ٤ ص ١١٥٠.

خلاصه أخيره:

و أخيراً، فإن المتحصل مما تقدم هو: أن النبي (صلى الله عليه و آله) قد نصب قبه في أقصى بني خطمه، و كانت نبال المحاصرين تناله، فانتقل إلى السفح، و هناك صلى بأصحابه.

و أن بني النضير كانوا أقرب إلى بني خطمه من بني قريظه ..

و كان بنو قريظه قبلى المدينه شرقى مسجد قباء، أما بنو النضير فكانوا شرقى المدينه إلى جهه الشام و شتان ما بينهما .. و كل ذلك يؤيد أن يكون الشعر هو المحرّف، و الروايه هى الصحيحه ..

مناقشه مع الواقدي:

و يبقى أن نشير هنا: إلى أن ما ذكره الواقدي، و دحلان، من أن المسلمين قد جعلوا القبه أولاً عند مسجد بني خطمه، فلما رماها (عزوك) اليهودى بالسهم، حولت إلى مسجد الفضيخ.

ان هذا لا يصح، و ذلك:

أولاً: لأن مسجد الفضيخ يقع شرقى مسجد قباء، على شفير الوادى، على نشز من الأرض (١).

و قد عرفنا: أن منازل بني النضير بعيده عن هذا الموضع جداً، كما أن فضاء بني خطمه كان بعيداً أيضاً.

إلا أن يقال: إن كون مسجد الفضيخ فى قباء، موضع شك، و لا يصح، و إنما هو فى بني خطمه، و سيأتى ما يدل على هذا حين الكلام عن تحريم الخمر. ٨.

و ثانيا: إن النصوص تصرح بأنه (صلى الله عليه وآله) قد ضرب قبه في أقصى بني خطمه، على مرمى سهم من بني النضير ..
و يبعد أن يخط بنو خطمه مسجدهم في أقصى ديارهم، إلى جانب بني النضير.

قطع النخل، أو حرقه:

و تذكر الروايات: أن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) قد أمر المسلمين بقطع نخل بني النضير، و التحريق فيه، و كان ذلك في موضع يقال له البويره؛ فناده اليهود: أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد، و تعيب من صنعه، فما بال قطع النخل و تحريقها، فأنزل الله:

مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنِهِ أَوْ تَرَكْتُمْهَا قَائِمَةً عَلَى أَصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَ لِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ (١) مع

١- الآيه فى سورة الحشر رقم ٥. و أمر الرسول (صلى الله عليه وآله) بحرق و قطع النخل موجود فى المصادر التاليه: جامع البيان ج ٢٨ ص ٢٣ و أسباب النزول للواحدى ص ٢٣٧ و ٢٣٨ و مسند الحميدى ج ٢ ص ٣٠١ و مسند أبى عوانه ج ٤ ص ٩٧ و الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٥٨ و فتوح البلدان قسم ١ ص ١٩-٢٠ و الجامع الصحيح ج ٤ ص ١٢٢ و ج ٥ ص ٤٠٨ و مسند أحمد ج ٢ ص ٨ و ٥٢ و ٨٠ و ٨٦ و ١٢٣ و ١٤٠ و مسند الطيالسى ص ٢٥١ و المبسوط للسرخسى ج ١٠ ص ٣١-٣٢ و سنن الدارمى ج ٢ ص ٢٢ و المحلى ج ٧ ص ٢٩٤ و وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٩٠ و دلائل النبوه لأبى نعيم ص ٤٢٩ و سيره مغلطاي ص ٥٣ و معجم البلدان ج ١ ص ٥١٢ و صحيح البخارى ج ٣ ص ١١ و ١٢٨ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ٥٠ و ١٤٧ و ١٤٩ و ١٥٠ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٧٩ و ٧٧ و الثقات ج ١ ص ٢٤٢ و مناقب آل أبى طالب ج ١ ص ١٩٧. و الأحكام السلطانيه ص ٦٤ و فتح البارى ج ٧ ص ٢٥٤ و ٢٥٦ و الروض الأنف ج ٣ ص ٢٥٠ و سنن ابن ماجه ج ٢ ص ٩٤٨ و جوامع الجامع

زاد البعض: أن أهل التأويل قالوا: (وقع في نفوس المسلمين من هذا الكلام شىء، حتى أنزل الله: ما قطعتم من لينه إلى آخره (...)(١).

هل هذا العدد صحيح!؟

قال ابن شهر آشوب: (أمر بقطع نخلايت .. إلى أن قال: ثم أمسك عن قطعها بمقالهم، و اصطلحوا أن يخرجوا) (٢) (و قيل: أحرقوا نخله، ٧).

-
- ١- راجع: الروض الأنف ج ٣ ص ٢٥٠ و فتح القدير ج ٥ ص ١٩٦ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦١ و تعليقات محمد فؤاد عبد الباقي على سنن ابن ماجه ج ٢ ص ٩٤٩.
 - ٢- مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٧.

و قطعوا نخله، و قيل: كان جميع ما قطعوا و أحرقوا ست نخلات (١).

و نحن نشك في أن يكونوا قد قطعوا هذا العدد القليل من النخل، أو أحرقوه، فان قطع نخله واحده، و حتى ست نخلات، لا يوجب خضوع بنى النضير، و قبولهم بالجلاء، و خزي الفاسقين بصوره عامه، كما نصت عليه الآيه الكريمه.

كما أنه لا يوجب نزول آيه قرآنيه تتحدث عن هذا الأمر، و تخلده كأسلوب ناجح في إرعاب العدو و إرهابه ..

فإنه لا بد أن يكون القطع قد بلغ حدا جعلهم يجنحون إلى الإستسلام، و القبول بما يريد الرسول، ثم نزلت آيه كريمه تتحدث عن هذا الموضوع، و تفصل الأمر فيه، و تحسم فيه النزاع.

تفاصيل أخرى في حرق و قطع النخيل:

و جزعوا على قطع العجوه، فجعل سلام بن مشكم يقول: يا حبي العذق خير من العجوه، يغرس فلا يطعم ثلاثين سنه، يقطع.

فأرسل حبي إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله): يا محمد، إنك كنت تنهى عن الفساد، لم تقطع النخل؟ نحن نخرج من بلادك.

فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله): لا أقبله اليوم إلخ (٢).

(و كانت النخله ثمن و صيف، و أحب إليهم من و صيف) (٣). ٤٦

١- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦١ و البحار ج ٢٠ ص ١٦٥ عن الكازروني و غيره، و فتح القدير ج ٥ ص ١٩٦ و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٦ و السيره الحليه ج ٢ ص ٢٦٦ و القول الأول ذكره في الأحكام السلطانيه ص ٦٤.

٢- المغازي للواقدي ج ١ ص ٣٧٣.

٣- البحار ج ٢٠ ص ١٦٥ عن الكازروني و غيره، و لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٦

و جاء فى نص آخر: أن (الذى حرق نخلهم و قطعها عبد الله بن سلام، و عبد الرحمان بن كعب، أبو ليلى الحرانى، من أهل بدر. فقطع أبو ليلى العجوه، و قطع ابن سلام اللون، فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله): لم قطعتم العجوه!؟

قال أبو ليلى: يا رسول الله، كانت العجوه أحرق لهم و أغيظ، فنزل: ما قطعتم من لينه أو تركتموها الآية .. الصحيح من سيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج ١٠٩٨ تفاصيل أخرى فى حرق و قطع النخيل: ص: ١٠٨ فنادوا: يا محمد، قد كنت تنهى عن الفساد إلخ (١).

و صرحت بعض النصوص بأن النبى (صلى الله عليه و آله) قد استعمل ابن سلام، و أبا ليلى المازنى على قطع النخل (٢). أو أمرهما (٣).

أو أشار إليهما بذلك (٤).

و أضاف الديار بكرى قوله: (أما أبو ليلى فكان يقطع أجود أنواع التمر، و هى العجوه، و يقول: قطع العجوه أشد عليهم. و أما عبد الله بن سلام، فكان يقطع أردأ أنواع التمر، و هو تمر يقال له: اللون، و يقول:

إنى أعلم: أن الله سيجعلها للمسلمين الخ ..) (٥). ن.

١- الثقات ج ١ ص ٢٤٢ و راجع التفسير الكبير ج ٢٩ ص ٢٨٣ و حبيب السير ج ١ ص ٣٥٥ و المغازى للواقدى ج ١ ص ٣٨١ و السيره الحليه ج ٢ ص ٢٦٥.

٢- المغازى للواقدى ج ١ ص ٣٨١ و السيره الحليه ج ١ ص ٢٦٥ و الإصابه ج ٢ ص ٤٢٠.

٣- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦١ عن روضه الأحاب و راجع المغازى للواقدى ج ١ ص ٣٧٢.

٤- حبيب السير ج ١ ص ٣٥٥.

٥- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦١ و راجع: المغازى للواقدى ج ١ ص ٣٧٢ و ليراجع: الكشاف ج ٤ ص ٥٠١ و ٥٠٢ و التفسير الكبير ج ٢٩ ص ٢٨٣ لكنهما لم يسميا الرجلين.

فلما قطعت العجوه شق النساء الجيوب، و ضربن الخدود، و دعون بالويل؛ فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله): ما لهن؟!
فقال: يجزعن على قطع العجوه.

فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله): إن مثل العجوه جزع عليه.

إلى أن قال: فلما صحن صاح بهن أبو رافع: إن قطعت العجوه ها هنا، فإن لنا بخير عجوه.

قالت عجوز منهن: خير يصنع بها مثل هذا.

فقال أبو رافع: فض الله فاك، إن حلفائي بخير عشرة آلاف مقاتل؛ فبلغ رسول الله (صلى الله عليه و آله) فتبسم.

و نحن نسجل هنا الأمور التاليه:

لماذا ابن سلام؟!

إننا نجد: أنه (صلى الله عليه و آله) قد استعمل ابن سلام- و هو كان من اليهود، من علمائهم- مع ذلك الرجل البدرى على قطع نخل يهود بنى النضير .. و من الطبيعى أن يكون لذلك أثر ظاهر فى بث اليأس فى نفوسهم، و فى إذلالهم و خزيهم، و يساهم فى كسر شوكتهم، و يثير فيهم المزيد من الحنق، و الغيظ و الألم، و هم ذوو الغطرسة، و العنجهيه و الخيلاء، كما سيأتى توضيحه فى موضعه إن شاء الله تعالى.

٢- شكوك تصل إلى حد التهمه:

و نلاحظ هنا: كيف أن ابن سلام قد اختار أردأ أنواع التمر، على

الرغم من أنه (صلى الله عليه وآله) قد أمر بقطع النخل بصورة مطلقة، ولم يقيد بشيء، ورغم أنه قد كان من الواضح: أن الهدف من هذا الإجراء هو الضغط على هؤلاء القوم، وإغاثتهم، وإذلالهم. وذلك إنما يتحقق بقطع ما له أثر ظاهر في ذلك، كما فهمه وعمل به ذلك الرجل البدرى، الذى جعله الرسول إلى جانب ابن سلام.

ولا نريد أن نسترسل فى شكوكنا حول ابن سلام هذا ونواياه؛ فنتهمه بالتعاطف مع اليهود الذين كان فى وقت ما أحد علمائهم وكبرائهم، حسبما يذكره التاريخ عنه.

ولعل هذه الشكوك تجد لها أكثر من مؤيد، وشاهد فيما ينقل عن هذا الرجل من مواقف، وأقوال، وإتجاهات، وأحوال، ولا سيما بعد وفاه الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم).

ولسنا هنا فى صدد عرض ذلك واستقصائه، فلنكف عنان القلم - إذن - إلى ما هو أهم، ونفعه أعم وأتم.

البعض لم يفهم الآية:

ومن العجيب هنا قول البعض: (لما أمر النبى صلى الله عليه وآله وسلم بقطع النخل، وإحراقها ترددوا فى ذلك، فمنهم الفاعل، ومنهم الناهى، ورأوه من الفساد وغيرهم اليهود بذلك، فنزل القرآن العظيم بتصديق من نهى، وتحليل من فعل، فقال تعالى: ما قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنِهِ أَوْ تَرَكَتُمْوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَ لِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ (١)).

مع أن الآية ظاهره الدلالة فى تأييد أولئك الذين امتثلوا أمر النبى (صلى الله عليه وآله)، وأن أمره إنما كان بإذن الله، وليس من عند نفسه ٥.

فالآيه في الحقيقه قد جاءت لتقريع و تأنيب المخالفين لأمر الرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله) لكن هذا الرجل قد عكس الآيه في مفادها و مدلولها.

و لم يلتفت إلى المراد منها.

٣- الحرق أم القطع!؟

و بعد... فإننا نجد النصوص التاريخيه تكاد تكون مجمعه على أنه (صلى الله عليه و آله) قد حرق النخيل، و لكن الآيه الكريمه التي نزلت في هذه المناسبه لم تشر إلى ذلك أصلا، و إنما سجلت القطع فقط، فلربما يكون الأمر منه (صلى الله عليه و آله) قد صدر بالقطع دون الحرق، فكان الحرق من بعض المسلمين، إجتهدا منهم، و لعله لم يكن ثمه حرق أصلا، و الله أعلم.

الحكم الفقهي في قطع الأشجار و حرقها:

لقد أفتى عدد من الفقهاء بحرمه قطع الأشجار في الحرب، إلا في حال الضروره (١).

و حكم كثير من الفقهاء بالكراهه (٢). ٠٩.

١- راجع: المهذب لابن البراج (مطبوع ضمن الينايع الفقيهيه) كتاب الجهاد ص ٨٨ مقيدا للأشجار ب: (المثمره) و في منتهى المطلب ج ٢ ص ٩٠٩ عن أحمد، و قد حكى القول بعدم الجواز عن الليث بن سعد، و أبي ثور، و الأزاعي فراجع: فتح الباري ج ٥ ص ٧ و الجامع الصحيح ج ٤ ص ١٢٢ و فقه السيره ص ٢٨٠ و عن شرح النووى على صحيح مسلم ج ١٢ ص ٥٠.

٢- تذكره الفقهاء ج ١ ص ٤١٢ و ٤١٣ و راجع: السرائر ص ١٥٧ و تحرير الأحكام ج ١ ص ١٣٥ و شرائع الإسلام ج ١ ص ٣١٢ و القواعد (المطبوع مع الإيضاح) ج ١ ص ٣٥٧ و الجامع لأحكام الشرائع ص ٢٣٦ و منتهى المطلب ج ٢ ص ٩٠٩.

وقيده البعض بصورة ما لو رجي صيرورته للمسلمين، و كان مما يقتات به (١).

حرق النخل، و الفساد فى الأرض:

و قد عرفنا فى ما تقدم: أن التاريخ يؤكد على أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) هو الذى أمر بحرق نخل بنى النضير، أو قطعه و قد تحدث القرآن عن القطع هذا، بأسلوب الرضا و القبول، حسبما تقدم ..

و روى أيضا: أنهم قد قطعوا الشجر و النخل بالطائف، بالاضافه إلى قطع النخل بخيبر، و روى أيضا قطع شجر بنى المصطلق و إحراقه (٢).

و عن أسامه بن زيد قال: بعثنى رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم إلى قريه يقال لها:

(أبنى). فقال: (إئت أبني صباحا ثم حرق). أى بيوتهم و زروعهم، و لم يرد تحريق أهلها (٣).

و فى مجال آخر فإنه (صلى الله عليه و آله) قد أمر بحرق مسجد الضرار و هدمه (٤).٩.

١- الروض الأنف ج ٣ ص ٣٥٠.

٢- راجع: تذكره الفقهاء ج ١ ص ٤١٢ و راجع أيضا: السرائر ص ١٥٧ و الجواهر ج ٢١ ص ٦٧ و منتهى المطلب ج ٢ ص ٩٠٩ و المبسوط للشيخ الطوسى ج ٢ ص ١١ و المبسوط للسرخسى ج ١٠ ص ٣٢.

٣- سنن ابن ماجه ج ٢ ص ٩٤٨ و هامشه لمحمد فؤاد عبد الباقي، و المبسوط للسرخسى ج ١٠ ص ٣١ و سنن أبى داود ج ٣ ص ٣٨ و أحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ٤٢٩ و مسند أحمد ج ٥ ص ٢٠٥ و ٢٠٩.

٤- راجع: زاد المعاد ج ٣ ص ١٧ و التنبيه و الإشراف ص ٢٣٧ و التراتيب الإداريه ج ١ ص ٣٠٩.

و أمر (صلى الله عليه و آله) بتحريق متاع الغال (١).

و روى أنه (صلى الله عليه و آله) هم بحرق بيوت تاركي صلاه الجماعه (٢).

و قد بلغه (صلى الله عليه و آله): أن ناسا من المنافقين يجتمعون فى بيت سويلم اليهودى يثبطون الناس عن رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم فى غزوه تبوك فبعث إليهم نفرا، و أمرهم أن يحرقوا عليهم بيت سويلم (٣).

و بعد ما تقدم .. فإن السؤال الذى يتطلب منا الإجابة هنا هو:

إنه إذا كان رسول الله قد أمر بذلك كله، أو هم به؛ فكيف نوفق بين أمره هذا و بين فتوى الفقهاء بالحرمة، أو بالكراهه، حسبما تقدم!!؟

بل لقد ورد: أنه (صلى الله عليه و آله) كان حين يرسل سريره، ٩.

١- زاد المعاد ج ٢ ص ٦٦ و سنن الدارمى ج ٢ ص ٢٣١ و الجامع الصحيح ج ٤ ص ٦١ و سنن أبى داود ج ٣ ص ٦٩ و مسند أحمد ج ١ ص ٢٢.

٢- زاد المعاد ج ٣ ص ١٧ و السنن الكبرى ج ٣ ص ٥٥ و ٥٦ و سنن أبى داود ج ١ ص ١٥٠ و سنن الدارمى ج ١ ص ٢٩٢ و مسند أحمد ج ١ ص ٢٩٢ و ٤٠٢ و ٤٢٢ و ٤٤٩ و ٤٥٠ و ج ٢ ص ٢٢٤ و ٢٩٢ و ٢١٤ و ٣١٩ و ٣٦٧ و ٣٧٦ و ٣٧٧ و ٤١٦ و ٤٢٤ و ٤٧٢ و ٤٧٩ و ٥٣١ و ٥٣٩ و ج ٥ ص ٢٠٦ و صحيح مسلم ج ٢ ص ١٢٣ و ١٢٤ و فيض البارى ج ٢ ص ١٩١ و صحيح البخارى ج ١ ص ٧٨ و ٧٩ و ج ٢ ص ٤٠ و ج ٤ ص ١٥٩ و التراتيب الإداريه ج ١ ص ٨٩ و ٩٠ و المعجم الصغير ج ٢ ص ٥٧ و ج ١ ص ١٧٢. و الجامع الصحيح ج ١ ص ٤٢٢ و سنن النسائى ج ٢ ص ١٠٧ و سنن ابن ماجه ج ١ ص ٢٩٦ و الموطاء (مطبوع مع تنوير الحوالك) ج ١ ص ١٥٠.

٣- راجع: السيره النبويه لابن هشام ج ٤ ص ١٦٠ و التراتيب الإداريه ج ١ ص ٣٠٩.

يوصيهم بأن لا يقطعوا شجرا إلا أن يضطروا إليها (١).

و عن ثوبان: أنه سمع رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول:

(من قتل صغيرا، أو كبيرا، أو أحرق نخلا، أو قطع شجره مثمره، أو ذبح شاه لهابها، لم يرجع كفافا) (٢).

أضف إلى ذلك كله: أن اليهود أنفسهم قد اعترضوا على النبي (صلى الله عليه وآله) بأنه ينهى عن الفساد، فلم يقطع النخل؟! و قد تقدم ذلك ..

جواب السهيلي، لا يصح:

فقد يقال في مقام الإجابة على ذلك إستنادا إلى روايه ثوبان المتقدمه: أن المنهى عنه هو قطع الشجر المثمر، و على حد تعبير السهيلي: أنه (صلى الله عليه وآله) إنما أحرق ما ليس بقوت للناس.

قال السهيلي: (لينه: ألوان التمر، ما عدا العجوه، و البرني؛ ففي هذه الآية: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يحرق من نخلهم إلا ما ليس بقوت للناس.

و كانوا يقتاتون العجوه ..

(ثم ذكر أهميه العجوه و البرني، ثم قال):

ففي قوله تعالى: مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنِهِ. (و لم يقل: من نخله، على العموم) تنبيه على كراهه قطع ما يقتات، و يغذو من شجر العدو. إذا رجي ٦.

١- الكافي ج ٥ ص ٣٠ و البحار ج ١٩ ص ١٧٧-١٩٩ و تذكره الفقهاء ج ١ ص ٤١٢ و ٤١٣ و منتهى المطلب ج ٢ ص ٩٠٨ و ٩٠٩ و جواهر الكلام ج ٢١ ص ٦٦ و الوسائل ج ١١ ص ٤٣ و ٤٤ و المحاسن للبرقي ص ٣٥٥ و في هامشه عن الوسائل، و عن التهذيب ج ٢ ص ٤٦.

٢- مسند أحمد ج ٥ ص ٢٧٦.

أن يصير إلى المسلمين. وقد كان الصديق (رض) يوصى الجيوش ألاً يقطعوا شجراً مثمراً. و أخذ بذلك الأوزاعي؛ فإما تأولوا حديث بنى النضير، و اما رأوه خالصاً للنبي (عليه السلام) (١).

و لكننا لا نوافق السهيلي على ما قاله، و ذلك لما يلي:

أ: بالنسبه لما ذكره فى معنى اللينه، نجد كثيرا من أهل اللغة لا يوافقونه على ما ذكره فى معناها، فقد:

قال الراغب و غيره: (ما قطعتم من لينه: أى من نخله ناعمه، و مخرجه مخرج فعله، نحو حنطه، و لا يختص بنوع منه دون نوع). و كذا نقل عن ابن زيد، و عمرو بن ميمون، و مجاهد (٢).

و قال: سعيد بن جبير، و مالك، و الخليل، و يزيد بن رومان، و رجحه النووى، و كذا قال الفراء و الزهرى، و عكرمه، و قتاده، و ابن عباس، و نسب إلى أهل المدينه: اللينه (كل شىء من النخل سوى العجوه؛ فهو من اللين، و احدته لينه) (٣). ض.

١- الروض الأنف ج ٣ ص ٢٥٠ و راجع: فتح البارى ج ٧ ص ٢٥٦-٢٥٧ و أشار إلى أن العجوه كانت قوت بنى النضير فى السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٦.

٢- المفردات للراغب ص ٢٥٧ و راجع: التبيان ج ٩ ص ٥٥٩.

٣- راجع: لسان العرب ج ١٣ ص ٣٩٣ و ٣٩٥؛ و فتح البارى ج ٧ ص ٢٥٧ و عمدته القارىء ج ١٧ ص ١٢٨ و السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢٠٢ و شرح المحافل ج ١ ص ٢١٥ و التبيان ج ٩ ص ٥٥٩ و لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٦ و جامع البيان ج ٢٨ ص ٢٢ و فتح القدير ج ٥ ص ١٩٧، و مجمع البيان ج ٩ ص ٢٥٩ و البحار ج ٢٠ ص ١٦١ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦١ و تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٣٣ و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٨ و أحكام القرآن لابن العربى ج ٤ ص ١٧٦٨ و يلاحظ: أن المذكورين فى المتن قد ذكرت أسماءهم فى بعض المصادر دون بعض.

وقال الزبيدي: كذا عن ابن عباس و مقاتل، و عن الحسن، و مجاهد و عطيه: (اللينه - بالكسر - النخل) (١).

و قيل: هي كل الأشجار (٢).

وقال سفيان: هي كرام النخل و كذا عن مجاهد، و ابن زيد (٣).

وقال آخر، و نسب ذلك إلى مجاهد، و عطيه: (ما قطعتم من لينه) الحشر / ٥: أى من نخل، و النخل كله، ما عدا البرنى (٤).

و عن مقاتل، هي: (ضرب من النخل يقال لثمرها: اللون، و هي شديده الصفرة، يرى نواها من خارج، تغيب فيها الأضراس، و كانت منه.

١- راجع تاج العروس ج ٩ ص ٣٣٨ و فتح البارى ج ٧ ص ٢٥٧ و أحكام القرآن لابن العربى ج ٤ ص ١٧٦٨ و عمدته القارىء ج ١٧ ص ١٢٦ و إرشاد السارى ج ٧ ص ٣٧٥ و جامع البيان ج ٢٨ ص ٢٢ و ٢٣ و فتح القدير ج ٥ ص ١٩٩ و ١٩٧ و أحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ٤٢٩ و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٩ و الجامع الصحيح للترمذى ج ٥ ص ٤٠٨ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦١ و لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٦ و جوامع الجامع ص ٤٨٦ و تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٣٣ و الأحكام السلطانيه ص ٦٥.

٢- شرح بهجه المحافل ج ١ ص ٢١٥ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦١ و عمدته القارىء ج ١٧ ص ١٢٨ و الأحكام السلطانيه ص ٦٥.

٣- عمدته القارىء ج ١٧ ص ١٢٨ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦١ و أحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ٤٢٩ و مجمع البيان ج ٩ ص ٢٥٩ و البحار ج ٢٠ ص ١٦١ عنه و شرح بهجه المحافل ج ١ ص ٢١٥ و لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٦ و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٩ و الأحكام السلطانيه ص ٦٥ و التبيان ج ٩ ص ٥٥٩ و مدارك التنزيل بهامش لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٦ و جامع البيان ج ٢٨ ص ٢٣ و غرائب القرآن مطبوع بهامشه ج ٢٨ ص ٣٧ و أحكام القرآن لابن العربى ج ٤ ص ١٧٦٨ و التفسير الكبير ج ٢٩ ص ٢٨٣ و الكشاف ج ٤ ص ٥٠٠.

٤- الدر النظيم فى لغات القرآن الكريم ص ٢٠٧ و راجع تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦١ عن مجاهد و عطيه.

أجود تمرهم، و أحبها إليهم، و كانت النخلة الواحده ثمن وصيف، و أحب إليهم من وصيف؛ فلما رأوهم يقطعونها شق عليهم (١). و قيل: هي الدقل (٢). إلى غير ذلك من أقوال.

ب: قولهم: إنه قطع اللين و ترك العجوه، لا تؤيده النصوص التاريخيه. فقد:

قال دحلان: (.. فقطع لهم نخل يسمى (العجوه)، و آخر يسمّى:

اللين. و كان ذلك أحرق لقلوبهم؛ لأن ذلك خير أموالهم؛ فلما قطعت العجوه شق النساء الجيوب، و ضربن الخدود، و دعون بالويل). و كذا قال غيره (٣).

زاد الحلبي قوله: و كانت العجوه خير أموال بني النضير لأنهم كانوا يقتاتونه (٤).

و عن الماوردي: و كانت العجوه أصل الإناث كلها، فلذلك شق على اليهود قطعها (٥).

و عن الإمام الصادق (عليه السلام) فى تفسير اللين: أنها العجوه خاصه (٦). ٣.

١- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦١ و إرشاد السارى ج ٧ ص ٣٧٥ و راجع: الأحكام السلطانيه ص ٦٤.

٢- الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ١٧٦٩ و الدقل: نوع من التمر، قيل: هو أردأ أنواعه. راجع: لسان العرب ج ١١ ص ٢٤٦.

٣- السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦١. و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٦.

٤- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٦.

٥- الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٩.

٦- فتح القدير ج ٥ ص ١٩٧ و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٩ و أحكام القرآن لابن العربى ج ٤ ص ١٧٦٨ و تفسير البرهان ج ٤ ص ٣١٣.

و تقدم: أن أبا ليلي قطع العجوه، و أن ابن سلام قطع اللون. و تقدم أنهم جزعوا على قطع العجوه، فراجع ما جاء تحت عنوان (تفاصيل أخرى في حرق و قطع النخيل).

ج: و لو قبلنا تفسير السهيلي لكلمه (لينه) فإن ما ذكره لا يحل الإشكال؛ ما دام أنه كان ينهى سراياه عن قطع مطلق الشجر، فكان يقول لهم: (و لا تقطعوا شجرا). و لا يختص ذلك بالشجر الذى يقتات منه، و لا بالشجر المثمر ..

د: و لو قبلنا أيضا أن المراد هو خصوص ما يقتات منه، فإن ما عدا العجوه و البرنى كان أيضا مما يقتات به، و يؤكل .. غاية الأمر أن جوده ثمره لم تكن فى مستواهما، و إنما هو ردىء بالنسبه إليهما.

ه: و لو قبلنا كل ما ذكره السهيلي فإننا نقول: إن قوله بكراهه قطع الشجر فى صورته ما لورجى أن يصير للمسلمين، فى غير محله؛ فإن النهى عن قطع الشجر مطلق، و لم يقيد بصوره الرجاء المذكور، نعم هو قد جاء على لسان الحبر اليهودى عبد الله بن سلام، و لم يعلم من النبى (صلى الله عليه و آله) أنه قبله و رضيه.

و: و أما قوله، إن الأوزاعى و أبا بكر: قد تأولا حديث بنى النضير، أو أنهما رأيا أنه مختص برسول الله (صلى الله عليه و آله) حيث منعا من قطع الشجر المثمر مطلقا. فليس فى محله أيضا؛ فانهما قد فهما ذلك من كلامه (صلى الله عليه و آله) فى نهيه عن قطع الشجر، فحكما بمقتضاه، و لم يخصصا حكمهما هذا بشخص و لا بشىء، و إنما هما قد وجدا: أنه (صلى الله عليه و آله) قد اضطر إلى قطع شجر بنى النضير، فأجازا ذلك للضرورة؛ فإن قطع الشجر لأجل الضروره مما رخص به النبى (صلى الله عليه و آله) فى نفس وصاياه لسراياه، حسبما ألمحنا إليه (١). و إذن .. فهما.

١- راجع ما تقدم عن قريب و راجع أيضا: ج ٣ ص ١٤٠ من هذا الكتاب.

لم يريا أن ذلك من الأحكام المختصة به (صلى الله عليه وآله).

ضروره قطع الأشجار، و حرقها:

لقد نزل القرآن ليرد على الذين عابوا قطع الأشجار، و ليؤكد على أن ذلك إنما كان بإذن من الله سبحانه، تماما كما كان ترك ما ترك منها بإذن الله تعالى ..

إذن، فلا بد لنا من التعرف على السر الكامن وراء تجويز هذا العمل، و صيرورته مقبولا، بعد أن كان مرفوضا، و مأذونا به بعد أن كان ممنوعا عنه.

ف نقول:

إن الذى يبدو لنا هو: أن بنى النضير أهل الزهو و الخيلاء، و العزه (١). كانوا يحسّون فى أنفسهم شيئا من القوه، و المنعه فى قبال المسلمين، و يجدون: أن بإمكانهم مواجهه التحدى، فيما لو أتيح لهم إطاله أمد المواجهه، حيث يمكنهم أن يجدوا الفرصه لإقناع حلفائهم بمعونتهم، و لا سيما إذا تحرك أهل خيبر الذين كان لديهم العده و العدد الكثير، حسبما تقدم فى كلمات سلام بن مشكم. كما أن ابن أبى و من معه قد يراجعون حساباتهم، و يفون لهم بما و عدوهم به من النصره و العون ..

و لا أقل من أن يتمكن ابن أبى و اتباعه من إحداث بلبله داخله، من شأنها إرباك المسلمين و زعزعه ثباتهم من الداخل ..

و قد يمكن لقريش، و لمن يحالفها من قبائل العرب أن يتحركوا أيضا لحسم الموقف لصالح بنى النضير، و صالحهم بصورة عامه ..

و لا أقل من أن يتمكن يهود بنى النضير من الإحتفاظ بمواقعهم، ..

١- سيتضح ذلك حين الكلام عن كونهم فى قومهم بمنزله بنى المغيره فى قريش، فانتظر ..

و بأرضهم و ديارهم، حين يجد المسلمون: أن مواصلة التحدى لهم لن تجدى نفعاً، ما داموا قادرين على الإحتماء بحصونهم، و الدفاع عنها مده طويله، فيتراجعون عن حربهم، و يتركونهم و شأنهم، من أجل التفرغ إلى ما هو أهم، و أولى.

و إذا كانت قضيه بنى النضير قد حصلت بعد وقعه أحد- و إن كنا لم نرتض ذلك- فلا بد أن يكون اليهود قد فكروا: أن محمدا (صلى الله عليه و آله) و أصحابه قد أصبحوا الآن فى موقف الضعف و التراجع، و لعل فى تسويق الوقت معهم، فى الوقت الذى يحس فيه المسلمون بالفشل و بالكارثة، نتيجة لما نزل بهم فى أحد، لسوف يجعلهم يفكرون فى انتهاج سبيل السلامه، و الإنسحاب من موقع التحدى إلى موقع المساومه، و من سبيل الحرب إلى سبيل السلم، و توفير الأمن، و مراعاة جانب هؤلاء و أولئك، و عدم إثارة العداوات الكبيره داخل بلادهم، و فى قلب مواضعهم و مواقعهم.

و أما إذا كانت قضيه بنى النضير قد حصلت قبل ذلك، و بعد ستة أشهر من حرب بدر، حسبما قويناه، استنادا إلى العديد من الدلائل و الشواهد ..

فلعل يهود بنى النضير قد فكروا: أن المسلمين لسوف لا يفرطون بهذا النصر الكبير الذى حققوه، و لعلهم على إستعداد لمداراه هؤلاء و أولئك، فى سبيل الحفاظ على صلابه الموقف، و ثباته و لسوف لا يقدمون على أى عمل من شأنه احداث خلخله فى بنيه مجتمعهم، و لعل اليهود يعتقدون: أن حرب بدر كانت أمرا اتفاقيا صنعته الصدفة، و الحظ السيء للمشركين. و ليس نتيجة قدرات حقيقه كانت لدى المسلمين. و إذن فليس ثمه ما يخيف، و ليس هنالك ما يثير قلقا ..

أما هم- اعنى بنى النضير- فيجدون فى أنفسهم القوه و المنعه،

و لهم حلفاء كثيرون، و كثيرون جدا.

و بعد كل ما تقدم، فقد جاء موقف الإسلام، المتمثل فى موقف رسوله الأعظم (صلى الله عليه و آله)، فى دقته، و فى ثاقب بصيرته - قد جاء - على خلاف ما يتوقعون، و بغير ما يريدون و يشتهون.

فقد رأى المسلمون، من خلال الموقف النبوى الحازم و القوى: أن النصر فى بدر، و كذلك الضربه القاسيه التى نزلت فى أحد، لا بد أن تعمق فيهم إيمانهم، و ارتباطهم بالله سبحانه، و تقوى من صمودهم، و تشد من عزائمهم، و قد جعلهم هذا النصر، و تلك المأساه يشعرون بمسئوليه أكبر تجاه رساله، حيث أصبحوا فى موقع التحدى السافر لكل مظاهر الظلم و الجبروت و الطغيان و مصادرهم.

و عليهم من الآن فصاعدا أن يطردوا من آفاقهم كل مظاهر الضعف، و أن ينقوا أجواءهم من جميع عوامل التشرذم و التشتت، و أن يبعدوا عن واقعهم و عن علاقاتهم، جميع مصادر الخلل، و عدم الإنسجام.

فالتحدى كبير، و المسؤوليات جليله و خطيره، فلا بد من الاستعداد و لا بد من التصدى، بصورة أعمق، و اوثق و أوفق، ما دام أنهم قد وصلوا الى نقطه اللارجوع، و أصبح الثمن غاليا، و هو دماء زكيه، و أرواح طاهره، و نقيه، فالحفاظ على القضية، و على منجزاتها، التى دفعوا ثمنها جزء من وجودهم و من ذواتهم و أرواحهم أمر حتمى، إذ أن التخلى عنها يساوق التخلى عن الحياه و عن الوجود، و عن كل شىء.

و قد اتضح لديهم: أن أى تراجع أمام التحديات الكبيره الراهنه، لسوف تلحقه تراجعات أعظم، و يستتبع انحسارا أكبر عن كثير من المواضع و المواقع الحساسه، لصالح كل الاعداء و الطامعين، فى منطقه العمل و الكفاح الاسلامى المقدس.

كما أن هذا التراجع و الانحسار لسوف يزيد من اشتهاه الآخرين

للحصول على المزيد من المكاسب، و يضاعف من تصلبهم و شدتهم فى مواجهه المد الاسلامى العارم. و لسوف تنتعش الآمال، و تحيا الأمانى، باضعاف هذا المد تدريجا، ثم القضاء عليه قضاء مبرما و نهائيا فى الوقت المناسب. و أما بالنسبه الى أولئك الذين يميلون الى الدخول فى هذا الدين الجديد، فإنهم حين يرون ضعفه، و تراجعهم، و قوه خصومه و شوكتهم. لسوف يجدون فى أنفسهم المبررات الكافيه للتأنى و التريث بانتظار المستجدات، و ما ستؤول إليه الأمور.

و لربما يتشجع الكثيرون أيضا على نقض تحالفاتهم، التى كانوا قد عقدوها مع المسلمين ما دام أن ذلك لن يستتبع خطرا، و لا يصطدم بصعوبات ذات بال ..

كما أن الآخرين الذين يعيشون حاله الترقب سوف لا يجدون فى أنفسهم حاجه لعقد تحالفات و معاهدات مع المسلمين فى هذه الظروف المستجده.

و أخيرا، فإننا نضيف الى كل ما تقدم: أن من الطبيعى أن يكون خوض معركة كبيره مع اليهود. و ربما مع كثير من حلفائهم، الذين قد يتشجعون لمساعدته اليهود بعد طول المده، و بعد إحساسهم بقوتهم و صلابتهم فى وجه الحصار، و بضعف فى موقف المسلمين - سوف يوجب ان تلحق بالمسلمين خسائر كبيره، ماديه و بشريه، لو أمكن توفيرها لما هو أهم لكان أجدر و أولى.

فاذا استطاع النبى (صلى الله عليه و آله) و المسلمون كسر عنجهيّه و غزو بنى النضير قبل ان يستفحل الامر، و افهامهم - و من هو على مثل رأيهم - مدى التصميم على مواجهه و التحدى، حتى يفقدوا الامل بجدوى المقاومه، و ليفهموا - بصوره عمليه - أنهم اذا كانوا يطمعون بالبقاء فى أرضهم، فان عليهم ان يقبلوا بها أرضا محروقه، جرداء، ليس فيها اى

أثر للحياه، ولا تستطيع ان توفر لهم حتى لقمه العيش التى لا بد منها.

هذا فيما لو قدر لهم أن يحتفظوا بالحياه، و يخرجوا أو بعضهم سالمين من هذه الحرب التى جروها على أنفسهم ..

نعم .. إنه (صلى الله عليه و آله و سلم) اذا استطاع ذلك، فانه يكون قد وفر على نفسه، و على الإسلام و المسلمين الكثير من المتاعب، و المصاعب، و المصائب، التى ألمحنا اليها.

و هذا هو ما اختاره رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فعلا و بادر اليه عملا. فكان قطع النخيل و حرقه يمثل قطع آخر آمالهم، و تدمير كل أمانيتهم، و غايه ذلهم و خزيهم. و رأوا حيثئذ: ان لا فائده من الاستمرار فى اللجاج و التحدى إلا تكبد المزيد من الخسائر، و مواجهه الكثير من النكسات ..

و هذا بالذات هو ما يفسر لنا قوله تعالى فى تعليق اذن الله سبحانه بقطع النخل: .. وَ لِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ.

فقد كان قطع النخل ضروريا و لازما، من اجل قطع آمال بنى النضير، و كل آمال غيرهم أيضا، و خزيهم و خزى سائر حلفائهم، و على رأسهم ابن أبى، و من معهم من المنافقين، ثم كل من يرقب الساحه، و يطمع فى ان يستفيد من تحولاتها فى تحقيق مآربه ضد الإسلام، و المسلمين.

و من هنا نعرف السر فى قوله تعالى: لِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ بدل:

(الكافرين)، من اجل ان يشمل الخزى كل من يسوءه ما جرى لبنى النضير، حتى أولئك الذين يتظاهرون بالإسلام، أو بالموده الكاذبه للمسلمين.

و هذا ما يفسر لنا الإهتمام الكبير الذى أولاه سبحانه لموضوع قطع النخل، حتى لقد خلده فى آيه قرآنيه كريمه. فإن القضييه كانت أكبر من

بنى النضير، و أخطر، حسبما أوضحناه.

المهاجرون!! و قطع النخل:

بقى علينا ان نشير هنا إلى أن البعض يذكر: أن المهاجرين هم الذين اختلفوا فيما بينهم حول قطع النخل.

فعن مجاهد، قال: نهى بعض المهاجرين بعضا عن قطع النخل، قالوا: إنما هي مغنم للمسلمين (١).

و نلاحظ: ان هذا بالذات كان رأى عبد الله بن سلام، الذى كان يهوديا فأسلم، رغم ان رسول الله (صلى الله عليه و آله) كان قد أمره بقطع النخل، فعلى اختياره للردىء بذلك كما ذكرنا.

و لنا ان نتساءل هنا:

لماذا المهاجرون هم الذين يتهون عن ذلك؟!

و لماذا لم يكن فيهم أحد من الانصار؟ سوى ابن سلام!! و ربما رجل آخر أيضا!!

فهل أدرك المهاجرون أمرا عجز الانصار عن إدراكه؟! أم أنهم قد اتخذوا هذا الموقف إنطلاقا من مصالح رأوا أنها لربما تفوتهم، لو استمر الأمر على النحو الذى خطط له رسول الله (صلى الله عليه و آله)؟!

أم أنه قد كانت ثمه خلفيات أخرى، لم يستطع التاريخ أن يفصح لنا عنها، لسبب، أو لآخر؟!

و اذا كانت النصوص كلها تقريبا تؤكد على ان الرسول الاعظم نفسه.

١- جامع البيان ج ٢٨ ص ٢٣ و ٢٢ و تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٣٣ و فتح القدير ج ٥ ص ١٩٦ و أحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ٤٢٩ و الدر المنثور ج ٦ ص ١٨٨ عن عبد الرزاق، و عبد بن حميد و ابن المنذر، و البيهقى فى الدلائل.

هو الذى أمر بقطع نخلمهم (١) .. فإن معنى ذلك هو ان اعتراض هذا الفريق من المهاجرين قد كان متوجها الى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالذات. و ان الفريق الآخر منهم إنما كان ينفذ امر رسول الله (صلى الله عليه وآله).

و لا نملك هنا إلا التذكير بأنه قد سبق لبعض المهاجرين: ان اعتراضوا على رسول الله، حينما اراد قتل اسرى بدر، و اصبروا عليه فى ترك ذلك، حتى نزل القرآن مصوبا رأيه (صلى الله عليه وآله).

و لكنهم لم يقنعهم ذلك، رغم أنه (صلى الله عليه وآله) قد أخبرهم: أنه سيقتل بعدتهم فيما بعد، لو تم إطلاق سراحهم .. و هكذا كان.

و قد سجلنا بعض الشكوك و التساؤلات حول موقف بعض المهاجرين فى حرب أحد (٢) فلا نعيد.

و مهما يكن من امر، فإننا لا نستطيع أن نفهم موقف هذا الفريق من المهاجرين هنا، و كذلك موقف بعضهم فى بدر، و أحد، بصورة ساذجه و لا أن نفسره بطريقه سطحيه، ما دام أن الدلائل تشير إلى خلفيات، و دوافع غير معلنه، و لا ظاهره، يؤثر الوقوف عليها فى استجلاء كثير من الحقائق، و الوقوف على بواطن و كوامن كثيره، و لربما على مبهمات خطيره، تؤثر على فهمنا العام لكثير من المواقف فى حياه العديد من الشخصيات التى كان لها دور مرموق فى كثير من الأحداث الخطيره فى التاريخ الاسلامى.

و خلاصه الامر: إن البحث الموضوعى يقضى بتقضى النصوص ٥.

١- قد تقدمت المصادر لذلك.

٢- راجع هذا الكتاب ج ٤ ص ٢٨٣ - ٢٨٥.

و المواقف و استنطاقها، لمعرفة مدى تعاطف بعض المهاجرين مع قومهم المكيين، و مع يهود المدينة، ليتمكن لنا تقييم مواقفهم، و فهم معاني كلماتهم، و إشاراتهما و مراميها، بصورة أدق و أعمق، و ليكون تصورنا أقرب إلى الواقع، و أكثر شمولية، و اتم و أوفى.

و فى إشارة خاطفه نذكر: باننا قد تحدثنا عن أن المهاجرين كانوا يشكلون تكتلا مستقلا، له تطلعاته و طموحاته، و له فكره المتميز فى آفاهه و فى خصائصه، و لا سيما فى ما يرتبط بالسياسه و الحكم و التخطيط له.

أما الانصار، فلم يكونوا كذلك، بل كانوا فريقا آخر، يحرم من إهتمامات الحكام، و يستثنى من مختلف الامتيازات، إلا حيث يجرح الحاكم، و لا يجد من ذلك بدا و لا مناصا. و قد روى عن الخليفه الثانى، عمر بن الخطاب قوله:

أوصى الخليفه بعدى بالمهاجرين الأولين: ان يعرف لهم حقهم، و يحفظ لهم حرمتهم. و أوصيه بالانصار، الذين تبوؤا الدار و الايمان من قبلهم: أن يقبل من محسنهم، و يتجاوز عن مسيئهم (١).

فيلاحظ: الفرق النوعى فيما يطلبه ثانى الخلفاء ممن يلى الامر بعده بالنسبه لهؤلاء، و بالنسبه لأولئك.

و على هذا الأساس، و من منطلق هذه الفوارق جاء قول ابن أبى ليلى: الناس على ثلاثه منازل: المهاجرون، و الذين تبوؤا الدار و الايمان، و الذين جاؤا من بعدهم: فاجهد: ألا تخرج من هذه المنازل.

و قال بعضهم: كن شمسا، فان لم تستطع، فكن قمرا فان لمه.

١- فتح القدير ج ٥ ص ٢٠٢ و صحيح البخارى ج ٣ ص ١٢٨ و تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٣٧، و أحكام القرآن لابن العربى ج ٤ ص ١٧٧٥ و الدر المنثور ج ٦ ص ١٩٥ عن البخارى، و ابن أبى شيبه، و ابن مردويه.

تستطع فكن كوكبا مضيئا؛ فان لم تستطع فكن كوكبا صغيرا، و من جهة النور لا تنقطع.

و معنى هذا: كن مهاجريا، فان قلت: لا أجد، فكن أنصاريا، فان لم تجد فاعمل كأعمالهم الخ (١).

و لا- ندرى من اين جاءت هذه الطبقية، و كيف قبل الناس هذا التمييز الذى لا- يقوم على تقوى الله، و إنما على عناوين و خصوصيات فرضتها طبيعه التحرك فى مجال نشر الدعوه و تركيزها. و يوضح ذلك ان عمر بن الخطاب حين خطب بالجاييه قال: (و من أراد أن يسأل عن المال فليأتنى، فان الله تعالى جعل له خازنا و قاسما. ألا و إنى باد بأزواج النبى (صلى الله عليه و آله) فمعطيهم، ثم المهاجرين الأولين، أنا و أصحابى، أخرجنا من مكه من ديارنا و أموالنا) (٢).

و مهما يكن من امر فانك تجد فى كتابنا هذا إشارات و نصوص كثيره فى مواضع مختلفه توضح ما عانى منه الانصار، و اختص به المهاجرون، و استيفاء البحث فى هذا يحتاج الى توفر تام، و تأليف مستقل.

التصويب فى الاجتهاد:

لقد استدل البعض بقوله تعالى: مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنِهِ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا، فَيَاذَنْ لِلَّهِ، وَ لِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ عَلَى جَوَازِ الاجتهاد، و على تصويب المجتهدين (٣). عن

١- الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٣١.

٢- الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٢٠ و حول مصادر تمييز عمر بين الناس فى العطاء، و تفضيل بعضهم على بعض راجع كتابنا: سلمان الفارسى فى مواجهه التحدى.

٣- فتح القدير ج ٥ ص ١٩٧ و راجع: الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٨ عن

كما و استدلووا على جواز الاجتهاد بحضرة الرسول، و على أن كل مجتهد مصيب، بالروايه التى تقول.

إن رجلين، أحدهما كان يقطع العجوه، و الآخر اللون، فسألهما (صلى الله عليه و آله) فقال هذا: تركتها لرسول الله. و قال هذا: قطعتها غيظا للكفار (١).

و نقول:

إن الإستدلال بما ذكر لا يصح، و ذلك لما يلي:

١- بالنسبه للاستدلال بالروايه على التصويب فقد قال ابن العربى (و هذا باطل، لان رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم كان معهم، و لا اجتهاد مع حضور رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم) (٢).

٢- إن الروايه المذكوره لم تصرح بأن النبى (صلى الله عليه و آله)، أمضى اجتهادهما، أم لا. حيث إنها ذكرت اعتذارهما للنبى (صلى الله عليه و آله)، كل واحد منهم بما ذكر، و سكتت عن قراره (صلى الله عليه و آله) بهذا الشأن، فهل ايد هذا الفريق؟ أو ذاك؟ أو لم يؤيد أيا منهما؟ كل ذلك لا دليل عليه، و لا شىء يشير إليه.

٣- إنه- لو فرض ان هذا اجتهاد- فإنما هو اجتهاد بالتطبيق، فواحد يرى: أن هذا جائز، لأن فيه نكايه فى العدو، و النكايه فى العدو، و اغاظته مطلوبه منه و واجب عليه. و ذاك يرى: ان تقويه المسلمين مطلوبه، و أن ٨.

١- التفسير الكبير ج ٢٩ ص ٢٨٣ و الكشاف ج ٤ ص ٥٠١ و ٥٠٢ و قد تقدم اسم هذين الرجلين، و مصادر موقفهما هذا فليراجعه من أراد.

٢- أحكام القرآن لابن العربى ج ٤ ص ١٧٦٩ و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٨.

فى الاحتفاظ بالنخل تقويه لهم، و عمل بالحكم الشرعى.

فليس ثمة إجتهد فى حكم شرعى كلى من الاحكام الخمسه، و إنما هم مختلفون تشخيص موضوع الحكم الشرعى اى فيما هو المصلحه لهم، و ما فيه نكايه فى العدو ..

٤- من الذى قال: إن هؤلاء الذين اختلفوا فى قطع النخل و عدمه، كانوا قد بلغوا رتبه الاجتهاد، فلعل أحدا منهم لم يكن قد بلغ هذه المرتبه الشريفه، و لعل احد الفريقين قد بلغها دون الاخر، و لعل و لعل.

٥- إنه إذا كان الرسول (صلى الله عليه و آله) هو الذى امر بقطع النخل، كما صرحت به النصوص المتقدمه عن مصادر كثيره جدا فان الاستدلال على جواز الاجتهاد و التصويب فيه بالآيه الكريمه يصبح فى غير محله، و ذلك لأن عدم القطع يصير اجتهادا فى مقابل النص، بل هو عصيان لامر الرسول، و شك فى صواب ما يصدر منه (صلى الله عليه و آله). و لعله (صلى الله عليه و آله) قد امرهم بقطع نوع من النخل، فلم يعجبهم ذلك، فعصوا الامر.

٦- إن التصويب باطل، و لا يصح، لا عقلا، و لا شرعا، و قد تكلم الاصوليون على هذا الأمر بالتفصيل، فمن أراد الوقوف على ذلك فليراجع المطولات (١).

هذا الشعر لمن؟!

قال السمهودى:- كما قال غيره:- (و لما حرق رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم نخلهم) قال حسان رضى الله عنه يعير قريشا من أبيات:

و هان على سراه بنى لؤى حريق بالبويره مستطير ٥.

فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، و لم يكن أسلم حينئذ:

أدام الله ذلك من صنيع و حرق فى نواحيها السعير

ستعلم أينا منها بنزه و تعلم أى أرضينا تضير أى ستعلم أينا منها ببعده، و أى الارضين أرضنا أو أرضكم يحصل لها الضير، أى الضرر، لان بنى النضير إذا خرجت اضرت بما جاورها، و هو أرض الأنصار، لا أرض قريش.

و نقل ابن سيد الناس، عن أبى عمرو الشيبانى: ان الذى قال البيت المتقدم، المنسوب لحسان هو ابو سفيان بن الحارث، و أنه لما قال:

و عز على سراه بنى لؤى. بدل: هان قال: و يروى (بالويله) بدل (بالويره) و أن المجيب له بالبيتين المتقدمين هو حسان.

و ما قدمناه هو روايه البخارى.

قال ابن سيد الناس: و ما ذكره الشيبانى اشبه.

قلت كأنه استبعد ان يدعو ابو سفيان فى حاله كفره على ارض بنى النضير، و قد قدمنا وجهه (١). انتهى كلام السهمودى.

و لكننا بدورنا نؤيد ما ذكره ابن سيد الناس، و ذلك لأن تفسير السهمودى للبيت الثانى غير مفهوم، فان حريق النخل لا يلزم منه لحوق الضرر بأراضى الأنصار. كما أن تفسيره، الذى ذكره لا- يدفع كلام ابن سيد الناس، و ذلك لأن البيت الاول من بيتى الجواب، فيه الدعاء و الطلب ٣.

١- وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٩٨ و ٢٩٩ و راجع: شرح بهجه المحافل ج ١ ص ٢١٥، عن ابن سيد الناس، و الجواب عن ابن حجر و عمده القارىء ج ١٧ ص ١٢٩ و راجع: فتح البارى ج ٧ ص ٢٥٧ و ٢٥٨ و معجم البلدان ج ١ ص ٥١٢ و ٥١٣.

من الله ان يديم هذا الصنيع. و ظاهره: ان ذلك الدعاء يصدر من رجل محب و موال و موافق على هذا الحريق ..

كما ان من البعيد أن يكون قد وصل خبر حرق النخل الى مكة، ثم وصل شعر حسان اليهم، و أجابوا عليه بالطلب من الله إدامه هذا الامر من أجل أن تحترق أراضى الأنصار. فان أمر بنى النضير قد فرغ منه خلال أيام.

و من جهة أخرى فإن البيت الاول يناسبه كلمه و عز؛ لأن سراه بنى لؤى- و هم مشركوا مكة- يعز عليهم حدوث هذا الحريق فى بنى النضير، و لا يهون عليهم .. إلا إذا كان يقصد بسراه بنى لؤى النبى (صلى الله عليه و آله) و من معه.

أو كان يقصد: أن هذا الحريق لا تهتم له قريش و لا يضرها بشىء، فأجابه حسان بأن ذلك سوف يضيرهم قطعاً، و لن تتضرر أرض الأنصار منه.

و مهما يكن من أمر، فإنه لم يتضح لنا وجه تقويته لأن يكون البيت الأول لحسان .. و البيتان الآخرا لأبى سفيان بن الحارث ..

و لعل كلام ابن سيد الناس أولى بالقبول، و أقرب إلى اعتبارات العقول ..

و أخيراً .. فقد قال العيني: فى ترجيح قول ابن سيد الناس: (يصلح للترجيح قول أبى عمرو الشيبانى، لأنه أدرى بذلك من غيره على ما لا يخفى على أحد) (١).٩.

ص: ١٣٣

الفصل الرابع: الجزء الأوفى

أشاره

تحسبهم جميعاً، وقلوبهم شتى:

قال تعالى: لا- يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسِهِمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (١).

قد أعطت هذه الآيه الشريفه تصوّراً متكاملًا عن حاله أولئك الذين لا يملكون صفه الإيمان، حيث أرجعت هذه الحاله إلى عللها و أسبابها، و ربطتها بمناشئها الحقيقيه، بصوره واضحه و دقيقه.

و لا نريد أن نستعرض هنا كل ما تعرضت له الآيه تصريحاً، أو تلويحاً، فإن ذلك يحتاج الى توفر تام، و تأمل و دقه و جهد، لا نجد لدينا القدره على توفيره فعلاً، و إنما نريد ان نسجل هنا حقيقه واحده، نحسب أن الإلفات إليها يناسب ما نحن بصدده، و هي:

أن النظره الماديه للحياه، و عدم الإيمان بالآخره، أو عدم تعمق الايمان بها يجعل الإنسان يقيس الامور بمقياس الربح و الخساره في الدنيا. و هذا- بنظره- هو الذى يعطيها القيمه، أو يفقدها إياها، و لتصبح الحياه الدنيا- من ثم- هي الغايه، و هي النهايه، و هي كل شىء بالنسبه الى هذا النوع من الناس، فاذا فقدها، فلا شىء له بعد ذلك على الإطلاق. و يصبح شخصه كفرد هو المعيار و الميزان للصالح و الفساد، ١٤

و للحسن و القبيح، و للواجب و الحرام، فهو لا يمارس شيئاً و لا يرتبط بشىء إلا بمقدار ما يجر إليه نفعاً، أو يدفع عنه شراً و ضراً. و تفقد الحياه الاجتماعيه معناها و مغزاها إلا فى الحدود التى تخدم وجود الفرد، و مصالحه، فهو مع الناس، و إنما لاجل نفسه، و هو وحده لا- شريك له، و كل ما فى الوجود يجب أن يكون من اجله و فى خدمته. و يجب أن يضحى بكل غال و نفيس فى سبيله، فهو القيمه لكل شىء، و ليس لأى شىء آخر أيه قيمه تذكر.

و على هذا، فإن جميع القيم تسقط، و يبقى هو فلا معنى للتضحيه إلا إذا كانت من الآخرين من أجله، و لا معنى للإيثار إلا إيثار الآخرين له على أنفسهم. و لا معنى للشهاده فى سبيل الله إلا إذا نالت الآخرين دونه، و لا معنى للحق و للباطل، و للغدر و الوفاء، و للصدق و الكذب و و الخ ... إلا من خلال ما يجلب له نفعاً، أو يدفع عنه ضراً و شراً.

و إذا كان مع الجماعه فانه لا يشاركهم فى شىء، و لا يههمه من أمرهم شىء، بل هو يريد منهم أن يدفعوا عنه، و يموتوا من أجله و فى سبيله.

و هذا بالذات ما يفسر لنا قوله تعالى: **تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى**.

نعم .. إن قلوبهم (شتى) بكل ما لهذه الكلمه من معنى لأنهم لا يفكرون فى شىء واحد، و إنما هم يفكرون بأشياء متباينه، و متعدده، بعددهم جميعاً، فنفس كل فرد منهم تخضع لفكرين متناقضين فصاحبها يفكر فى حفظها، و بقائها، و كل من معه يفكرون فى إتلاف هذه النفس من أجل حفظ وجودهم هم دونه. و هكذا الحال بالنسبه لنفس كل فرد منهم، و إذا فكر أحد منهم بحفظ نفوس الآخرين، فإنما ذلك حين

يرى فيه ضمانه لبقائه، و حفظ نفسه هو أولا.

و ذلك يوضح لنا أيضا السر في أن هؤلاء لا يقاتلون المؤمنين إلا من وراء جدر، أو في قرى محصنه، حسبما أوضحته الآيه الشريفه.

و ما ذلك إلا- لأن هؤلاء لا- يعقلون معنى الحياه و أسرارها، و لا- حكمه الخلق و أهداف الوجود، فإن ذلك إنما جاء وفق المعايير، و الأحكام العقليه و الفطريه، فهو لا يشذ عنها، و لا يختلف و لا يختلف عن أحكامها و مقتضياتها.

و لو أنهم فكروا و اطلقوا عقولهم من عقال الهوى، لأدركوا ذلك كله، و لتغيرت نظرتهم للكون و للحياه، و لعرفوا بعضا من أسرار الخلق و الوجود، و لتبدلت المعايير و القيم، التي كانت تستند إلى أوهام و خيالات، و تؤكدها و تفرضها الفطره الخالصه عن الشوائب، و البعيده عن تجاذب الالهواء.

إذن .. فعدم التزامهم بهدى العقل، و رفضهم الانصياع لأحكامه، هو أصل البلاء، و سبب العناء، و هو ما أكدته الآيه الكريمه، التي أرجعت حالتهم التي هي غايه خزيهم و ذلهم الى ذلك، فهي تقول: ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ.

اليهود و المنافقون لا ينصرون حلفاءهم:

و نلاحظ هنا: ان المعاهدات التي كان النبي (صلى الله عليه و آله) يبرمها مع اليهود، لم يظهر اليهود فيها وحده متكامله، بل كانوا شيعا و احزابا فقد عاهد (صلى الله عليه و آله) كل قبيله منهم على حده: النضير و قينقاع و قريظه، و كذلك الحال بالنسبه لخبير و فدك و غير ذلك، و معنى ذلك هو أنهم كانوا فيما بينهم شيعا و أحزابا.

و يلاحظ أيضا: ان أيا من قبائلهم لم تنهض للدفاع عن القبيله

الأخرى. كما ان أحلافهم من غطفان، و من المنافقين، لم يهتبا لنصر أى من القبائل و الجماعات التى حالفوها و وعدوها النصر، و هو ما نص عليه الله تعالى حين قال عنهم: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ: لَئِن أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَ لَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَ إِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ لَئِن أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَ لَئِن قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَ لَئِن نَصَرُوهُمْ لَيُولَنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ (١) ...

لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (٢). و قد علم معنى الآيات مما قدمناه.

و عن على (عليه السلام) أنه قال: المؤمنون بعضهم لبعض نصحاء، و إن افترت منازلهم، و الفجره بعضهم لبعض غششه خونه، و إن اجتمعت أبدانهم (٣)،

و كان مما قاله سلام بن مشكم لحي بن أخطب حول وعد ابن أبى لهم بالنصر:

(ليس قول ابن أبى بشىء، إنما يريد ابن أبى: أن يورطك فى الهلكه، حتى نحارب محمدا، ثم يجلس فى بيته و يتركك. قد أراد من كعب بن اسد النصر، فأبى كعب، و قال: لا- ينقضن العهد رجل من بنى قريظه و أنا حى. و إلا فان ابن أبى قد وعد حلفاءه من بنى قينقاع مثل ما وعدك حتى حاربوا و نقضوا العهد، و حصروا أنفسهم فى صياصيههم، و انتظروا نصره ابن أبى، فجلس فى بيته، و سار محمد إليهم، فحصرهمى.

١- الحشر: ١١ و ١٢.

٢- الحشر: ١٣.

٣- الدر المنثور ج ٦ ص ١٩٩ عن الديلمى.

حتى نزلوا على حكمه.

فابن أبي لا ينصر حلفاءه، و من كان يمنعه من الناس كلهم، و نحن لم نزل نضر به بسيفنا مع الأوس في حربهم كلها، إلى أن تقطعت حربهم، فقدم محمد فحجز بينهم. و ابن أبي لا- يهودى على دين يهود، و لا- على دين محمد، و لا هو على دين قومه، فكيف تقبل منه قولاً قاله؟

قال حيي: تابى نفسى إلا عداوه محمد و إلا قتاله ..

قال سلام: فهو و الله جلاؤنا من أرضنا إلخ .. (١)

و يلاحظ من كلام سلام: أنه كان يشك في نوايا عبد الله بن أبي تجاههم .. و مما يؤكد هذه التهمة قول الواقدي بعد ذكره إرسال ابن أبي إلى قريظه يطلب منهم نصر إخوانهم من بنى النضير، و رفضهم لذلك:

(فيئس ابن أبي من قريظه، و اراد أن يلحم الأمر فيما بين بنى النضير، و رسول الله، فلم يزل يرسل الى حيي، حتى قال حيي: أنا أرسل إلى محمد اعلمه: أنا لا نخرج من دارنا و من أموالنا إلخ ... (٢).

فصدق الله العظيم.

و صدق رسوله الكريم (صلى الله عليه و آله و سلم).

و صدق أمير المؤمنين على (عليه الصلاة و السلام).

و صدق الائمة من ولده صلوات الله عليهم أجمعين.

يخربون بيوتهم بأيديهم:

هناك أقوال كثيرة في بيان المراد من قوله تعالى عن بنى النضير: ٨.

١- مغازى الواقدي ج ١ ص ٣٦٩ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٤.

٢- مغازى الواقدي ج ١ ص ٣٦٨.

يُخْرَبُونَ بِيَدِهِمْ بِأَيْدِيهِمْ وَ أَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ (١).

و نحن نشير هنا إلى بعضها، فنقول:

قال البعض: (يخربونها من داخل (أى ليهربوا) و يخربها المؤمنون من خارج (أى ليصلوا إليهم). و قيل: معنى بأيديهم: بما كسبت أيديهم من نقض العهد، و أيدي المؤمنين، أى بجهادهم) (٢).

و لعل هذا القول هو الذى أشار إليه الزجاج حين قال: معنى تخريبها بأيدي المؤمنين: أنهم عرضوها لذلك (٣).

و كان المسلمون يخربون ما يليهم و يحرقون حتى وقع الصلح (٤).

و قال البعض: (كانوا ينظرون الى منازلهم فيهدمونها، و ينزعون منها الخشب، ما يستحسنونها، فيحملونها على إبلهم، و يخرب المؤمنون بواقها .. الى ان قال:

قال ابن زيد: كانوا يقلعون العمدة، و ينقضون السقف، و ينقبون الجدر، و ينزعون الخشب حتى الاوتاد، و يخربونها، حتى لا يسكنها.٤.

١- سورة الحشر: ٢

٢- راجع: الروض الأنف ج ٣ ص ٢٥١ و مجمع البيان ج ٩ ص ٢٥٨ و البحار ج ٢٠ ص ١٦٠ و ١٦١ و السير النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٢ و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٤ و ٥ و أحكام القرآن لابن العربى ج ٤ ص ١٧٦٦ و راجع الكشف ج ٤ ص ٤٩٩ و القول الأول موجود فى التبيان ج ٩ ص ٥٥٨ و كذا فى جامع البيان ج ٢٨ ص ٢٠ و راجع: غرائب القرآن بهامشه ج ٢٨ ص ٣٥ و لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٥ و مدارك التنزيل بهامش نفس الصفحة.

٣- مجمع البيان ج ٩ ص ٢٥٨ و البحار ج ٢٠ ص ١٦١ عنه و جوامع الجامع ص ٤٨٦ و راجع: مدارك التنزيل ج ٤ ص ٢٤٥ بهامش لباب التأويل و فتح القدير ج ٥ ص ١٩٦ و التفسير الكبير ج ٢٩ ص ٢٨١ و الكشف ج ٤ ص ٥٠٠.

٤- مغازى الواقدي ج ١ ص ٣٧٤.

المؤمنون، حسدا و بغضا) (١).

وقيل: ان سبب خرابهم لبيوتهم حاجتهم إلى الخشب و الحجاره، ليسدوا بها أفواه الازقه، و ان لا يتحسروا بعد جلائهم على بقائها للمسلمين، و أن ينقلوا معهم ما كان فى أبنيتهم من جيد الخشب، و الساج المليح.

أما المؤمنون فداعيمهم إزاله متحصنهم و ممتنعهم، و ان يتسع لهم مجال الحرب (٢).

و قال القمى: (و كان رسول الله (صلى الله عليه و آله) إذا ظهر بمقدم بيوتهم، حصنوا ما يليهم، و خربوا ما يليه، و كان الرجل ممن كان له بيت حسن خربه ..) (٣).

و ثمة أقوال أخرى فى المقام، و بعضها يرجع إلى ما تقدم.

منها: قول عكرمه: إن منازلهم كانت مزخرفه، فحسدوا المسلمين ان يسكنوها، فخربوها من داخل، و خربها المسلمون من خارج (٤).

و قول آخر: أنه كلما هدم المسلمون شيئا من حصونهم، جعلوا ٠.

١- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٢ و راجع: السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٦ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٢ و لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٥ و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٤ عن الزهرى و عروه ابن الزبير، و ابن زيد و التفسير الكبير ج ٢٩ ص ٢٨١ - ٢٨٠ و قول ابن زيد فى غرائب القرآن المطبوع بهامش جامع البيان ج ٢٨ ص ٣٥ و كذا فى فتح القدير ج ٥ ص ١٩٦.

٢- الكشاف ج ٤ ص ٤٩٩ - ٥٠٠ و مدارك التنزيل، مطبوع بهامش لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٥ و راجع: غرائب القرآن بهامش جامع البيان ج ٢٨ ص ٣٥.

٣- تفسير القمى ج ٢ ص ٣٥٩ و البحار ج ٢٠ ص ١٦٩ و تفسير الصافى ج ٥ ص ١٥٤ و تفسير البرهان ج ٤ ص ٣١٣.

٤- الجامع الأحكام القرآن ج ١٨ ص ٥ و راجع: التفسير الكبير ج ٢٩ ص ٢٨٠.

ينقضون بيوتهم، و يخربونها لينوا ما هدم المسلمون (١).

و قول ثالث: انهم كانوا كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها، لتتسع لهم المقاتل، و جعل اليهود ينقبون دورهم من أدبارها فيخرجون إلى التي بعدها، فيتحصنون فيها، و يكسرون ما يليهم، و يرمون بالتي خرجوا منها أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله)، فلما كادت اليهود أن تبلغ آخر دورها، و هم ينتظرون المنافقين، حتى يسوا منهم طلبوا الصلح (٢).

و ثمة قول رابع: أنهم دربوا الأزقة و حصونها، فنقضوا بيوتهم، و جعلوها كالحصون على أبواب الأزقة، و كان المسلمون يخربون سائر الجوانب (٣).

الى غير ذلك من أقوال لا مجال لتتبعها و استقصائها.

نجاف الباب و وصيه موسى:

تنص الروايات على أن الرجل من بنى النضير كان يهدم بيته عن نجاف بابه، فيضعه على ظهر بعيره، فينطلق به (٤). ٢

١- فتح القدير ج ٥ ص ١٩٦ و جامع البيان ج ٢٨ ص ٢١ و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٤.

٢- راجع المصادر التالية: تاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ١٢٢ و الإكتفاء ج ٢ ص ١٤٧ و الدر المنثور ج ٦ ص ١٨٧ عن البيهقي في الدلائل، و التفسير الكبير ج ٢٩ ص ٢٨٠ و تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٣٢ و لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٥ و مدارك التنزيل بهامشه، نفس الصفحة، و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٤ و ٥ و غرائب القرآن بهامش جامع البيان ج ٢٨ ص ٣٥.

٣- التفسير الكبير ج ٢٩ ص ٢٨٠.

٤- راجع على سبيل المثال: تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٥٥٤ و الإكتفاء ج ٢

و قد فسر البعض هذه الظاهره، فكتب يقول:

(هدم نجاف (١) البيوت يتعلق بعقيدته تلموديه معروفه، هي: أن كل يهودى يعلق على نجاف داره صحيفه تشتمل على وصيه موسى لبني اسرائيل: أن يحتفظوا بالايمان بآله واحد، و لا يبدلوه و لو عذبوا و قتلوا.

فاليهود حين ينزحون عن منازلهم يأخذونها معهم. و هي عاده متبعه عند اليهود إلى يومنا هذا.

و يظهر: أن يهود بلاد العرب كانوا يضعون تلك الصحيفه داخل النجاف، خوفا من إتلاف الهواء، أو مسّ الأيدي فلما رحلوا عن ديارهم هدموا نجاف البيوت، و أخذوها .. (٢).

روايات غير موثوق بصحتها:

و نحن نشك كثيرا فى عدد من الروايات التى تقدمت فى الفصل الأول من هذا الباب و فى غيره من الفصول، و التى تحاول أن تعطى لغزوه بنى النضير طابعا حربيا عنيفا، حتى ليذكر البعض منها: أن المسلمين كانوا يخربون بيوت بنى النضير من الخارج ليتسع لهم ميدان القتال، و كان بنو النضير يخربون بيوتهم من الداخل لأجل التحصين بها، و أنهم قد بلغوا أقصى دورهم، و هم على هذه الصفه.

إلى غير ذلك من نصوص و روايات تصب فى هذا الاتجاه ..ن.

١- النجاف: ما بنى ناتنا فوق الباب، مشرفا عليه.

٢- اليهود فى القرآن ص ٧٨ عن كتاب: اليهود فى بلاد العرب ص ١٣٨ تأليف: و لفسون.

فإننا و إن كنا نقول: إنه قد كان ثمة حصار، و قطع للاشجار، و رشق بالنبل من قبل بنى النضير، و خراب للبيوت بأيدي بنى النضير، و بأيدي المؤمنين، ثم قتل أمير المؤمنين (عليه السلام) عشره منهم، فدب الرعب فى قلوبهم، و اقتنعوا: أن لا طاقه لهم بالحرب، فأثروا الاستسلام و القبول بالجلاء ..

و أفاء الله على رسوله أراضيتهم، و سوغه أموالهم ..

و لكن الإصرار على إظهار جانب العنف و القتال و الحرب القويه و الضاربه من البعض، إنما هو لأجل الإيحاء بأن أرض بنى النضير قد فتحت عنوه، و أن المسلمين قد أخذوها عن استحقاق، و لم يكن النبى (صلى الله عليه و آله) متفضلا عليهم فى إعطائهم إياها!!

و معنى ذلك هو أن المطالبه بها من قبل الورثه الحقيقين للرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله و سلم) بعد وفاته تصبح بلا معنى، و بلا-مبرر ظاهر .. رغم أن القرآن قد صرح بأن أرضهم كانت فيئا، و أنها خاصه برسول الله (صلى الله عليه و آله)، و لكن تبرير موقف السلطه، و التعتيم على مظالمها أهم و أولى من الحفاظ على القرآن، و أحكامه. بنظر هؤلاء المتحذلقين، الذين يستخدمون كل وسائل التزوير و التحوير و الإبهام فى خدمه أهوائهم و مصالحهم و اتجاهاتهم ..

ضيعوا حقها المبين بتزوير و هل عندهم سوى التزوير؟!

لأول الحشر:

إشاره

قد ذكرت سوره الحشر- التى يرى المؤرخون و المفسرون: أنها تتحدث عن حادثه بنى النضير، الذين أخرجهم رسول الله (صلى الله عليه و آله)-: أن هذا هو أول الحشر لهم ..

و قد اختلفوا فى المراد من ذلك.

فروى موسى بن عقبه: أنهم قالوا: إلى أين نخرج يا محمد؟

قال: إلى الحشر.

يعنى: أرض المحشر، و هى الشام .. هذا فى الدنيا، و الحشر الثانى يوم القيامة إلى الشام أيضا (١).

و قيل: إن أول الحشر هو إخراجهم من حصونهم إلى خيبر، و آخر الحشر إخراجهم من خيبر إلى الشام (٢).

و قيل: إنما قال لأول الحشر؛ لأن الله فتح على نبيه (صلى الله عليه و آله) فى أول ما قاتلهم (٣).

و قيل: المراد بالحشر: الجلاء. و قد كان بنو النضير من سبط من بنى إسرائيل لم يصبهم جلاء. زاد الطبرسى، و غيره: أن الحشر الثانى هو إخراج إخوانهم من جزيره العرب (أى على يد عمر بن الخطاب) لئلا يجتمع فى جزيره العرب دينان (٤). ١٦.

١- راجع: مجمع البيان ج ٩ ص ٢٥٨ و إرشاد السارى ج ٧ ص ٣٧٥ و راجع: فتح البارى ج ٧ ص ٢٥٤ و البحار ج ٢٠ ص ١٦٠ عنه و التبيان ج ٩ ص ٥٥٧ و لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٥ و مدارك التنزيل بهامشه فى نفس الصفحه، و راجع: الروض الأنف ج ٣ ص ٣٥١ و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٢ و ٣ و جوامع الجامع ص ٤٨٦ و راجع أيضا: فتح القدير ج ٥ ص ١٩٥ و التفسير الكبير ج ٢٩ ص ٢٧٨ و ٢٧٩ و بعض من تقدم قد ذكر بعض ذلك دون بعض.

٢- فتح القدير ج ٥ ص ١٩٥ و راجع: التفسير الكبير ج ٢٩ ص ٢٧٨ و ٢٧٩.

٣- مجمع البيان ج ٩ ص ٢٥٨ و البحار ج ٢٠ ص ١٦٠ عنه.

٤- راجع: الدر المنثور ج ٦ ص ١٨٩ عن عبد الرزاق، و عبد بن حميد، و البيهقى فى الدلائل، و أبى داود، و ابن المنذر، و مجمع البيان ج ٩ ص ٢٥٨ و البحار ج ٢٠ ص ١٦٠ و الروض الأنف ج ٣ ص ٢٥١ و بهجه المحافل ج ١ ص ٢١٥ و ٢١٦

وقيل: إن الحشر الثاني، هو حشر النار التي تخرج من قعر عدن؛ فتحشر الناس إلى الموقف، تبيت معهم حيث باتوا؛ و تقبل معهم حيث قالوا، و تأكل من تخلف (١). و قال العيني: (إن بنى النضير أول من أخرج من ديارهم) (٢). و نقول: بل أجلى بنو قينقاع قبلهم.

و قال الكلبي: كانوا أول من أجلى من أهل الذمه من جزيره العرب ثم أجلى آخرهم فى زمن عمر بن الخطاب؛ فكان جلاؤهم أول حشر من المدينة، و آخر حشر إجلاء عمر لهم (٣).

قال السهيلي، بعد ذكره ما تقدم:

(.. و الآيه متضمنه لهذه الأقوال كلها، و لزائد عليها؛ فان قوله:

لأول الحشر، يؤذن: أن ثم حشرا آخر؛ فكان هذا الحشر و الجلاء إلى خيبر، ثم أجلاهم عمر من خيبر إلى تيماء، و أريحا، و ذلك حين بلغه ٦.

١- الروض الأنف ج ٣ ص ٢٥١ و شرح بهجه المحافل ج ١ ص ٢١٦ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٢ و لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٥ و مدارك التنزيل بهامشه فى نفس الصفحه و راجع: جامع البيان ج ٢٨ ص ٢٠ و غرائب القرآن بهامشه ج ٢٨ ص ٣٤ و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٣ و أحكام القرآن لابن العربى ج ٤ ص ١٧٦٤ و التفسير الكبير ج ٢٩ ص ٢٧٩ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٨.

٢- عمدته القارىء ج ١٧ ص ١٢٦.

٣- فتح القدير ج ٥ ص ١٩٥ و الكشاف ج ٤ ص ٤٩٩ و راجع: التفسير الكبير ج ٢٩ ص ٢٧٨ و ٢٧٩ و راجع: جوامع الجامع ص ٢٨٦.

التثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: لا يبقين دينان بأرض العرب (١).

كما أن عبد الرزاق الصنعاني، بعد أن ذكر: أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد دفع خبير إلى اليهود، على أن يعملوا بها، و لهم شطرها قال:

(فمضى على ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و أبو بكر، و صدر من خلفه عمر، ثم أخبر عمر: أن النبي صلى الله عليه وآله و آلله و سلم قال في وجعه الذي مات فيه: لا يجتمع بأرض الحجاز- أو بأرض العرب- دينان؛ ففحص عن ذلك حتى وجد عليه الثبت، فقال:

من كان عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فليأت به، و إلا فإني مجليكم.

قال: فأجلاهم). و كذا ذكر غير عبد الرزاق أيضا (٢).

و قد نص المؤرخون على أن عمر أجلى من يهود من لم يكن معه عهد من رسول الله (٣).

و نقول: ٩.

١- الروض الأنف ج ٣ ص ٢٥١ و ستأتي مصادر أخرى.

٢- المصنف للصنعاني ج ٤ ص ١٢٦ و راجع ج ١٠ ص ٣٥٩ و ٣٦٠ و راجع: مغازى الواقدي ج ٢ ص ٧١٧ و السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٣٧١ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٢١٩ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ٤١٥ و عمدته القارىء ج ١٣ ص ٣٠٦ و فتح البارى ج ٥ ص ٢٤٠ عن ابن أبي شيبه و غيره، و الموطأ (المطبوع مع تنوير الحوالك) ج ٣ ص ٨٨ و غريب الحديث لابن سلام ج ٢ ص ٦٧ و راجع وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٢٠.

٣- راجع تاريخ الأمم و الملوك ج ٣ ص ٢١ و راجع: الكامل فى التاريخ ج ٣ ص ٢٢٤ و الإكتفاء ج ٢ ص ٢٧١ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ٤١٥ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٢١٩.

إن حديث إجلاء عمر لليهود، حين بلغه الثبت عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): لا يجتمع بأرض العرب دينان، يحتاج إلى شيء من البسط والتوضيح ..

وقد كنا نودّ إرجاء الحديث عن هذا الأمر إلى وقعه خبير، ولكن ما ذكره السهيلي وغيره هنا قد جعلنا نتعجل الإشارة إلى بعض من ذلك، ولكننا قبل أن ندخل في مناقشه هذا الأمر نشير إلى أمرين:

الاول:

إن تصريح الرواية المتقدمه بأن الخليفه قد نفذ ما كان قد سمعه من النبي (صلى الله عليه وآله) في وجعه الذي مات فيه، يحتاج إلى مزيد من التأمل، بعد أن كان هو نفسه قد قال عن النبي (صلى الله عليه وآله) في نفس ذلك المرض: إنه يهجر، أو غلبه الوجع أو نحو ذلك .. (١) وصرحت المصادر: أنه (صلى الله عليه وآله) قد قال: اخرجوا المشركين من جزيرة العرب. وأنه لا يجتمع فيها دينان، بعد قول عمر الأنف الذكر، و تنازعهم .

١- الإيضاح: ص ٣٥٩ و تذكره الخواص ص ٦٢ و سر العالمين ص ٢٠ و صحيح البخارى ج ٣ ص ٦٠ و ج ٤ ص ٥ و ١٧٣ و ج ١ ص ٢١ و ٢٢ و ج ٢ ص ١١٥ و الملل و النحل ج ١ ص ٢٢ و صحيح مسلم ج ٥ ص ٧٥ و البدء و التاريخ ج ٥ ص ٥٩ و البدايه و النهايه ج ٥ ص ٢٢٧ و الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٢٤٤ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٣ ص ١٩٢ و ١٩٣ و الكامل فى التاريخ ج ٢ ص ٣٢٠ و أنساب الأشراف ج ١ ص ٥٦٢ و شرح النهج للمعتزلى ج ٦ ص ٥١ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ١٦٤ و مسند أحمد ج ١ ص ٣٥٥ و ٣٢٤ و ٣٢٥ و تاريخ ابن خلدون ج ٢ قسم ٢ ص ٦٢ و السيره الحلبيه ج ٣ ص ٣٤٤. و راجع المصادر التاليه: نهج الحق ص ٢٧٣ و الصراط المستقيم ج ٣ ص ٦ و ٣ و حق اليقين ج ١ ص ١٨١ و ١٨٢ و المراجعات ص ٣٥٣ و النص و الإجتهد ص ١٤٩-١٦٣ و دلائل الصدق ج ٣ قسم ١ ص ٦٣-٧٠.

فمن غلبه الوجع، و من كان يهجر- و العياذ بالله- لا- يوثق بما يقوله، و لا ينبغي الالتزام به، حتى ولو ورد بالطرق الصحيحه و الصريحه، نعوذ بالله من الزلل و الخطل فى القول و العمل .. و عصمنا الله من نسبه ذلك لرسوله الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم.

الثانى:

إننا لا نريد أن نسجل إدانه صريحه للخليفه الثانى، حول ما تذكره الروايه من جهله بآخر أمر صدر من النبى الأكرم (صلى الله عليه و آله و سلم)، حول وجود الاديان فى جزيره العرب .. بأن نقول: إن ذلك لا يتناسب مع مقام خلافه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) ..

لا.. لا نريد ذلك، لأننا نشك فى أن يكون الخليفه قد استند فى موقفه من اليهود إلى قول رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) ..

و نحن نوضح ذلك فيما يلى:

سبب إخراج عمر لليهود:

إن من المسلم به: أن النبى (صلى الله عليه و آله) حين افتتح خيبراً قد أبقى اليهود فى شطر منها، يعملون فيه، و لهم شطر ثماره، ولكن عمر قد أخرجهم منها إلى تيماء و أريحا (٢). ١.

١- راجع المصادر المتقدمه، فقد ذكر عدد منها ذلك، مثل صحيح البخارى و وفاء الوفاء ج ١ ص ٣١٩ و ٣٢١.

٢- راجع: صحيح البخارى ج ٢ ص ٣٢ و ١٢٩ صحيح مسلم ج ٥ ص ٢٧ و مسند أحمد ج ٢ ص ١٤٩ و وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٢٠ و السيره الحليه ج ٣ ص ٥٨ و الروض الأنف ج ٣ ص ٢٥١.

و لكن ما ذكروه فى سبب ذلك، من أنه قد فعل امتثالا- لأمر رسول الله (صلى الله عليه و آله) و تدينا منه، و التزاما بالحكم الشرعى، لا يمكن المساعده عليه، و لا الالتزام به، حيث اننا نشك فى ذلك، و ذلك لما يلى:

أ: لماذا لم يفعل ذلك ابو بكر، فهل لم يبلغه ذلك؟!!

و الذين ابلغوا عمر بن الخطاب لماذا لم يبلغوا سلفه أبا بكر؟!!

ب: قولهم: إن عمر لم يكن يعلم بلزوم إجلاء اليهود، حتى بلغه الثب عن رسول الله ينافيه ما رواه مسلم عن جابر بن عبد الله قال:

أخبرنى عمر بن الخطاب: أنه سمع رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقول: لأخرجن اليهود و النصارى من جزيره العرب، حتى لا أذع إلا مسلما (١).

فلماذا توقف عن إخراجهم، حتى بلغه الثب عن رسول الله؟ ألم يكن هو قد سمع ذلك من النبى (صلى الله عليه و آله) مباشرة، فلماذا لم ينفذ ما سمعه؟!!

و لماذا أيضا لم يخبر عمر نفسه رفيقه و صديقه الحميم أبا بكر بهذا القول منه (صلى الله عليه و آله)؟! إلا أن يقال: إن هذا لا يدل على أنه صلى الله عليه و آله وسلم قد أمر الخليفه بعده بذلك.

ج: إن ثمة حديثا يفيد: أن سبب إخراج عمر لليهود خير هو أنهم اعتدوا على ولده، فقد روى البخارى و غيره: ٩.

١- صحيح مسلم ج ٥ ص ١٦٠ و الجامع الصحيح للترمذى ج ٤ ص ١٥٦ و فيه: لأن عشت لأخرجن اليهود و النصارى من جزيره العرب. و كنز العمال ج ٤ ص ٣٢٣ عن ابن جرير فى تهذيبه و مسند أحمد ج ٣ ص ٣٤٥ ج ١ ص ٢٩ و ٣٢ و المصنف للصنعانى ج ١٠ ص ٣٥٩.

عن ابن عمر، قال: لما فُدع (١) أهل خيبر عبد الله بن عمر، قام عمر خطيباً، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان عامل يهود خيبر على أموالهم، وقال: نفركم ما أقركم الله. وان عبد الله بن عمر خرج إلى ماله هناك، فعدى عليه من الليل، ففدعت يداه، ورجلاه، وليس لنا هناك عدو غيرهم، هم عدونا و تهمتنا، وقد رأيت إجلاءهم.

فلما أجمع عمر على ذلك أتاه أحد بنى الحقيق، فقال: يا أمير المؤمنين، اتخرجنا، وقد أقرنا محمد، و عاملنا على الاموال، و شرط ذلك لنا؟!!

فقال عمر: أظننت أنى نسيت قول رسول الله: كيف بك إذا أخرجت من خيبر، تعدو بك قلوبك ليله بعد ليله؟!!

فقال: كانت هذه هزيلة (أى فرحه) من أبى القاسم.

فقال: كذبت يا عدو الله.

فأجلاهم عمر إلخ .. (٢).

و نشير فى هذه الروايه الى أمرين:

الأول: إنها تصرح بأن إجلاء اليهود كان رأياً من عمر، و ليس امتثالاً لأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله). و أن الدافع له هو ما فعلوه بولده.٩.

١- الفدع: زوال المفصل.

٢- صحيح البخارى ج ٢ ص ٧٧-٧٨ و راجع المصادر التاليه: كنز العمال ج ٤ ص ٣٢٤ و عنه و عن البيهقى و وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٢٠ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ٣٥٢ و ٣٥٣ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٢٠٠ و ٢٢٠ و الإكتفاء ج ٢ ص ٢٧١ و المغازى للواقدى ج ٢ ص ٧١٦ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ٤١٦ و السيره الحلبيه ج ٣ ص ٥٧ و ٥٨ و السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٣٧٨ و مسند أحمد ج ١ ص ١٥ بنص أكثر تفصيلاً، كما هو الحال فى بعض المصادر الآنفه الذكر و راجع ايضاً: زاد المعاد لابن القيم ج ٢ ص ٧٩.

و من الواضح: أن ذلك ليس مبررا كافيا لذلك، فقد سبق لليهود أن قتلوا عبد الله بن سهل بخبير، فاتهمهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) و المسلمون بقتله، فأنكروا ذلك، فوداه رسول الله (صلى الله عليه وآله)، و لم يخرجهم بسبب ذلك (١).

الثانى: إن ما نقله عمر لأحد بنى الحقيق، لم يكن هو المستند لإخراجهم، بل صرح عمر بأن ذلك كان لرأى رآه بسبب ما فعلوه بولده ..

كما أن إخبار النبى هذا ليس فيه ما يدل على أنهم يخرجون بحق أو بغير حق، و لا يفيد تأييد هذا الإخراج و لا تفنيده، و لعل لأجل ذلك لم يستطع أن يستند إليه الخليفه فى تبرير ما يقدم عليه.

د: و فى بعض المصادر: أضاف إلى ما صنعه بابت عمر، أنهم غشوا المسلمين (٢). و لا ندرى إن كان يقصد: أن غشهم هذا كان بفعل مستقل منهم، أم أن ما فعلوه بابت عمر هو الدليل لهذا الغش ..

قال دحلان: (استمروا على ذلك إلى خلافه عمر (رض). و وقعت منهم خيانه و غدر لبعض المسلمين، فأجلاهم إلى الشام، بعد أن استشار الصحابه (رض) فى ذلك) (٣). ١.

١- راجع: السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٣٦٩ و ٣٧٠ و عمدته القارىء ج ١٣ ص ٣٠٦ و الإصابه ج ٢ ص ٣٢٢ و فيه: أن هذا الحديث موجود فى الموطأ و أخرجه الشيخان فى باب القسامه، و أسد الغابه ج ٣ ص ١٧٩ و ١٨٠ و الإكتفاء ج ٢ ص ٢٧٠ و المغازى للواقدي ج ٢ ص ٧١٤ و ٧١٥ و السيره الحلبيه ج ٣ ص ٥٧ و ٥٨.

٢- البدايه و النهايه ج ٤ ص ٢٠٠ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ٣٥٢ و فتح البارى ج ٥ ص ٢٤٠ و عمدته القارىء ج ١٣ ص ٣٠٥ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ٣٧٩.

٣- السيره النبويه ج ٣ ص ٦١.

و عباره دحلان هذه ظاهره فى أن المقصود بخيانتهم و غدوهم هو نفس ما صدر منهم فى حق بعض المسلمين، و هو ابن عمر بالذات. و لا ندرى لماذا لم يصرح باسمه و نسبه هنا (!!).

ه: و مما يدل على أن إجلاءهم كان رأيا من الخليفة الثانى، ما رواه أبو داود و غيره، عن ابن عمر، عن عمر، أنه قال:

أيها الناس، إن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كان عامل يهود خبير على انا نخرجهم إذا شئنا، فمن كان له مال فليلحق به، فانى مخرج يهود.

فأخرجهم (١).

و معنى ذلك: هو أنه لم يكن يرى اخراجهم واجبا شرعيا، كما أنه قد احتج لما يفعله بشرط النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) إبقاءهم بالمشيئة - إذا شئنا - و لا- يحتج لذلك بما ثبت له عنه (صلى الله عليه و آله و سلم)، من عدم بقاء دينين فى ارض العرب.

مع أنه لو كان هذا هو السبب و الداعى، لكان الاحتجاج به أولى و أنسب.

و مما يؤيد ذلك و يعضده: أن اليهود حين اعترضوا عليه بقولهم: لم يصالحنا النبى (صلى الله عليه و آله) على كذا و كذا؟! قال:

بلى. على أن نقركم ما بدا لله و لرسوله، فهذا حين بدا لى إخراجكم.

فأخرجهم (٢).م:

١- سنن أبى داود ج ٣ ص ١٥٨ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٢٠٠ و أشار إليه فى فتح البارى ج ٥ ص ٢٤١ عن أبى يعلى، و البغوى. و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ٣٨٠ و كنز العمال ج ٤ ص ٣٢٥ عن أبى داود، و البيهقى، و أحمد و راجع: المصنف للصنعانى ج ١٠ ص ٣٥٩.

٢- المصنف للصنعانى ج ٤ ص ١٢٥ و سيأتى الحديث بلفظ آخر بعد قليل تحت رقم:

و: إنه قد أخرج نصارى نجران، و انزلهم ناحيه الكوفه (١).

ز: قد ذكرت بعض الروايات أن السبب فى اجلائهم هو استغناء المسلمين عنهم، و ليس هو وصيه النبى (صلى الله عليه و آله) باخراجهم.

يقول ابن سعد و غيره: إنه لما صارت خبير فى أيدي المسلمين، لم يكن لهم من العمال ما يكفون عمل الأرض، فدفعها النبى (صلى الله عليه و آله) الى اليهود، يعملونها على نصف ما يخرج منها.

فلم يزالوا على ذلك حتى كان عمر بن الخطاب، و كثر فى أيدي المسلمين العمال، و قووا على عمل الأرض، فأجلى عمر اليهود الى الشام، و قسم الاموال بين المسلمين إلى اليوم (٢) و قريب من ذلك ذكره ابن سلام أيضا، فراجع (٣).

و بعد أن ذكر العسقلانى هذه الروايه، و ذكر روايه عدم اجتماع دينين فى جزيره العرب، ثم روايه البخارى عن فدع اليهود لعبد الله بن عمر، قال:

(.. و يحتمل أن يكون كل هذه الأشياء جزء عله فى إخراجهم) (٤).

و لكنه احتمال غير وارد، فان ظاهر الروايات: أن السبب فى إخراجهم هو خصوص ما تذكره دون غيره، و لا سيما حين يكون الحديث، و التعليل فى مقام الاحتجاج و الاستدلال و دفع الشبهه، من نفس ذلك الرجل الذى تصدى لذلك.

١- الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ٢٨٣.

٢- طبقات ابن سعد ج ٢ ص ١١٤ و فتح البارى ج ٥ ص ٢٤٠ و تاريخ المدينه ج ١ ص ١٨٨.

٣- الأموال ص ١٤٢ و ١٤٣ و ١٤٣.

٤- فتح البارى ج ٥ ص ٢٤٠.

ح: قولهم: إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أمر بإجلاء اليهود والنصارى من بلاد العرب، وأنه قال: لا يجتمع ببلاد العرب دينان، أو نحو ذلك.

ينافيه:

١- قولهم:- حسبما روى عن سالم بن أبي الجعد:- (كان أهل نجران بلغوا أربعين الفاً، وكان عمر يخافهم أن يميلوا على المسلمين، فتحاسدوا بينهم، فأتوا عمر، فقالوا:

إننا قد تحاسدنا بيننا، فأجلنا.

و كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد كتب لهم كتاباً: أن لا يجلوا.

فاغتنمها عمر، فأجلاهم إلخ (١).

٢- وفي نص آخر: إنما أخرج عمر أهل نجران، لأنهم أصابوا الربا في زمانه (٢).

٣- وعن علي (عليه السلام): انه نسب إجلاء أهل نجران إلى عمر أيضاً فراجع (٣) إلا أن يقال: إن نسبه ذلك إليه لا يدل على عدم الأمر به من النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

ط- عن ابن عمر: ان عمر أجلى اليهود من المدينة، فقالوا:

أقرنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم و أنت تخرجنا؟!٣.

١- كنز العمال ج ٤ ص ٣٢٢ و ٣٢٣ عن الأموال، و عن البيهقي، و ابن أبي شيبة و راجع هامش ص ١٤٤ من كتاب الأموال.

٢- الأموال ص ٢٧٤.

٣- راجع: كتاب الخراج، للقرشي ص ٢٣.

قال: أقركم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، و أنا أرى أن اخرجكم، فأخرجهم من المدينة (١).

فلو أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان قد أمر بإخراجهم لم ينسب عمر اخراجهم الى رأيه الشخصى.

ى: إنه يرد هنا سؤال، و هو: لماذا يخرجهم من بلاد العرب، و لا يخرجهم من بلاد المسلمين كلها، فهل لبلاد العرب خصوصيه هنا؟! و ما هى هذه الخصوصيه سوى التعصب القومى، و التمييز العنصرى، و الشعور بالتفوق على الآخرين، بلا مبرر ظاهر ..

ك: عن يحيى بن سهل بن أبى حثمه، قال: أقبل مظهر بن رافع الحارثى الى أبى باعلاج من الشام، عشره، ليعملوا فى أرضه، فلما نزل خيبر أقام بها ثلاثا، فدخلت يهود للاعلاج، و حرضوهم على قتل مظهر، و دسوا لهم سكينين أو ثلاثا!

فلما خرجوا من خيبر، و كانوا ببار، و ثبوا عليه، فبعجوا بطنه، فقتلوه. ثم انصرفوا إلى خيبر، فزودتهم يهود و قوتهم حتى لحقوا بالشام.

و جاء عمر بن الخطاب الخبر بذلك، فقال: إني خارج الى خيبر، فقسام ما كان بها من الاموال، و حادّ حدودها، و مورف أرفها (٢)، و مجل يهود عنها، فان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لهم:

أقركم ما أقركم الله.

و قد أذن الله فى اجلائهم.٦.

١- كتر العمال ج ٤ ص ٣٢٣ عن ابن جرير فى التهذيب، و تقدم نحوه عن المصنف للصنعانى ج ٤ ص ١٢٥.

٢- الأرف: جمع أرفه، و هى الحدود و المعالم. راجع: النهايه لابن الأثير ج ١ ص ٢٦.

ففعل ذلك بهم (١).

و فى الواقدى: أن عمر خطب الناس، فقال: أيها الناس إن اليهود فعلوا بعبد الله ما فعلوا، و فعلوا بمظهر بن رافع، مع عدوتهم على عبد الله بن سهل فى عهد رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم، لا أشك أنهم أصحابه، ليس لنا عدو هناك غيرهم؛ فمن كان له هناك مال؛ فليخرج؛ فأنا خارج فقاسم .. إلى أن قال: الا أن يأتى رجل منهم بعهد، أو بينه من النبى صلى الله عليه و آله وسلم أنه أقره، فأقره ..

ثم ذكر تأييد طلحه لكلام عمر، ثم قول عمر له:

من معك على مثل رأيك!؟

قال: المهاجرون جميعا، و الأنصار. فسر بذلك عمر (٢).

ل: قال الحلبي الشافعي بعد ذكره روايه مصالحة النبى (صلى الله عليه و آله) لهم، و أنه (صلى الله عليه و آله) قال لهم: على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم:

(أى و هذا يخالف ما عليه أئمتنا من أنه لا يجوز فى عقد الجزية، أن يقول الإمام، أو نائبه: أقركم ما شئنا، بخلاف ما شئتم، لانه تصريح بمقتضى العقد؛ لأن لهم نبد العقد ما شاؤا. و ذكر أئمتنا: أنه يجوز منه (صلى الله عليه و آله) - لا منّا - أن يقول: أقررتكم ما شاء الله؛ لأنه يعلم مشيئه الله دوننا) (٣).

و نقول: إن ذلك محل نظر؛ إذ: ٧.

١- كتر العمال: ج ٤ ص ٣٢٤ و ٣٢٥ عن ابن سعد، و المغازى للواقدى: ج ٢ ص ٧١٦ و ٧١٧ و فى السيره الحلبيه: ج ٣ ص ٥٧، كما فى الواقدى.

٢- راجع: المغازى للواقدى: ج ٢ ص ٧١٦ و ٧١٧.

٣- السيره الحلبيه ج ٣ ص ٥٧.

١- من الذى قال: إنه (صلى الله عليه و آله) يعلم- فى هذا المورد بخصوصه- مشيئه الله سبحانه؟!.

٢- لماذا لا يصح للنبي، و لغيره أيضا أن يقول ذلك؟!، أليس حكمهم الجلاء، و قد عادت الأرض إلى الرسول (صلى الله عليه و آله)، لتكون خالصه له؟ فهو يزارعهم فى ملكه، و له أن يمنعهم من العمل و السكنى فيها متى شاء. لا- أن الأرض لهم، و هو (صلى الله عليه و آله) ينتظر نقضهم للعهد، حتى تكون المشيئه إليهم فى النقض و عدمه، كما يريد هؤلاء أن يفهموا.

م: إن عمر إنما أجلاهم إلى أريحا و تيماء من جزيره العرب (١) و قد حاول الحلبي الشافعى دعوى: أن المقصود بجزيره العرب خصوص الحجاز، و أريحا و تيماء ليستا من الحجاز، و لعله استند فى ذلك الى بعض النصوص التى عبرت بكلمه (الحجاز) بدل (جزيره العرب) كما يفهم من كلامه ضمنا (٢).

و نقول:

أولاً: إن الروايات متناقضه، فبعضها قال: اليهود و النصارى.

و بعضها قال: المشركين.

و فى بعضها: لا يبقى دينان فى جزيره العرب.

و فى بعضها: اليهود.

و من جهه أخرى: فان بعضها: ذكر الحجاز، و بعضها ذكر جزيره العرب .. و فى بعضها أنه قال: اخرجوا اليهود من الحجاز، و اخرجوا أهلن.

١- السيره الحلبيه ج ٣ ص ٥٨ و وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٢٠.

٢- المصدر السابق.

نجران من جزيره العرب (١). و هذا الاختلاف يوجب ضعف الروايه إلى حد كبير.

و ثانيا: قال السمهودي: (لم ينقل أن أحدا من الخلفاء أجلاهم من اليمن، مع أنها من الجزيره) (٢) ثم قال: فدل على أن المراد الحجاز فقط.

و نقول: بل دل ذلك على ضعف الروايه من الأساس لا سيما و أن عددا من الروايات يصرح بأن النبي قال: لا يبقين دينان بأرض العرب.

و ارض العرب لا تختص بالحجاز كما هو معلوم.

و ثالثا: إن تيماء من الحجاز أيضا، قال ابن حوقل: بينها و بين أول الشام ثلاثه أيام (٣).

و هي تقع على ثمان مراحل من المدينه بينها و بين الشام، و هي تعد من توابع المدينه (٤).

و مدين التي هي من اعراض المدينه تقع في محاذاه تبوك (٥) و تبوك أبعد من تيماء كما هو ظاهر.

و آخر عمل المدينه (سرغ)، بوادي تبوك، على ثلاث عشره مرحله من المدينه (٦). ٣.

١- المصدر السابق، و الأموال ص ١٤٢ و ١٤٣ و ١٤٤ و وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٢٠ ٣٢١ و راجع مصادر الحديث و نصوصه في المصادر في الصفحات المتقدمه.

٢- وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٢١.

٣- صورته الأرض ص ٤١.

٤- وفاء الوفاء ج ٤ ص ١١٦٠ و ١١٦٤.

٥- راجع: وفاء الوفاء ج ٤ ص ١١٦٠ و ١٣٠٢ و معجم البلدان ج ٣ ص ٢١١.

٦- وفاء الوفاء ج ٤ ص ١١٦٠ و ١٢٣٣.

و قالوا عن سرغ: إنها أول الحجاز، و آخر الشام (١).

بل لقد قال الحرقي: تبوك و فلسطين من الحجاز (٢).

و لكن قال السهمودي: إن عمر (لم يخرج أهل تيماء و وادي القرى، لأنهما داخلتان في أرض الشام. و يرون: أن ما دون وادي القرى الى المدينة حجاز، و أن ما وراء ذلك من الشام) (٣).

و لكن السهمودي نفسه ينقل عن صاحب المسالك و الممالك و عن ابن قرقول: أنهما قد عدّا وادي القرى من المدينة (٤).

كما أن ابن الفقيه قد عد دومه الجندل من أعمال المدينة، و وادي القرى تقع فيها (٥).

و قال ياقوت و غيره: إن وادي القرى من أعمال المدينة، أيضا (٦).

و عدّها ابن حوقل و غيره من الحجاز (٧).

و بعد هذا: فان كلام السهمودي يصبح متناقضا و غير واضح، و إن كان يمكن الاعتذار عنه بأنه ينسب بعض ما يقوله لغيره، و ذلك لا يدل على رضاه و قبوله به.

و لكن هذا الاعتذار إنما يصح في بعض الموارد دون بعض، مع ٩.

١- معجم البلدان ج ٣ ص ٢١١ و مراصد الإطلاع ج ٢ ص ٧٠٧.

٢- وفاء الوفاء ج ٤ ص ١١٨٤.

٣- وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٣٢٩.

٤- وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٣٢٨.

٥- وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢١٢ و راجع ص ١٣٢٨.

٦- راجع: مراصد الإطلاع ج ٣ ص ١٤١٧ و معجم البلدان ج ٥ ص ٣٤٥.

٧- صورة الأرض ص ٣٨ و مسالك الممالك ص ١٩.

ملاحظه: أننا لم نجده يعترض على ما ينقله عن الآخرين، بل ظاهره أنه مصدق و معترف به.

دعاوى لا تصح:

و قد حاول الحلبي هنا: أن يجعل من أسباب كثيره سببا واحدا، فوقع في التناقض و الاختلاف، فانه بعد أن ذكر: عزم عمر على إجلاء اليهود، بسبب ما فعلوه بولده و بعبد الله بن سهل، و بمظهر بن رافع، قال:

(فلما اجمع الصحابه على ذلك، أى على ما أراده سيدنا عمر جاءه أحد بنى الحقيق فقال له: يا أمير المؤمنين إلخ ..) فذكر القصة المتقدمه و أن عمر لم ينس قول النبي لابن ابى الحقيق حول خروجه.

ثم قال: (ثم بلغه (رض): أنه صلى الله عليه و آله وسلم قال: لا يبقى دينان فى جزيره العرب و نصوصا اخرى تقدمت). ثم ذكر ان المراد بالجزيره خصوص الحجاز.

إلى أن قال: (ففحص عمر عن ذلك حتى تيقنه و ثلج صدره فأجلى يهود خيبر، أى و أعطاهم قيمه ما كان لهم من ثمر و غيره و أجلى يهود فدك، و نصارى نجران، فلا يجوز إقامتهم أكثر من ثلاثه ايام غير يومى الدخول و الخروج، و لم يخرج يهود وادى القرى و تيماء، لأنهما من أرض الشام لا من الحجاز) (١).

فهو يقول: إن عمر هو الذى عزم على إجلاء اليهود، ثم يقول: إن الصحابه قد أجمعوا. ثم يذكر أنه عرف بأوامر النبي (صلى الله عليه و آله) حول اليهود بعد هذا العزم و بعد ذلك الاجماع، فلما تيقنه و ثلج صدره أجلاهم ٨.

كما أنه يذكر العبارات المتناقضة حول جزيره العرب و الحجاز، و يدعى أن المقصود بالجزيره هو خصوص الحجاز، و لكنه يدعى أن تيماء و وادى القرى ليستا من الحجاز، مع ان النصوص الجغرافيه على خلاف ذلك، حسبما أوضحناه.

ثم يذكر: أنه أعطاهم ثمن أموالهم .. و لا ندرى السبب فى ذلك، إن كان إخراجهم بسبب نقضهم للعهد، فإن ناقض العهد لا يعطى ذلك ..

و أخيرا، فإنه ادعى عدم جواز اقامتهم أكثر من ثلاثه أيام غير يومى الدخول و الخروج، فهل هذا الحكم مأخوذ من النبى (صلى الله عليه و آله)، أم أنه حكم سلطانى متأخر عن زمنه (صلى الله عليه و آله)؟

و لا ندرى كيف أجز لهم ذلك بعد منعه (صلى الله عليه و آله) لهم من البقاء فى أرض العرب.

كما أننا لا نعرف من أين جاء استثناء يومى الخروج و الدخول.

إلى غير ذلك من الأسئلة التى يمكن استخلاصها من مجموع ما ذكرناه.

الروايه الأقرب الى القبول:

و لعلنا لا نبعد كثيرا إذا قلنا: إن حديث (لا يجتمع فى جزيره العرب دينان) هو من قول عمر، و قد نسب إلى النبى (صلى الله عليه و آله) من أجل تصحيح ما أقدم عليه عمر من نقض عهد اليهود لأجل ابنه، أو لغير ذلك من اسباب، لم ير فيها النبى (صلى الله عليه و آله) ما يوجب ذلك حسبما المحنا إليه؛ فقد قال أبو عبيد الله القاسم بن سلام:

(حدثنا يحيى بن زكريا بن أبى زائده، و محمد بن عبيد، عن

عبيد الله بن عمر، عن نافع عن ابن عمر، قال: (١) الروايه الأقرب الى القبول: ص : ١٦٢ فترى فى هذا الحديث: أنه قد نسب القول بعدم اجتماع دينين فى جزيرة العرب إلى عمر نفسه من دون إشاره إلى رسول الله، و لعله الأوفق و الأولى، و قد تقدم ما يشير إلى أن ذلك كان رأيا من عمر، فلا نعيد.

لا إكراه فى الدين:

قد تقدم فى الفصل الأول فى هذا الجزء: أن آيه لا إكراه فى الدين قد نزلت فى مناسبة غزوه بنى النضير، حيث كان معهم أولاد للأنصار أراد آباؤهم أن يمنعوهم من الخروج معهم فنزلت هذه الآيه.

و نقول: إن ذلك موضع مناقشه و غير مسلم؛ و إن أصرّ عليه القرطبي (٢).

فأولا: قد روى فى سبب نزول الآيه:

١- أن سبب نزولها هو وجود ابناء للانصار فى بنى النضير، على طريق الاسترضاع فثبتوا على دينهم، فلما جاء الاسلام أرادهم اهلهم على الاسلام فنزلت (٣). ٥.

١- الأموال ص ١٤٣.

٢- راجع: الجامع لأحكام القرآن ج ٣ ص ٢٨٠.

٣- راجع فتح القدير ج ١ ص ٢٧٦ عن سعيد بن منصور و عبد بن حميد، و ابن جرير، و ابن المنذر و ابن أبى حاتم عن مجاهد و عن الحسن و الدر المنثور ج ١ ص ٣٢٩ عنهم و عن ابن عقده فى غرائب شعبه و النحاس فى ناسخه و عبد بن حميد و سعيد بن منصور و راجع: الجامع لأحكام القرآن ج ٣ ص ٢٨٠ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٧ و لباب التأويل ص ١٨٥.

٢- عن السدى: أنها نزلت في ابى حصين الأنصارى، الذى تنصر ابناه، و مضيا إلى الشام، فطلب من النبى (صلى الله عليه و آله) أن يبعث من يردّهما، فنزلت (١).

و ثانيا: إن منع الأنصار أولادهم من الخروج مع اليهود لا- يعنى إجبارهم على الدخول فى الإسلام، و لم يرد الآباء ذلك من أولادهم، و إنما أرادوا منعهم من الخروج فقط ..

إلى خير، أم إلى الشام؟

و تقول بعض المصادر: إن بنى النضير (تحملوا إلى الشام) كما هو مذكور فى بعض الروايات .. أى إلى أذرعات منها (٢). ٨.

١- راجع: الجامع لأحكام القرآن ج ٣ ص ٢٨٠ و لباب التأويل ج ١ ص ١٨٦ و مدارك التنزيل بهامشه ج ١ ص ١٨٥ و فتح القدير ج ١ ص ٢٧٦ عن ابن إسحاق، و ابن جرير عن ابن عباس: و كذا أخرج عبد بن حميد عن عبد الله بن عبيده نحوه، و كذا أخرج أبو داود فى ناسخه و ابن جرير و ابن المنذر عن السدى نحوه و الدر المنثور ج ١ ص ٣٢٩ عنهم جميعا أيضا.

٢- راجع: فتح القدير ج ٥ ص ١٩٩ و تاريخ يعقوبى ج ٢ ص ٤٩ و البدء و التاريخ ج ٤ ص ٢١٣ و تفسير الصافى ج ٥ ص ١٥٣ و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٢ و المغازى للواقدى ج ١ ص ٣٨٠ و تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢٣٢ و المصنف للصنعانى ج ٥ ص ٣٥٨ و ٣٥٩، و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٥٥٣ و ٥٥٤ و التبيان ج ٩ ص ٥٥٧ و أحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ٤٢٨ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ١١٩ و حياه الصحابه ج ١ ص ٣٩٨ و مدارك التنزيل المطبوع بهامش لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٤ و جامع البيان ج ٢٨ ص ١٩ و ٢٠ و ٢٢ و الدر المنثور ج ٦ ص ١٨٨ و ١٨٩ و ١٨٧ عن بعض من تقدم و عن: ابن مردويه و البيهقى فى الدلائل، و عبد بن حميد، و أبى داود، و ابن المنذر، و الحاكم و صححه. و راجع شعر أمير المؤمنين (عليه السلام) المذكور فى الفصل الأول من هذا الباب و فى السير النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢٠٨.

و تذكر مصادر أخرى: أنهم أجلوا إلى خيبر (١) و فدك (٢).

فقد يتخيل وجود تناقض فيما بين هذه النصوص ..

فاذا ضمنا ذلك إلى نصوص أخرى، فان هذا التناقض يتأكد، حيث نجد بعضها يقول:

(تحملوا إلى خيبر، و إلى الشام، و ممن سار منهم إلى خيبر أكابرهم، كحبي بن اخطب، و سلام بن أبي الحقيق، و كنانة بن الربيع، فدانت لهم خيبر) (٣).

و قال آخر: (و مضى من بنى النضير إلى خيبر ناس، و إلى الشام ناس) (٤).٣.

١- الثقات ج ١ ص ٢٤٣ و مرآة الجنان ج ١ ص ٩ و التنبيه و الإشراف ص ٢١٣ و سيره مغلطاي ص ٥٣ و الدر المنثور ج ٦ ص ١٨٨ عن عبد بن حميد، و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٣ و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٢ و فيه: أن إجلاءهم إلى أذرع و نجد، و قيل: إلى تيماء و أريحا، كان على يد عمر.

٢- التنبيه و الإشراف ص ٢١٣. و قد يظهر منه: أنه (صلى الله عليه و آله) قد سمح لهم بالذهاب إلى فدك أيضا، فاختاروا خيبرا.

٣- الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٨.

٤- تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٥٩ و راجع: أحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ٤٢٨ و جوامع الجامع ص ٤٨٦ و مجمع البيان ج

٩ ص ٢٥٥ و البحار ج ٢٠ ص ١٥٧ عنه عن مجاهد، و قتاده و الدر المنثور ج ٦ ص ٩٩ عن ابن المنذر، و ابن إسحاق، و أبي

نعيم في الدلائل، و سيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٧ و تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٣٠ و ٣٣٣ و وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٩٧ و

الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٧٣ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ٢ قسم ٢ ص ٢٨ و السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢٠١ و

تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٥٥٤ و الإكتفاء ج ٢ ص ١٤٨ و جامع البيان ج ٢٨ ص ١٩ و زاد المعاد ج ٢ ص ١١٠ و عمدته

القارىء ج ١٧ ص ١٢٦ و فتح الباري ج ٧ ص ٢٥٤ و منهاج السنه ج ٤ ص ١٧٣.

و آخر يقول: (خرجوا إلى أذرعات، و أريحا، و خيبر، و حيره) (١).

و بعض آخر يذكر ذلك، من دون ذكر الحيره (٢).

و نص آخر يذكر: أنهم لحقوا بأذرعات بالشام و أريحا، إلا أهل بيتين منهم: آل أبي الحقيق، و آل حبي بن أخطب، فإنهم لحقوا بخيبر، و لحقت طائفه منهم بالحيره (٣).

و جاء فى بعض النصوص قوله: (و طاروا كل مطير، و ذهبوا كل مذهب، و لحق بنو أبي الحقيق بخيبر، و معهم آنيه كثيره من فضه، فرآها النبي صلى الله عليه و آله وسلم و المسلمون، و عمد حبي بن اخطب حتى قدم مكة على قريش، فاستغواهم على رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم (٤).

و آخر نص نذكره هو ما قاله البعض: (وقع قوم منهم الى فدك، و وادى القرى، و خرج قوم منهم إلى الشام) (٥).

١- مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٧.

٢- السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٢.

٣- راجع: غرائب القرآن مطبوع بهامش البيان ج ٢٨ ص ٣٣ و التفسير الكبير ج ٢٩ ص ٢٧٨ و الكشاف ج ٤ ص ٤٩٨ و ٤٩٩ و مجمع البيان ج ٩ ص ٢٥٧ و البحار ج ٢٠ ص ٢٠٩ عنه و بهجه المحافل ج ١ ص ٢١٥ و لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٥.

٤- تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ١٢٢.

٥- تفسير القمى ج ٢ ص ٣٥٩ و البحار ج ٢٠ ص ١٧٠ و تفسير الصافى ج ٥ ص ١٥٤ و تفسير البرهان ج ٤ ص ٣١٣.

السلاح للمؤمنين فقط:

و نلاحظ: أنه (صلى الله عليه و آله) قد أجلاهم، و سمح لهم بأن يأخذوا ما أقلته الإبل، إلا الحلقة ..

و تذكر بعض النصوص إحصائيه لما حصل عليه المسلمون من سلاح، فتقول: (فوجد من الحلقة خمسين درعا و خمسين بيضه، و ثلاثمائة سيف، و أربعين سيفاً) (١).

و من الواضح: أن فى ذلك قوه للمسلمين الذين يواجهون العدو المتربص بهم ليل نهار و فى كل اتجاه ..

ثم هو إضعاف لعدوهم، ماديا و معنويا، و له تأثيرات سلبيه على معنويات كل أولئك الذين يتعاطفون معهم، و يميلون إليهم.

و من وجهه نظر مبدئيه، و عقيديه، فإن السلاح لا يكون إلا للمؤمنين، و هم وحدهم الذين يملكون الحق فى السلاح، لأنهم إنما ينصرون به الحق، و يدمرون به الباطل .. أما الآخرون فعلى العكس من ذلك، و لا أقل من أنه- إذا كان السلاح بأيدي غير المؤمنين- فإنه يصبح له حاله ردع تلقائيه، و تخوف فى قلوب المؤمنين الذين لا بد لهم أن يعملوا على نشر الدين، و إعزازه، و استئصال الباطل و إذلاله.

حزن المنافقين:

و إن ما جرى لبني النضير، و هم أعز يهود منطقه الحجاز، قد جعل المنافقين، الذين كانوا يلتقون معهم فى العداة للإسلام، و الخلاف له ٨.

١- الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٥٨ و الوفاء ص ٦٩٠ و البحار ج ٢٠ ص ١٦٦ عن الكازرونى و غيره، و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٢ و زاد المعاد ج ٢ ص ٧٢ و مغازى الواقدى ج ١ ص ٣٧٧ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٨.

و عليه، و قد ثقل عليهم إقامه شعائره، و الالتزام بأحكامه، و أن يربوا أنفسهم تربيته صالحه، وفقا لاهدافه و مراميه- قد جعلهم- يحسون بالضعف، و يشعرون بأنهم قد خسروا واحدا من أهم حلفائهم و من هم على رأيهم، و لهم نفس أهدافهم و طموحاتهم بالنسبه إلى مستقبل الإسلام و المسلمين ..

فخابت آمالهم، و تبخرت أحلامهم، التي كانوا قد نسجوها، و خدعوا أنفسهم بها ..

إذ أن من الواضح: أن مجاراه المنافقين للمسلمين، إنما كان- فى الأكثر- يهدف إلى الحصول على بعض الإمتيازات و المنافع، ثم يديرون ظهورهم إليهم و يواصلون مسيرتهم بالطريقه التي تروق لهم، و بالاسلوب الذى يعجبهم و يحلو لهم. فليس الإسلام و المسلمون سوى وسائل توصلهم إلى تلك المآرب، و تحقق لهم هاتيك الأهداف ..

و أما أولئك الذين أظهروا الإسلام، لأن ظروفهم، و علاقاتهم قد فرضت عليهم ذلك، و كانوا بانتظار زوال ذلك الكابوس فإنهم أيضا قد تلقوا ضربه هائله و مخيفه، و هم يرون الإسلام تقوى شوكته، و يتعمق و يتجذر، و يستقطب، و يجتاح كل خصومهم، و يدمرهم، أو يقضى على مصادر القوه فيهم ..

فكان من الطبيعى أن نجد المنافقين من أولئك و هؤلاء يشدد حزنهم، و يتضاعف كمدهم، و يكبر خوفهم، و لم يخف حالهم على أحد، و سجله التاريخ على صفحاته، ليخلد خزيهم، و ذلهم، فذكر المؤرخون:

أنه حين أجلى بنو النضير: (حزن المنافقون عليهم حزنا شديدا) (١).٧.

نماذج مشيرة:

و نجد فيما حفظه لنا التاريخ من تأوهات، و صرخات مكتومه و ظاهره لبعض هؤلاء الذين كانوا يتعاطفون مع اليهود، رغم ما يرونه من غدرهم و مجانبتهم للحق - نجد - بعض ما يثير فينا عجباً لا حد له ..

فإن بعض الناس الذين كنا و ما زلنا نرى و نسمع لهم الكثير من المدح و الثناء، و التعظيم و التبجيل، قد عبروا عن عميق إحترامهم، و عن تعاطفهم مع أولئك الغدره الفجره، أعداء الله، و أعداء رسوله، فاقراً النص التالي، و اعجب ما بدا لك:

حسان بن ثابت يتعاطف مع اليهود:

حينما أجلي النبي (صلى الله عليه و آله) بنى النصير ..

(قال حسان بن ثابت، و هو يراهم و سراه الرجال على الرحال: أما و الله، إن لقد كان عندكم لنائل للمجتدى، و قرى حاضر للضيف، و سقيا للمدام، و حلم على من سفه عليكم، و نجده إذا استنجدتم.

فقال الضحاك بن خليفة: و اصباحاه، نفسى فداؤكم؛ ماذا تحملتم به من السؤدد و البهاء، و النجده و السخاء.

قال: يقول نعيم بن مسعود الأشجعي: فدى لهذه الوجوه التى كأنها المصابيح، ظاعنين من يثرب. من للمجتدى الملهوف؟ و من للطارق السغبان؟ و من يسقى العقار؟ و من يطعم الشحم فوق اللحم؟ ما لنا بيثرب بعدكم مقام.

يقول أبو عبس بن جبر، و هو يسمع كلامه: نعم، فالحقهم حتى تدخل معهم النار.

قال نعيم: ما هذا جزاؤهم منكم، لقد استنصرتموهم، فنصروكم على الخزرج، و لقد استنصرتهم سائر العرب؛ فأبوا ذلك عليكم.

قال أبو عبس: قطع الإسلام العهود.

قال: و مَرّوا و هم يضربون الدفوف و المزامير الخ .. (١)

و نلاحظ هنا:

أ: أن حسان بن ثابت يمدح بنى النضير بأنهم كانوا يسقون المدام!! و كذلك نعيم بن مسعود الأشجعي ..

و معنى ذلك هو أن إسلام هؤلاء لم يكن معمقا، و لا- راسخا فى نفوسهم. و أنهم لا- يزالون يهتمون بالمدام (أو العقار) و يتعشقونها، رغم نهى النبى عنها، و نزول القرآن بتحريمها ..

ب: إننا نلاحظ: أن حسان بن ثابت كان مقربا من الهيئة التى حكمت الناس بعد رسول الله (صلى الله عليه و آله)، كما أنه كان منحرفا عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام)، و لم يبايعه، بل يقال:

إنه سب عليا (عليه السلام) و هجاه (٢).

ج: إن الأمور التى تمدح بها هؤلاء الأشخاص اليهود، لا- تنطلق- فى أكثرها- من قيم إنسانية سامية، و إنما هى الحالات و الأوضاع التى يتطلبها واقع حياتهم، و خصوصيات معيشية فى مجتمع لا يملك نظره بعيدة، و لا تقييما سليما للكون و الوجود، و للحياه و للإنسان .. فلتراجع الفقرات بدقه ليتضح ذلك ..

د: إن هذا التعاطف الذى نراه لا- ينطلق من الإحساس الإنسانى، و لا من مثل أعلى، و إنما هو ينطلق من حاله هلع و أسف على فوات منافع دنيويه و مادية للمتأسفين بالدرجة الأولى ..

١- مغازى الواقدي ج ١ ص ٣٧٥.

٢- راجع: قاموس الرجال ج ٣ ص ١١٨ فما بعدها.

ه: إن تأسف حسان بن ثابت وغيره على بنى النضير، رغم أنهم قد رأوا بأعينهم ظلمهم وبعيهم، و غدرهم، و مجانبتهم للحق، لأمر يثير العجب حقاً. و لا ندري إن كان ذلك يكفى لعد هؤلاء فى جملة الذين عندهم الآيه القرآنيه التى تقول:

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا، يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ: لَئِن أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَ لَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا (١).

فهى لا تشمل الذين يقدون اليهود بأنفسهم، و يتأسفون عليهم لما نالهم، و يرون: أنهم لم يعاملوا بما يلىق بهم، بل كانوا مظلومين فيما أصابهم.

أم أن الآيه لا يجوز أن تتجاوز عبد الله بن أبى و أصحابه المجهولين، على اعتبار أن حسانا و سواه من حوارى الحكام بعد النبى الأ-كرم (صلى الله عليه و آله)، لا- يفسقون بما يفسق به الآخرون- كما جاء فى السيره الحلبيه (٢)- و لا تشملهم الآيات التى تشمل غيرهم ممن هم على شاكلتهم و طريقتهم، ما دام أن نفس رضا الحكام عنهم يعطيهم مناعه و صلابه تجعلهم فى مأمن من كل العوادى، و ترفعهم عن مستوى هذا البشر العادى ..

إن المراجع لتأريخ التزوير و التحوير لسوف يدرك الحقيقه، و يعرف الغشاء و يميزه عن ذلك الذى يمكث فى الأرض مما ينفع الناس.

روايه شاده لابن عمر:

و قد جاء فى روايه عن ابن عمر: ٤.

١- الحشر: ١١.

٢- السيره الحلبيه: ج ٢ ص ٢٠٤.

(.. إن يهود بنى النضير و قريظه، قتل رجالهم، و قسم نساؤهم، و أموالهم، و أولادهم بين المسلمين، إلا أن بعضهم لحق برسول الله صلى الله عليه و آله وسلم فأمنهم، و أسلموا، و أجلى رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم يهود المدينة من بنى قينقاع، و هم قوم عبد الله بن سلام الح ..) (١).

و واضح: أن ذلك لا يصح بالنسبه إلى بنى النضير؛ لأنه (صلى الله عليه و آله) لم يقتل رجالهم، و لا سبى نساءهم و أولادهم، ليقسمها فيما بين المسلمين. و إنما أجلاهم عن أرضهم، و قسم أرضهم بين المسلمين ..

و عليه .. فلا يصح ما ذكره إلا بالنسبه لبني قريظه؛ فانهم هم الذين جرى لهم ذلك ..

هذا .. و قد ذكرت هذه الروايه نفسها عن ابن عمر فى ذلك المصدر بالذات، و قد فصل فيها ما جرى لبني قريظه، و لبني النضير على نحو أصح. فذكر جلاء بنى النضير و قتل بنى قريظه، و سبى نساءهم و أولادهم، فليراجعها من أراد (٢).

روايه أخرى تحتاج إلى إصلاح:

قال الهيثمى:

(باب غزوه بنى النضير:

عن عبد الله بن أبى أوفى، قال: جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه و آله وسلم، و قد كل أصحابه، و هو يغسل رأسه، فقال:

يا محمد، قد وضعت أسلحتكم، و ما وضعت الملائكه بعد ٤.

١- مسند أبى عوانه: ج ٤ ص ١٦٣.

٢- مسند أبى عوانه ج ٤ ص ١٦٤.

أوزارها. فكف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شعره قبل أن يفرغ من غسله؛ فأتوا النضير؛ ففتح الله له.

رواه الطبراني، وفيه نعيم بن حيان، وهو ضعيف، وقد وثقه ابن حبان، وقال: يخطيء (١).

و سياق الحديث يدل دلالة بيّنه على أن المقصود هو بنو قريظه؛ فان هذه القصة إنما حدثت معهم، لا مع بنى النضير، و لعل هذا من أخطاء نعيم الذى ذكر ابن حبان: أنه يخطيء، و إن كان ثقه ..

بنو النضير بمنزله بنى المغيرة:

و قد جاء فى بعض النصوص: (و حملوا النساء و الصبيان، و تحملوا على ستمائه بعير، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

هؤلاء فى قومهم بمنزله بنى المغيرة فى قريش) (٢).

و كلمه النبى (صلى الله عليه و آله) هذه تشير إلى أنه (صلى الله عليه و آله) كان يعرف بدقه و بعمق خصائص الفئات و مزاياها، سواء فى ذلك اولئك الذين عاش معهم منذ نعومه اظفاره، و هم مشركوا مكه، و قبائلها، أو اولئك الذين فرضت عليه الظروف أن يكون له منهم موقف سلبي أو إيجابى.

و إذا رجعنا الى التاريخ، و نصوصه، فاننا نستطيع أن نعرف وجه الشبه بين بنى المغيرة فى قريش، و بنى النضير فى اليهود ..

فقد ذكرت بعض النصوص: أن بنى النضير كانوا من بنى ٥.

١- مجمع الزوائد: ج ٦ ص ١٢٥.

٢- الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٢٥٨ و زاد المعاد ج ٢ ص ٧٢ و مغازى الواقدي ج ١ ص ٣٧٥.

هارون (١)، وذلك مما يزيد في شرفهم و عزهم بالنسبه إلى سائر اليهود، كبنى حارثه، و غيرهم، أما بنو قريظه، فانهم، و إن كانوا من بنى هارون أيضا، إلا أن بنى النضير، كانوا اكثر منهم مالا، و أحسن حالا، و كانوا ألف رجل، و بنو قريظه سبعمائه، و كانوا إذا قتل نضيرى قريظيا، فإنه يدفع نصف الديه و يجبه، و يحمم (أى يسود وجهه، و يحمل على جمل، و يكون وجهه الى ناحيه ذنبه، و يطاف به) و إذا قتل قريظى نضيريا، فانه يدفع الديه كامله، و يقتل به.

و للنضير القوه و السلاح و الكراع (٢).

و من جهه ثانيه، فان من الطبيعى أن ينعكس ذلك على نفسيات بنيه.

١- التنبيه و الإشراف: ص ٢١٣ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٠ و فتح القدير ج ٥ ص ١٩٥ و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٢ و تفسير القمى ج ١ ص ١٦٨ و البحار ج ٢٠ ص ١٦٦-١٦٨ و راجع المصادر الآتيه فى الهامش التالى: و ذكر فى السيره النبويه ج ٣ ص ٢١٢ ذلك فى شعر لعباس بن مرداس. و أحكام القرآن لابن العربى ج ٤ ص ١٧٦٤ و عمدته القارىء ج ١٧ ص ١٢٥.

٢- تفسير البرهان: ج ١ ص ٤٧٢، و راجع ص ٤٧٣ و ٤٧٨ و تفسير القمى ج ١ ص ١٦٨ و ١٦٩ و البحار ج ٢٠ ص ١٦٦ و ١٦٨ و تفسير نور الثقلين ج ١ ص ٥٢٣ و ٥٢٤. و راجع: جامع البيان ج ٦ ص ١٥٤ و ١٥٧ و ١٦٤ و ١٦٥ و ١٦٧ و غرائب القرآن للنيسابورى بهامش جامع البيان ج ٦ ص ١٤٥ و تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٦٠ و الجامع لأحكام القرآن ج ٦ ص ١٧٦ و ١٨٧ و ١٩١ و التبيان: ج ٣ ص ٥٢١ و راجع ص ٥٢٤ و ٥٢٥ و التفسير الحديث ج ١١ ص ١٠٧ و مجمع البيان ج ٣ ص ١٩٤ و فتح القدير ج ٢ ص ٤٣ و ٤٤ و التفسير الكبير ج ١١ ص ٣٢٥ ص ١٢ ص ٦ و عون المعبود ج ١٢ ص ١٣٦ و لباب التأويل ج ١ ص ٤٦٨ و فى ظلال القرآن ج ٢ ص ٨٩٤ و الدر المنثور ج ٢ ص ٢٨١ و ٢٨٣ و ٢٨٤ و ٢٨٥ و ٢٨٧ و ٢٨٨ عن أحمد، و أبى داود، و ابن جرير، و ابن المنذر، و الطبرانى، و أبى الشيخ، و ابن مردويه، و عبد بن حميد، و ابن إسحاق، و ابن أبى شيبه و ابن أبى حاتم و الحاكم، و صححه، و البيهقى فى سننه.

النضير، و أن يشعروا بالزهو و الخيلاء، حتى إننا لا نجد مبررا لتكذيب النص الذى يقول: (إنهم استقبلوا بالنساء و الابناء و الاموال، معهم الدفوف، و المزامير، و القيان يعزفن خلفهم بزهاء و فخر، ما رؤى مثله من حى من الناس فى زمانهم) (١) و عند الديار بكرى: (فعبروا من سوق المدينه) (٢).

و قال ابن الوردى: (فخرجوا و معهم الدفوف و المزامير تجلدا) (٣).

و قال الواقدى: (.. ثم شقوا سوق المدينه، و النساء فى الهوادج، عليهن الحرير و الديباج، و قطف الخز، الخضر، و الحمر، قد صف لهم الناس.

فجعلوا يمرون قطارا فى إثر قطار، فحملوا على ستمائه بعير.

إلى أن قال: و مزوا يضربون بالدفوف، و يمزرون بالمزامير، و على النساء المعصفرات و حلى الذهب. قال: يقول جبار بن صخر:

ما رأيت زهاءهم لقوم زالوا من دار الى دار.

و نادى أبو رافع، سلام بن أبى الحقيق - و رفع مسك الجمل - (فى الحليه: ان هذا المسك كان مملوءا من الحلى) و قال: هذا مما نعدّه لخفض الأرض و رفعها، فان يكن النخل قد تركناه، فانا نقدم على نخل بخير) (٤). ٧.

١- السيره النبويه لإبن هشام ج ٣ ص ٢٠١ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٧٦ و السيره النبويه لإبن كثير ج ٣ ص ١٤٨ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٢ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٢ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٥٥٤ و منهاج السنه ج ٤ ص ١٧٣.

٢- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٢.

٣- تاريخ ابن الوردى ج ١ ص ١٥٩.

٤- المغازى للواقدى ج ١ ص ٣٧٤ و ٣٧٥ و السيره الحليه ج ٢ ص ٢٦٧.

و حسب نص المسعودى: (.. فخرجوا يريدون خيبر، و هم يضربون بالدفوف، و يزمرون بالمزامير، و على النساء المصبغات، و المعصفرات، و حلى الذهب، مظهرين بذلك تجلدا) (١).

و لقد كان هذا أمرا متوقعا من فئه لم تزل موضع احترام و تبجيل من اليهود، و لا تريد أن تعترف بالهزيمه، و بكسر شوكتها، و ذهاب عزها، و افول نجمها ..

و قد بلغ هذا العز و المنعه: أن المسلمين ما ظنوا أن يخرجوا من ديارهم، كما صرحت به الآيه الكريمة ..

و عدا عن ذلك، فقد كان بنو النضير أهل جبروت و قسوه و بغى، و عنجهيه، و اعتداد بالنفس، حتى إنهم ليظلمون إخوانهم من بنى قريظه، و هم أيضا من بنى هارون، ظلما فاحشا و مخالفا لأحكام التوراه الصريحه، و حتى لاحكام أهل الجاهليه أيضا.

ثم لا يوجد بينهم من يأنف من هذا الظلم و يمنع منه، أو يندد به، و يرفضه، لا من رؤسائهم، و لا ممن هم دونهم، من عقلائهم و أهل الدين منهم.

هذا باختصار حال بنى النضير فى قومهم.

أما حال بنى المغيره فى قريش، فإنها أيضا تشبه حاله هؤلاء إلى حد كبير.

فقد كان بنو المغيره، و هم من بنى مخزوم، و كان العدد و الشرف و البيت فيهم (٢)، و كانت قريش - فيما زعموا - تؤرخ بموت هشام بن ٩.

١- التنييه و الإشراف ص ٢١٣.

٢- نسب قريش لمصعب ص ٢٩٩.

المغیره (١)، الذى اثنى عليه الكثيرون. و كذا الحارث بن هشام فانه منهم، و هو موضع الشاء و التعظيم أيضا (٢).

و منهم كذلك الوليد بن المغيره، الذى هو أحد العظيمين الذين أشار اليهما الله تعالى فى الآيه الكريمة: وَقَالُوا: لَوْ لَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ (٣).

و قد رثى أبو طالب (رحمه الله) أبا أميه بن المغيره فقال:

و قد أيقن الركب الذى أنت فيهم إذا رحلوا يوما بأنك عاقر فسسمى زاد الراكب، و اسمه حذيفه، و كانت عنده عاتكه بنت عبد المطلب (٤).

و قد ذكر المعتزلى طائفه كبيره من رجالهم و أمجادهم فى الجاهليه، و شطرا ممن تقلد منهم مناصب جليله فى حكم الأمويين، و غيرهم، فليراجعه من أراد (٥).

و إن المتتبع لسيره رجال بنى المغيره من أمثال خالد بن الوليد، و أبى جهل، و الوليد بن المغيره و غيرهم ليجد فيهم الكثير من الزهو و الخيلاء، حتى إن خالد بن الوليد حين قتل مالك بن نويرة و زنى بامرأته فى ليله قتله، قد عاد إلى أبى بكر، و قد غرز فى عمامته أسهما، فانتزعها عمر، فحطمها، ثم قال له: أرناء قتلت امرء مسلما، ثم نزوت على امرأته؟!٩.

١- نسب قريش ص ٣٠١ و راجع: شرح النهج للمعتزلى الشافعى ج ١٨ ص ٣٠٠ و ٢٨٦.

٢- راجع: شرح النهج للمعتزلى الشافعى ج ١٨ ص ٢٨٧ و ٢٩٠ و ٢٩٣ و ٢٩٤.

٣- شرح النهج للمعتزلى الشافعى ج ١٨ ص ٢٩١.

٤- نسب قريش ص ٣٠٠ و راجع: شرح النهج ج ١٨ ص ٢٩١.

٥- راجع: شرح النهج للمعتزلى الشافعى ج ١٨ ص ٢٨٥ و ٣٠٩.

و الله، لأرجمنك بأحجارك، و القصة معروفه (١).

كما أن شدتهم و قسوتهم و جبروتهم تعتبر من الأمور الظاهره، و قد عبر أمير المؤمنين (عليه السلام) عنهم بالفراعنه، حين قال:

(.. و قد علمت من قتلت به من صناديد بنى عبد شمس، و فراعنه بنى سهم، و جمح، و مخزوم) (٢).

فإن فراعنه بنى مخزوم كانوا من بنى المغيره، لأنهم هم الذين كان العدد و الشرف و البيت فيهم، كما المحنا إليه فيما سبق. و إذن فلا يجرؤ أحد على مناواتهم و الرد عليهم، إلا إن كان من بنى عبد مناف، الذين لا يدانيهم احد فى الشرف و السؤود.

هذا كله .. بالإضافة إلى وضعهم المادى المتميز، كما يظهر من ملاحظه حياه الكثيرين منهم.

و هم بالإضافة إلى ذلك كله. أهل سياسه و كياسه، يأنس الإنسان إلى حديثهم، و يستلذ الجلوس إليهم، حيث قد روى أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال:

(أما بنو مخزوم، فريحانه قريش، تحب حديث رجالهم، و النكاح فى نسائهم) (٣).

و بعد ذلك كله: فقد أصبح واضحا إلى حد ما سرّ جعل بنى النضير بمنزله بنى المغيره فى قريش ..٩.

١- تاريخ الأمم و الملوك ج ٣ ص ٢٨٠، و قاموس الرجال ج ٣ ص ٤٩١ عنه.

٢- شرح النهج للمعتزلى ج ١٥ ص ٨٤.

٣- نهج البلاغه بشرح عبده ج ٣ ص ١٧٨ الحكمة رقم ١٢٠ و راجع مصادر نهج البلاغه و أسانيده ج ٤ ص ١٠٩.

ملاحظه:

و أخيرا .. فإن الرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله و سلم) هو الأسوه و القدوه فى كل شىء، و إن معرفته الدقيقه بواقع المجتمع الذى يعيش فيه، و يتعامل معه .. لتعطينا: أن هذه المعرفه لازمه و ضروريه لكل إنسان يصل إلى موقع القياده، و يفترض فيه أن يتعامل مع الناس، و يسجل موقفا تجاههم؛ فإن العارف بزمانه لا يهجم عليه اللوابس (١).

نزول آيه سوره المائده فى بنى النضير:

و يقول البعض: إن قوله تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ (٢). قد نزلت فى قضيه بنى النضير، و محاولتهم الغدر بالنبي (صلى الله عليه و آله) (٣).

و نقول: إننا نشك فى ذلك، لما يلى:

أولا: إن نفس هذا القائل قد عاد فذكر بعد بضعه أسطر: أن هذه الآيه قد نزلت فى قضيه غورث بن الحارث (٤).د.

١- تحف العقول ص ٣٥٦ و البحار ج ٧٥ ص ٢٦٩.

٢- المائده: ١١.

٣- البدء و التاريخ ج ٤ ص ٢١٢ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ٢٢١ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦١ و فتح البارى ج ٧ ص ٢٥٥ و السيره الحلبيه ج ١ ص ٢٦٤.

٤- البدء و التاريخ ج ٤ ص ٢١٣ و دلائل النبوه لأبى نعيم ص ٤٢٢ و ٤٢٤ و راجع السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦١ و الدر المنثور ج ٢ ص ٢٦٦ عن ابن إسحاق، و أبى نعيم فى الدلائل، و ابن المنذر، و ابن جرير و عبد بن حميد.

و ذكرت حوادث أخرى فى شأن نزول الآيه، فلتراجع فى مظانها (١).

و دعوى البعض: جواز تكرار النزول (٢)، تحتاج إلى إثبات.

و ثانيا: إن سوره المائده كانت من آخر ما نزل على النبى (صلى الله عليه و آله و سلم)، فلا يعقل أن يحتفظ بهذه الآيه عدّه سنوات، معلقه فى الهواء، حتى تنزل سوره المائده، فيجعلها فيها (٣).

و ثالثا: إنهم يقولون: إن سوره المائده قد نزلت دفعه واحده (٤).

التربيه القرآنيه:

إن من الأمور الظاهره لكل أحد: أن القرآن الكريم، و فى نطاق اهتمامه الكبير بتربيه الإنسان، و صقل فكره، و عقله، و مشاعره، و كل مناحى و جهات شخصيته، ليحمله إنسانا واعيا، و قويا و غنيا فى كل مواهبه، و طاقاته، قد اختار فى أسلوبه التربوى المنحى و الاسلوب الواقعى ليتصل به، و يدخل إلى حياته، و ينفذ إلى شخصيته، و الى عمق وجوده، عن هذا الطريق، فإن هذا الأسلوب هو الذى يتصل بالعقل، فيعطيه وضوحا و وعيا و أصاله، و يتفاعل مع الشعور ليمده بالحيويه و الفاعليه، ن.

١- راجع: الدر المنثور ج ٢ ص ٢٦٥ و ٢٦٧ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٤.

٢- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٤.

٣- راجع: الدر المنثور ج ٢ ص ٢٥٢ عن أحمد، و أبى عبيد فى فضائله و النحاس فى ناسخه، و النسائى، و ابن المنذر، و الحاكم و صححه، و ابن مردويه و البيهقى فى سننه، و الترمذى و حسنه، و سعيد بن منصور، و ابن جرير.

٤- الدر المنثور ج ٢ ص ٢٥٢، فإنهم قد صرحوا بتاريخ نزول سوره المائده، و صرح بأنها قد نزلت دفعه واحده كل من: أحمد، و عبد بن حميد، و الطبرانى، و ابن جرير، و محمد بن نصر فى الصلاه، و أبى نعيم فى الدلائل، و البيهقى فى شعب الإيمان.

و ينقله إلى رحاب الضمير، ليتربى و يتكامل فى ظل الوجدان، و تحت حمايته، ليصبح حاله متوازنه، مرضيه و مقبوله ..

و هذا بالذات هو ما يفسر لنا اهتمام الإسلام بالتركيز على الحدث، ثم ربطه بالحقائق الكليه، بما لها من عموم و شمول، ليصبح ذلك الحدث هو الوسيله الواقعيه لربط هذا الانسان بتلك الحقائق، و تفاعله معها.

و هكذا .. يتضح: أن القرآن حين يتحدث عن الوقائع و الاحداث، فانه يفهمنا: أنه لا يريد أن يلقى على الإنسان حقائق مجردة، و منفصله عن الواقع، و لا- تلامسه و لا- تلتقى معه، و ذلك حينما تبقى مجرد صوره ذهنيه، و تخيلات مثاليه بارده، لا تؤثر فى المشاعر، و لا تتصل بالعقل، و لا تتفاعل مع الوجدان.

و إنما هو يريد لها حركه فى الفكر، و ثوره فى الشعور، و حاله متوازنه فى الوجدان. و تجسيدها واقعيًا لكل ذلك على صعيد السلوك و الموقف.

الله هو الذى أخرجهم:

قال تعالى فى سورة الحشر: هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُوتُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ (١).

فنجده تعالى ينسب ما جرى لبنى النضير إلى نفسه، و يؤكد على ذلك بصور مختلفه .. حتى كأن ما فعله المسلمون ليس بشىء يعتد به فى موضوع الحاق الهزيمة بهذا العدو .. ٢.

بل إن المسلمين أنفسهم ما كانوا يظنون خروجهم، و لا- يتصورونه، كما أن اليهود أنفسهم كانوا مطمئنين إلى أن حصونهم ستمنعهم.

و لكن الله فتح حصونهم من الداخل، فقاذف الرعب في قلوبهم، فلم تنفعهم الحصون الماديه شيئاً ..

و من الواضح: أن الهزيمة من الداخل، هي الأساس للهزيمة الماديه، فاذا سقطت القلوب، و تهاوت، و قذف فيها الرعب، فلسوف لن تنتفع بأى شىء آخر بعد ذلك، مهما كان قويا و كبيرا.

و نفهم من الآيه بالإضافه إلى ما تقدم، ما يلي:

١- إن الحرب النفسيه لها دور كبير، بل لها الدور الأكبر فى تحقيق النصر الكبير عسكريا، فليلاحظ قوله: و قذف فى قلوبهم الرعب.

٢- إن العمل العسكري الناجح، لابد أن يعتمد مبدأ المباغتة، من النواحي التي لا يحسب العدو لها حسابا ..

٣- إن الإعتماد على الله فى تحقيق النصر، إنما يعنى إمكانية مواجهه العدو حتى فى حاله تفوقه العسكري، و معنى ذلك .. أننا يجب أن لا ننتظر حتى يتحقق التوازن عسكريا، و تسليحيا فيما بين قوى الإيمان و قوى الكفر، بل يمكن المبادره لمواجهته، حتى فى صورته عدم التكافؤ فى الإمكانيات الماديه.

٤- إن العامل المادى ليس هو القوه الوحيد، فإن العامل الروحى و المعنوى له قسط منها، فلا بد من أخذه بنظر الاعتبار.

العز، و الذل .. بماذا؟

و يذكر النص التاريخى: أن سلام بن مشكم قد نصح حبي بن أخطب بقبول الجلاء من أول الأمر، حيث تبقى لهم أموالهم و نخلهم، فكان مما قاله له:

(إنا إنما شرفنا على قومنا بأموالنا وفعالنا، فإذا ذهبت أموالنا من أيدينا كنا كغيرنا من اليهود في الذله والإعدام) (١).

و نقول:

إن هؤلاء يرون: أن أموالهم هي مصدر عزتهم و عنوان شرفهم ..

و لكن الإسلام يقول: إن مصدر العزه و الشرف و الكرامه هو الله سبحانه، فعن الصادق (عليه السلام) (من أراد عزا بلا عشيره، و غنى بلا مال، و هيبه بلا سلطان، فلينتقل عن ذل معصيه الله الى عز طاعته) (٢).

و (من أراد ان يكون أعز الناس، فليثق الله عز و جل) (٣)، فإنه (لا عز أعز من التقوى) (٤).

و (من برىء من الشر نال العز) (٣).

إلى غير ذلك من النصوص التي تجعل من العز و سيله لتكامل الانسان فى مدارج إنسانيته، و تهذيب نفسه، و تنزيهها عن كل النقائص، و إبعادها عن كل ما يشين أو يزرى بها.

ثم هي تربط العز بالمنشأ لكل الكمالات، و المصدر لكل فيوضات الخير، و نزول البركات. ألا- و هو الله سبحانه و تعالى، تقدست أسماؤه، و تباركت ذاته، و تعالت صفاته ..

مبالغات لا مبرر لها:

(.. و فى الحديث: يخرج فى الكاهنين رجل يدرس القرآن درسا، لم يدرسه أحد قبله، و لا يدرسه أحد بعده. فكانوا يرونه محمد بن كعب ٤.

١- مغازى الواقدى ج ١ ص ٣٦٩.

٢- و (٣) و (٤) ميزان الحكمه ج ٦ ص ٢٩٠ و ٢٩١.

٣- ميزان الحكمه ج ٦ ص ٢٩٤.

القرظى الخ .. (١).

و نحن بدورنا لا نستطيع قبول هذه الروايه. و لا نرى صحه انطباقها على الشخص المذكور.

فأولاً: قد اشتهر كثير من الصحابه بدراسه القرآن، و ذكرت فى الروايات أقوال منسوبه إلى النبى الأعظم (صلى الله عليه و آله) فى حقهم، و أقوال أخرى منسوبه لغيره أيضا تشير إلى تفوقهم على محمد بن كعب فى دراسه القرآن؛ فراجع ما يروونه فى حق أبى بن كعب مثلا (٢)، و كذا ما يروونه فى حق ابن مسعود (٣)، أو على أمير المؤمنين (عليه الصلاه).

-
- ١- الروض الأنف ج ٣ ص ٢٥١. لكن بعض المصادر الأخرى قد ذكرت هذا الحديث، و لم تذكر فيه عبارته: (لم يدرسه أحد قبله) فراجع: سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ٦٨ و تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٤٢١ و الطبقات الكبرى ج ٧ ص ٥٠١.
- ٢- الإستيعاب بهامش الإصابه ج ١ ص ٤٩ و راجع ص ٥٠ و تهذيب الأسماء ج ١ ص ١٠٩ و أسد الغابه ج ١ ص ٤٩ و تهذيب التهذيب ج ١ ص ١٨٨ و راجع: الإيضاح لابن شاذان ص ٣٢٣ و ٣٣٠ و ٢٣١ و فى هامشه عن طائفه من المصادر، و الجامع الصحيح ج ٥ ص ٦٦٥ و ٦٦٤ و الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٨٢ و مشكل الآثار ج ١ ص ٣٥٠ و ٣٥١ و صحيح البخارى ج ٣ ص ١٤٧ و مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٣٠٥ و ج ٢ ص ٢٢٤ و تلخيص مستدرک الحاكم للذهبي بهامشه، و الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٣٣٩ و مسند أحمد ج ٥ ص ١٣١ و حليه الأولياء ج ١ ص ٢٥١، و ج ٤ ص ١٨٧ و مجمع الزوائد ج ٩ ص ٣١٢ و الدر المنثور ج ٦ ص ٣٧٨ و البدايه و النهايه ج ٧ ص ٣٤٠.
- ٣- راجع: كشف الأستار ج ٣ ص ٢٥٠ و ٢٤٩ و مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٣١٨ و تلخيص المستدرک للذهبي بهامشه، و الإيضاح ص ٢٢٣ و ٢٣٢ و مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٨٧ و ٢٨٨ عن أحمد، و أبى يعلى، و البزار، و الطبرانى، و صفه الصفوه ج ١ ص ٣٩٩ و النهايه فى اللغه ج ٣ ص ٣٧١ و مسند أحمد ج ١ ص ٤٤٥ و الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٨٢ و تذكره الحفاظ ج ١ ص ١٤ و تفسير القرآن العظيم ج ٤ (الذيل) ص ٢٨ و الإصابه ج ٢ ص ٣٦٩ و الإستيعاب بهامشه ج ٢ ص ٣٢٠.

و السلام) (١) هذا عدا عما يروونه و يقولونه فى حق غير هؤلاء أيضا .. و من مثل على أمير المؤمنين (عليه الصلاة و السلام) و هو الذى يقول:

(لو أردت أن أوقر على الفاتحة سبعين بعيرا لفعلت) (٢)؟!.

و ثانيا: إننا لم نفهم المقصود من دارسى القرآن ممن سبقوا محمد بن كعب!! فهل كان القرآن موجودا قبل الرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله)، و قد درسه الناس، و عرفوه؟!.

فان محمد بن كعب القرظى، قد أسلم على يدى النبى (صلى الله عليه و آله) و عاش معه!!

و ثالثا: إن ما ذكره عن محمد بن كعب يلغى دور عبد الله بن سلام الذى كان من نفس هؤلاء اليهود، و الذى يروون فى حقه- و إن كان ذلك كذبا أيضا- أنه هو الذى عنده أم الكتاب (٣). مع أن الصحيح: هو أنه على بن أبى طالب (عليه السلام) (٤). و قد تقدم تحقيق ذلك (٥). ٦.

١- راجع: تذكره الحفاظ ج ١ ص ١٦ و مناقب آل أبى طالب ج ٢ ص ٤٢ و الغدير ج ٦ ص ٣٠٨ عن: طبقات القراء ج ١ ص ٥٤٦ و عن مفتاح السعادة ج ١ ص ٣٥١.

٢- التراتيب الإدارية ج ٢ ص ١٨٣، و تفسير البرهان (المقدمه) ص ١٦ و عن بشاره المصطفى.

٣- الإصابه ج ٢ ص ٣٢١ و الإستيعاب بهامشه ج ٢ ص ٣٨٣ و الدر المنثور ج ٤ ص ٦٩ عن: ابن مردويه، و ابن جرير، و ابن أبى شيبه، و ابن سعد، و ابن المنذر.

٤- راجع: شواهد التنزيل ج ١ ص ٣١٠ و راجع ص ٣٠٨ و ٣٠٧ و راجع: مناقب الإمام على (عليه السلام) لابن المغازلى و دلائل الصدق ج ٢ ص ١٣٥ و نقل عن: العمده لابن البطريق ص ٦١ و عن غايه المرام ص ٣٥٧ و ٣٦٠ و ١٠٤ عن تفسير الثعلبى، و الحبرى (مخطوط) و عن الخصائص ص ٢٦.

٥- راجع: هذا الكتاب ج ٣ ص ١١ و ١٦.

و لعل سر تعظيم محمد بن كعب يرجع إلى أنه لا بد أن يصبح الخبراء في القرآن، و الدارسون له، و الواقفون على أسرارهِ و حقائقهِ هم أهل الكتاب، و خصوصاً اليهود، الذين لا بد و أن تبقى لهم هيمنتهم العلميه على الناس، و يستمرون في نفث سمومهم، و نشر أضاليلهم، و تتاح لهم الفرص كلها لتحريف هذا الدين، و التلاعب بمفاهيمه و أحكامه، و ليستهدف ذلك التلاعب و التحريف نفس القرآن، الذي هو المنشأ و الأساس لكل حقائق الإسلام، و تشريعاته ..

صلاه الخوف في بنى النضير:

و قد ذكر البعض: أن صلاه الخوف قد شرعت في بنى النضير، و قيل: في ذات الرقاع (١).

و حيث إننا سوف نتحدث إن شاء الله عن هذا الأمر في غزوه ذات الرقاع، حيث يذكر أن هذه الصلاه قد شرعت حينها، أو في غزوه الحديبيه، كما سنرى، فإننا نرجى ء الحديث عنها إلى هناك.

تحريم الخمر في غزوه بنى النضير:

قال اليعقوبى و غيره: (.. و في هذه الغزوه شرب المسلمون الخمر، فسكروا؛ فنزل تحريم الخمر) (٢) و قال ابن الوردي: (نزل تحريم ٣).

-
- ١- الجامع للقيروانى ص ٢٧٩ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٤ عن شرح صحيح مسلم للنووى، و عن أسد الغابه.
 - ٢- تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٤٩ و راجع: تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ١٩٨ و راجع: السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢٠٠ و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٧ و زاد المعاد ج ٢ ص ١١٠ و منهاج السنه ج ٤ ص ١٧٣.

الخمير و هو محاصرهم (قلت): قال في الروضة: إن غزوه بنى النضير سنة ثلاث: و إن تحريم الخمر بعد غزوه أحد و الله أعلم) (١).

عن جابر بن عبد الله (رض) قال: حاصر النبي (صلى الله عليه و آله) بنى النضير، فضرب قبته قريبا من مسجد الفضيخ، و كان يصلى فى موضع الفضيخ ست ليال، فلما حرمت الخمر خرج الخبر إلى أبى أيوب، و نفر من الأنصار، و هم يشربون فيه فضيخا، فحلوا و قاء السقاء، فهاقوه فيه، فبذلك سُمى مسجد الفضيخ (٢).

و روى القمى: أنه لما نزل تحريم الخمر خرج رسول الله (صلى الله عليه و آله) إلى المسجد فقعد فيه، ثم دعا بآئيتهم التى كانوا ينتبذون فيها، فأكفأها كلها، و قال: هذه كلها خمير، و قد حرّمها الله، و كان أكثر شىء أكفىء يومئذ من الأشربة الفضيخ، فلذلك سُمى المسجد ب (مسجد الفضيخ) (٣).

و أكثر من ذلك كله جراه على الله و رسوله (صلى الله عليه و آله) ما رووه عن ابن عمر: أن النبي (صلى الله عليه و آله) أتى بجزءه فضيخ بسر، و هو فى مسجد الفضيخ فشربه، فلذلك سُمى مسجد الفضيخ (٤).

و الفضيخ: عصير العنب، و شراب يتخذ من بسر مفضوخ، و مسجد الفضيخ هو المعروف بمسجد الشمس. ١.

-
- ١- تاريخ ابن الوردى ج ١ ص ١٥٩ و راجع؛ أيضا التنبيه و الإشراف ص ٢١٣.
 - ٢- تاريخ المدينة لإبن شبة ج ١ ص ٦٩ و وفاء الوفاء ج ٣ ص ٨٢١ عنه و عن ابن زباله و مرآة الحرمين ج ١ ص ٤١٨.
 - ٣- البحار ط مؤسسه الوفاء ج ٦٣ ص ٣٨٧ و ٣٨٨ و ج ٧٦ ص ١٣٢ و ١٣١.
 - ٤- مسند أبى يعلى ج ١٠ ص ١٠١ و مسند أحمد ج ٢ ص ١٠٦ و مجمع الزوائد ج ٤ ص ١٢ و ج ٢ ص ٢١.

هذا كله عدا عن روايتهم: أن هناك من كان يهدى لرسول الله خمرًا عده سنوات إلى أن حرمت الخمر (١).

و نقول:

أولاً: إن تحريم الخمر - كما تقدم في كتابنا هذا - قد كان في مكة .. فإن كان لهذه الرواية حظ من الصحة فلا بد أن يكون الأصحاب قد خالفوا حكم الله فيها، و ارتكبوا الحرام، فنهاهم رسول الله (صلى الله عليه و آله) عن ذلك، و ما ذكر آنفاً عن أبي أيوب و نفر من الأنصار دليل على صحة ذلك ..

و ثانياً: إن منازل بنى النضير لم تكن في جهه قباء، و لا مسجد الفضيخ، و ذلك لأنهم يقولون: إن مسجد الفضيخ يقع في شرقى مسجد قباء، على شفير الوادى، على نشز من الأرض (٢).

و قد تقدم: أن منازلهم كانت بعيدة جدا عن هذا الموضع، فراجع ما ذكرناه في هذا الجزء حين الكلام حول شعر حسان بن ثابت في الرواية التى تبين أن فتح بنى النضير كان على يد على حين قتل عشره منهم و جاء برؤوسهم إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) و (آله).

و ثالثاً: قد روى أحمد فى مسنده، عن ابن عمر: أن النبى (صلى الله عليه و آله) أتى بفضيخ فى مسجد الفضيخ فشربه، فلذلك سمى مسجد الفضيخ (٣).

١- راجع: تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٩٣ عن أبى يعلى، و عن أحمد فى عده مواضع.

٢- وفاة الوفاء ج ٣ ص ٨٢١ و مرآة الحرمين ج ١ ص ٤١٨.

٣- مسند أحمد ج ٢ ص ١٠٦ و وفاة الوفاء ج ٣ ص ٨٢٢ عنه، و عن أبى يعلى.

و نحن .. و إن كنا نكذب بصوره قاطعه شربه (صلى الله عليه و آله) للفضيخ، كيف، و قد كانت الخمر و كل مسكر قد حرم فى مكه. كما أن الخمر مما قد تسالمت الشرائع على تحريمه (١) و قد رفض شربها عدد من الناس فى الجاهليه كما ذكرناه فى الجزء الخامس من هذا الكتاب ..- و إن كنا نكذب ذلك- إلا أننا نقول: لا مانع من أن يؤتى إليه (صلى الله عليه و آله) بذلك، فيرفضه و ينهى عنه، و قد يسمى المكان بما يشير إلى ذلك، لأجل استغراب الناس عمل ذلك الرجل الذى أتى إلى النبى (صلى الله عليه و آله) بشىء قد حرمه منذ بعث، و لا يزال يؤكد تحريمه، و يمنع عنه ..٢.

١- راجع الكافى ج ٦ ص ٣٩٥، و الوسائل ج ١٧ ص ٢٣٧ باب تحريم شرب الخمر، و التهذيب ج ٩ ص ١٠٢ و راجع: التنقيح الرائع ج ١ ص ١٥ و راجع أيضا: مفتاح الكرامه ج ٤ ص ٢.

الفصل الخامس: كى لا يكون دوله بين الأغنياء

اشاره

الخيانه و الفداء:

قد علمنا فيما سبق: أنه قد كان فيما بين بنى النضير، و بين المسلمين عهد و عقد .. و قد نقض بنو النضير عهدهم هذا، و خانوا و غدروا، فكان من الطبيعي أن يهتّب المسلمون للدفاع عن أنفسهم، و أن يقاتلوا عدوهم، و أن يلقي هذا العدو جزاء غدره و خيانتته ..

و حين رأى بنو النضير: أن الأمور تسير فى غير صالحهم، و أنهم قد أخطأوا فى حساباتهم خطأ فاحشا، و أن لا أحد يستطيع أن يمنع المسلمين من إنزال العقاب العادل بهم، فإنهم قد رضوا بأن يقدموا أموالهم و أرضهم لرسول الله (صلى الله عليه و آله) فى مقابل الإبقاء عليهم، و عدم قتلهم جزاء غدرهم و خيانتهم و صالحوا النبى الأعظم (صلى الله عليه و آله) على ذلك؛ فكانت جميع أموالهم و أراضيهم خالصة له (صلى الله عليه و آله) يتصرف فيها كما يشاء.

أموال بنى النضير فى النصوص و الآثار:

قال السهيلي: (و لم يختلفوا: أن سوره الحشر نزلت فى بنى النضير، و لا اختلفوا فى أموالهم؛ لأن المسلمين لم يوجفوا عليها بخيل و لا ركاب، و إنما قذف الرعب فى قلوبهم، و جلوا عن منازلهم إلى خيبر، و لم يكن ذلك عن قتال من المسلمين لهم؛ فقسّمها النبى صلى الله عليه و آله وسلم بين

المهاجرين، ليرفع بذلك مؤونتهم عن الأنصار؛ إذ كانوا قد ساهموا في الأموال و الديار. غير أنه أعطى أبا دجانة، و سهل بن حنيف لحاجتهما.

و قال غير ابن إسحاق: (و أعطى ثلاثة من الأنصار، و ذكر الحارث بن الصمه فيهم) (١).

و عن عمر بن الخطاب: قال: كانت أموال بنى النضير مما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه و آله و سلم لم يوجف المسلمون عليه بخيل و لا ركاب، فكانت لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم خالصه. و كان ينفق على أهله منها نفقه سنه، و قال مره:

قوت سنه، و ما بقى جعله في الكراع و السلاح عده في سبيل الله عز و جل (٢).

و نقول: لو صح ذلك من فعل النبي (صلى الله عليه و آله)، فإنه يكون تبرعا منه (صلى الله عليه و آله) بما هو له، كسائر الأموال التبر.

-
- ١- الروض الأنف ج ٣ ص ٢٥١. و حكاية الإجماع حول أموالهم في فتح الباري ج ٧ ص ٢٥٤.
 - ٢- مسند أحمد ج ١ ص ٢٥ و فتح القدير ج ٥ ص ١٩٩ عن الصحيحين و غيرهما، و مسند أبي عوانه ج ٤ ص ١٣٢ - ١٤٠ و صحيح البخارى ج ٣ ص ١٢٨ و صحيح مسلم ج ٥ ص ١٥١ و تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٣٥، و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ١١ و أحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ٤٢٩ و فتوح البلدان قسم ١ ص ٢٠ و ٣٤ و الجامع الصحيح ج ٤ ص ٢١٦ و سنن النسائي ج ٧ ص ١٣٢ و التراتيب الإداريه ج ١ ص ٣٩٣ و سنن أبي داود ج ٣ ص ١٤١ و الخراج للقرشى ص ٣٤ و المغنى لابن قدامة ج ٧ ص ٣٠٨ و ٣٠٩ و التبيان ج ٩ ص ٥٦١ و راجع ص ٥٦٢ و راجع: أحكام القرآن لابن العربي ج ٤ ص ١٧٧٢ و الدر المنثور ج ٦ ص ١٩٢ عن بعض من تقدم و عن ابن المنذر و الأموال ص ١٤ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ١٢٣ و تاريخ المدينة ج ١ ص ٢٠٨ و سيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٢ و ٢٦٣ و الإكتفاء ج ٢ ص ١٤٨ و معجم البلدان ج ٥ ص ٢٩٠ و مدارك التنزيل مطبوع بهامش لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٧ لكن ليس في المصادر الثلاثة الأخيره: أن القائل هو عمر.

يملكها الإنسان و يرغب في إنفاقها في مورد خاص.

و قد جاء عن عمر بن الخطاب أيضا قوله: مال بني النضير، كان فينا لرسول الله (صلى الله عليه و آله) خاصة (١) و كان عمر أيضا يقول: (كانت لرسول الله (صلى الله عليه و آله) ثلاث صفايا، فكانت بنو النضير حبسا لنوائبه ..)، ثم ذكر بقيه الصفايا (٢) و عباره بعض المصادر: أنها كانت حبسا لنوائبه (٣)، و في نص آخر: حبسا لمواليه (٤). و لعله تصحيف.

و قال الزهري: (.. و كانت بنو النضير للنبي صلى الله عليه و آله وسلم خالصا، لم يفتحوها عنوه، افتتحوها على صلح الخ (..). (٥).

و كان أول أرض افتتحها رسول الله (صلى الله عليه و آله) أرض بني.

١- التبيان ج ٩ ص ٥٦١ و أنساب الأشراف قسم حياه النبي (صلى الله عليه و آله) ص ٥١٩ و ٥١٨ و راجع المصادر التاليه: (و لكنها لم تصرح باسم عمر) تاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ١٢٠ و الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٧٤ و السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢٠١ و راجع ص ٢٠٣ و المصنف للصنعاني ج ٥ ص ٣٦٠ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٥٥٥ و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ١٣ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٨ و تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٣٢ و نسب هذا القول إلى الزهري و محمد بن إسحاق في كتاب الخراج للقرشي ص ٣٢.

٢- المغازي ج ١ ص ٣٧٧ و فتح القدير ج ٥ ص ١٩٩.

٣- فتوح البلدان قسم ١ ص ٢٠ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٩ عن الإمتاع و فتح الباري ج ٦ ص ١٤٣ و المغازي للواقدي ج ١ ص ٣٧٨ و سنن أبي داود ج ٣ ص ١٤١ و الدر المنثور ج ٦ ص ١٩٢ عنه و عن ابن مردويه و الخراج للقرشي ص ٣٤.

٤- مسند أبي عوانه ج ٤ ص ١٤٢.

٥- سنن أبي داود ج ٣ ص ١٤٣ و جامع البيان ج ٢٨ ص ٢٤ و راجع: الأموال ص ١٤ و ذكر النص نفسه في فتح القدير ج ٥ ص ١٩٧ و ١٩٨ و لم يذكر أنه عن الزهري.

النضير (١).

(و بقى منها صدقه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التى فى أيدى بنى فاطمه (٢)).

(و اصطفى منها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أموال بنى النضير، و كانت أول صافيه قسمها رسول الله بين المهاجرين الأولين (و الأنصار). و أمر علياً؛ فحاز ما لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجعله صدقه، و كانت فى يده، مده حياته، ثم فى يد أمير المؤمنين (عليه السلام) بعده، و هو فى ولد فاطمه (عليها السلام) حتى اليوم) (٣).

و أرجع صلى الله عليه وآله وسلم - بعد فتح بنى النضير - الأراضى و الأشجار، التى كانت قد وهبت له إلى أصحابها من الأنصار. و قيل: بل كان ذلك حين فرغ صلى الله عليه وآله وسلم من خيبر (٤). .

١- فتوح البلدان قسم ١ ص ١٧.

٢- سنن أبى داود ج ٣ ص ١٥٧ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ١٢١ و وفاء الوفاء ج ٣ ص ٩٩٨ و المصنف للصنعانى ج ٥ ص ٣٦١ و الدر المنثور ج ٦ ص ١٨٩ عن عدة مصادر و فتح البارى ج ٦ ص ١٤٠ و تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٣١ و المناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ١٩٧ و الإرشاد للمفيد ص ٥٠ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٣.

٣- راجع: البحار ج ٢٠ ص ١٧٣ و الإرشاد للمفيد ص ٥٠ و المناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ١٩٧ و كشف الغمه ج ١ ص ٢٠١ و راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٣.

٤- راجع: مسند أبى عوانه ج ٤ ص ١٧٤-١٧٦ و صحيح مسلم ج ٥ ص ١٦٢ و ١٦٣ و صحيح البخارى ج ٣ ص ١١ و ج ٢ ص ١٢٥ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ٣٦٨ و ٣٦٩ و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٢٥ و ٢٦ و أحكام القرآن لابن العربى ج ٤ ص ١٧٧٧ و تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٣٦ و فتح البارى ج ٧ ص ٢٥٦ و راجع: السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٠.

أموال بنى النضير لم تخمس:

قالوا: (كانت بنو النضير صفيا لرسول الله (صلى الله عليه وآله) خالصه له حبسا لنوائبه، و لم يخمسها، و لم يسهم فيها لأحد. و قد أعطى ناسا من أصحابه، و وسع فى الناس منها، فكان ممن أعطى الخ ..) (١).

و لكننا نجد بعض الروايات تقول: (إنه (صلى الله عليه وآله) خمسها، و ذهب إليه الشافعى، و أعطى منها ما أراد لمن أراد، و وهب العقار للناس، و كان يعطى من محصول البعض أهله و عياله نفقه سنه، و يجعل ما بقى مجعل مال الله) (٢).

و لكن دعوى تخميسها لا تصح؛ فان الثابت هو أنها لم تفتح عنوه، و أنها مما أفاءه الله على رسوله، و الفىء لا يخمس. و إنما تخمس الغنيمه المأخوذه عنوه فى الحرب.

إلا- أن يكون المراد: أن يكون (صلى الله عليه وآله) قد خمس بعض ما أخذ من متاع القوم قبل وقوع الصلح .. فعممه هؤلاء لحاجه فى النفس قضيت ..

و لعل دعوى التخميس لها تهدف إلى القاء الشبهه على مطالبه على (عليه السلام) و فاطمه (عليها السلام) و العباس بها، مع أن عمر بن الخطاب نفسه يصرح فى روايه المطالبه هذه (٣) بتركه رسول الله (صلى الله عليه وآله) و سلم، حينما انفرد أبو بكر بروايه: نحن معاشر الأنبياء لا نورثى.

١- الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٥٨ و راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٢ و راجع: البحار ج ٢٠ ص ١٦٦ عن الكازرونى. و راجع:

تاريخ المدينه ج ١ ص ١٧٦ و زاد المعاد ج ٢ ص ٧١.

٢- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٢.

٣- ستأتى هذه الروايه مع مصادرها فى الفصل السادس إن شاء الله تعالى.

و فيما سبق بأن أموال بنى النضير كانت من الفى ء.

بل لقد ورد: أن عمر بن الخطاب قال: يا رسول الله ألا تخمس ما أصبت من بنى النضير؟ كما خمست ما أصبت من بدر؟!!

فقال: لا- أجعل شيئاً جعله الله لى دون المؤمنين بقوله: ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى الآيه .. كهيهه ما وقع فيه السهمان (١).

توضيحات للواقدي:

اشاره

قال الواقدي: (إنما كان ينفق على أهله من بنى النضير، كانت له خالصه، فأعطى من أعطى منها، و حبس ما حبس، و كان يزرع تحت النخل زرعاً كثيراً. و كان رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم يدخل منها قوت أهله سنه، من الشعير و التمر لأزواجه، و بنى عبد المطلب، و ما فضل جعله فى الكراع و السلاح، و إنه كان عند أبى بكر و عمر من ذلك السلاح، الذى اشترى على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم، و كان رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم قد استعمل على أموال بنى النضير أبا رافع مولاه، و ربما جاء رسول الله بالباكوره منها. و كانت صدقاته منها، و من أموال مخيريق، و هى سبعة حوائط إلخ .. (٢).

و نقول:

إن لنا على ما تقدم مايلى:

أ: التعبير ب (صدقات) و (صوافى):

فإن التعبير عن أموال بنى النضير، و عن أموال مخيريق ب (صدقات رسول الله) نجد له لدى معظم المؤرخين و المؤلفين من إخواننا أهل السنه ٨.

١- المغازى ج ١ ص ٣٧٧ و السيره الحليه ج ٢ ص ٢٤٨.

٢- المغازى للواقدي ج ١ ص ٣٧٨.

و هو تعبير فنى مدروس، قد جاء ليؤكد اتجاهها سياسيا، فرضه موقف السلطه مما حدث، من أجل تأكيد الحديث المزعوم الذى يقول:

نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقه.

هذا الحديث الذى أنكره على و فاطمه (عليهما السلام) و العباس و غيرهم.

فما كان من الفريق الآخر إلا أن أطلق على ما تركه الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) من أموال، و عقار اسم: (صدقته) (١)، أو (صدقات) و قالوا: (كل ما ترك رسول الله (صلى الله عليه و آله) تصدق به) (٢) ليركزوا ذلك الأمر الذى انفرد به أبو بكر و أنكره أهل البيت فى أذهان الناس بصوره تلقائيه و لا شعوريه. أما بالنسبه لقول عمر: إن بنى النضير كانت من صوافى رسول الله (صلى الله عليه و آله) حبسا لنوائبه، فإن ذلك بهدف الإيحاء بأنها لا بد أن تعود إلى بيت المال بعده، أو للخليفه لتكون حبسا لنوائبه أيضا.

و لنا أن نعتبر هذا النحو من التعامل من لطائف الكيد السياسى، و من جمله حبائله .. و لكن ذلك لم يجدهم شيئا فى تغيير الحقيقه، فقد عبر الآخرون عن آرائهم بصراحه، و أبطلوا كيد هؤلاء و لم يمكن لأهل المكر و الخداع و الكيد: أن يحققوا من مكرهم هذا شيئا.

ب: حبائل ماكره أخرى:

كما أننا نلاحظ: أن ثمة تعمدا و إصرارا على أمر آخر، يراد للناس أن يقبلوه و يصدقوه، و هو: أن رسول الله الأكرم (صلى الله عليه و آله) ي.

١- فى الطرائف ص ٢٨٣. (لعل أبا بكر و أتباعه هم الذين سموها صدقات).

٢- التراتيب الإداريه: ج ١ ص ٤٠١ عن السهيلي.

يطعم أهله من أراضى بنى النضير، و خيبر، و حوائط مخيريق، قوت سنه، ثم يجعل الباقي فى الكراع و السلاح.

و قد تقدم ذلك عن عمر بن الخطاب نفسه.

و ليس من البعيد أن يكون سبب ذلك هو إرادته الإيحاء بأنه (صلى الله عليه و آله)، لم يكن يرى نفسه مالكا، بل هو يتعامل مع هذه الأراضى، كما لو كانت ترجع إلى بيت مال المسلمين، الأمر الذى يؤكد صدق الحكام بعد رسول الله (صلى الله عليه و آله) فى دعواهم: أنه (صلى الله عليه و آله) لا يورث، و حتى لو كان يورث، فان تعامله هذا يدل على أنه لم يكن مالكا. و إذن .. فما وعد به أبو بكر، من أنه يطعم آل رسول الله قوت سنه، و يجعل الباقي فى الكراع و السلاح، لا يعتبر خروجاً عما رسمه رسول الله (صلى الله عليه و آله) بل يكون متبعاً له، و مقتدياً به؛ ففرض أهل البيت (عليهم السلام) لهذا العرض يصبح بلا مبرر ظاهر.

و تكون الزهراء (عليها السلام) هى المخالفه للرسول الكريم، و لأحكام الشرع و الدين، و تطلب ما ليس لها بحق، و تصرّ على طلبها هذا، رغم توضيح الأمر لها!.

و لكننا مع ذلك نقول:

إنه حتى لو صح أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) كان يفعل ذلك، و صح أيضاً: أن هذا السلاح قد بقى عند أبى بكر و عمر؛ فإنه لا يدل على عدم ملكيه الرسول (صلى الله عليه و آله) لتلك الأراضى، بعد أن نص القرآن العظيم على ملكيته (صلى الله عليه و آله) لها. حيث يمكن أن يكون إنما يفعل ذلك تبرعاً، و إثارة لرضا الله سبحانه، و طلباً لمثوبته التى يرغب بها كل مؤمن. لا سيما و أن القرآن قد حث الناس على أن يجاهدوا فى الله بأموالهم و بأنفسهم. و من أولى من الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله) و سلم) بالمسارعة إلى امثال أمر الله هذا؟!.

أموال بنى النضير فى ء أم غنيمه؟

قال النيسابورى:

(اعترض بعضهم: بأن أموال بنى النضير اخذت بعد القتال؛ لأنهم حوصروا أياما، وقاتلوا وقتلوا، ثم صالحوا على الجلاء؛ فوجب أن تكون تلك الأموال من الغنيمه، لا من الفى ء .

و أجاب المفسرون من وجهين:

الأول: إنها لم تنزل فى بنى النضير، وإنما نزلت فى فدك، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينفق على نفسه، و على عياله من غله فدك، و يجعل الباقي فى السلاح و الكراع.

الثانى: تسليم أنها نزلت فيهم، و لكن لم يكن للمسلمين يومئذ كثير خيل، و لا- ركاب، و لم يقطعوا إليها مسافه كثيره، و إنما كانوا على ميلين من المدينه؛ فمشوا على أرجلهم، و لم يركب إلا- رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، و كان راكب جمل؛ فلما كانت العامله قليله، و لم يكن خيل، و لا ركاب، أجراه الله مجرى ما لم يكن قتال ثمه (١).

و نقول:

١- إن ما ذكره من أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يجعل باقى غله فدك فى السلاح و الكراع، بعد أن ينفق على نفسه و على عياله (صلى الله عليه وآله) منها ..

محل مناقشه و بحث، فإن من المقطوع به: أن النبى (صلى الله عليه وآله).

١- راجع: التفسير الكبير ج ٢٩ ص ٢٨٤ و ٢٨٥، و غرائب القرآن (مطبوع) بهامش جامع البيان ج ٢٨ ص ٣٧ و ٣٨ و راجع: الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ١١ و ١٢ فإنه ذكر ذلك ضمنا و أجاب عنه كذلك، حيث قال: و لم يكن ثمه قتال على التحقيق؛ بل جرى مبادئ القتال، و جرى الحصار الخ.

عليه و آله) قد أعطى فدكا لابنته فاطمه (عليها السلام)، و قد استولت عليها السلطه بعد عشره أيام من وفاته (صلى الله عليه و آله). و قد جرى بين الزهراء (عليها السلام) و بين أبى بكر مناقشات و محاورات انتهت بإصرار الخليفه على ما أقدم عليه، فغضبت الزهراء عليه، حتى ماتت، و هى مهاجره له و لنصيره عمر، و أوصت بأن تدفن ليلا و لا يحضرا جنازتها (١).

فدك لم تكن فى يد رسول الله (صلى الله عليه و آله) و لسوف نتحدث عن هذا الأمر، بشىء من التفصيل بعد غزوه خيبر إن شاء الله تعالى.

٢- إنه إذا كانت فدك خالصه لرسول الله (صلى الله عليه و آله) و إذا كان قد أنفق غلتها فى الكراع و السلاح؛ فإنما فعل ذلك تكرما، و طلبا للاجر و الثواب، و إثارا منه (صلى الله عليه و آله) على نفسه، حسبما المحنا إليه، و ليس لأجل أن حكم الفىء هو ذلك- و ان كنا نحتمل قويا- ان تكون دعوى ذلك من موضوعات خصوم أهل البيت (عليهم السلام) بهدف التشكيك فى أن يكون (صلى الله عليه و آله) قد نحلها لفاطمه الزهراء عليها صلوات ربي و سلامه.

٣- و لربما يؤيد القول بأن سوره الحشر قد نزلت بعد واقعه بنى النضير، التعبير بقوله: (من أهل القرى) حيث إن وادى القرى قد افتتحت بعد ذلك.

و لكنه تأييد غير تام؛ فإن الحكم فى الفىء عام، و لا يختص بأهل وادى القرى. كما أنه لم يثبت كون المراد بأهل القرى هو وادى القرى، إذك.

١- ستأتى مصادر ذلك كله إن شاء الله، حين الحديث حول فدك بعد غزوه خيبر إن شاء الله تعالى. و بالإمكان مراجعه كتاب: أصول مالكيه للأحمدى، و فدك للقزوينى، و دلائل الصدق، و غير ذلك.

يمكن أن يكون المراد: أهل البلاد مطلقا.

أضف إلى ذلك: أن الآيه التاليه، المشيره إلى إعطاء المهاجرين، و عدم تغَيُّظ الأنصار من إعطاء إخوانهم، بل هم يؤثرونهم على أنفسهم، و لو كان بهم خصاصه- ان هذه الآيه- تؤيد كون المراد هو بنو النضير، لأن النسي (صلى الله عليه و آله) لم يعط الأنصار من أموالهم شيئا، سوى رجلين أو ثلاثه، كما أوضحناه حين الكلام حول تقسيم أراضى بنى النضير، فليراجعه من أراد.

٤- إن ما ذكر فى الجواب الثانى غير تام، فان كثره الخيل و الركاب، و قلتها، و بعد المسافه و قربها لا يؤثر شيئا فى حكم الفى ء، ما دام أن الملاك هو الأخذ عنوه و عدمه. كما أن كثره القتال و قَلَّتْه لا يؤثر فى ذلك شيئا.

الجواب الأمثل:

و عليه .. فالأولى فى الجواب: أن يقال: إن القتال الذى كان- إن صح أنه قد كان ثمه قتال- لم يكن به الفتح، و إنما فتحت صلحا، و هذا هو الميزان فى الفى ء و الغنيمه، فإن كان الفتح صلحا كان فيئا، و إن كان بقتال كان غنيمه. فالحكم تابع للنتيجه، مهما كانت مقدماتها.

هذا .. بالإضافة إلى أن ما أَرعَب اليهود و جعلهم يأسون، و حملهم على الصلح لم يكن هو القتال المشار إليه، و إنما كان قطع النخيل، و إحراقه. ثم كان قتل أمير المؤمنين (عليه السلام) للعشره هو السبب فى استجابتهم للصلح، كما تقدم ..

و أما بالنسبه لما يذكرونه من قتال. فنحن لا نستطيع أن نؤكد صحته، بل القرآن و التاريخ يدل على عدمه، و إن كنا لا نمنع من أن تكون قد جرت بعض المناوشات اليسيره، و لكنها لم تكن سبب الفتح قطعا.

المهاجرون .. و أموال بني النضير:

لقد هاجر من مكة عدد كبير من الذين أسلموا، و تركوا ما كانوا يملكونه وراءهم. و قد قدّم الأنصار لهم كل ما أمكنهم تقديمه من العون و الرعاية، حتى لقد أرادوا أن يقاسموهم أموالهم؛ فمنعهم النبي الأكرم (صلى الله عليه و آله و سلم). و أمرهم أن يعملوا فى مزارعهم و بساتينهم وفقا لقواعد المساقات و المزارعه، و هكذا كان (١).

و حين أفاء الله على رسوله أموال و أراضى بني النضير، كانت خالصه له (صلى الله عليه و آله)، بمقتضى قوله تعالى:

ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى؛ فلله و للرسول و لذى القربى و اليتامى و المساكين و ابن السبيل (٢).

و قد روى القرشى عن الكلبى أنه قال: (قسم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أموال بني النضير، إلا- سبعة حوائط منها، أمسكها و لم يقسمها) (٣).

حكايه قسمه الأراضى:

ثم إنه (صلى الله عليه و آله) قد خيّر الأنصار، بين أن يقسم ما أفاءه الله عليه، عليهم، و على المهاجرين، و يكون المهاجرون مع الأنصار كما كانوا، و بين أن يخص المهاجرين بها، فيستقلون عن الأنصار، و يرجعون إليهم أراضيه٦.

١- مسند أبى عوانه: ج ٤ ص ١٧٤ و السنن الكبرى للبيهقى ج ٦ ص ١١٦ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٩ و صحيح مسلم ج ٥ ص ١٦٢.

٢- الحشر: ٧ و ليراجع هنا: مجمع البيان ج ٩ ص ٢٦٠ و التبيان ج ٩ ص ٥٦٢ و الإكتفاء ج ٢ ص ١٤٨ و ١٤٩.

٣- الخراج للقرشى: ص ٣٦.

فقال السعدان- سعد بن معاذ، و ابن عبادہ:- بل نقسم أموالنا و ديارنا على المهاجرين، و يؤثرونهم بالقسمه أيضا، و لا يشاركونهم فيها.

فاقتدى بهما سائر الأنصار. فانزل الله: **وَ يُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ.**

فقسمها النبي (صلى الله عليه و آله) بين المهاجرين، و أمرهم برد ما كان للأنصار حسب تعبير الحلبي (١).

فكانت أول صافيه قسمها (صلى الله عليه و آله) بين المهاجرين الأولين (٢).

و فى بعض المصادر: أن المهاجرين إنما ردوا ما كان للأنصار بعد٨.

١- راجع: فيما تقدم، كلا، أو بعضا المصادر التاليه: البحار ج ٢٠ ص ١٧١ و ١٧٢ و فى هامشه عن الإمتاع للمقريزى ص ١٨٢ و تفسير القمى ج ٢ ص ٣٦٠ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ٣٦٨ و ٣٦٩ و مجمع البيان ج ٩ ص ٢٦٠ و مسند أبى عوانه ج ٤ ص ١٧٥ و السنن الكبرى ج ٦ ص ١١٦ و فتح البارى ج ٧ ص ٢٥٦ و وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٩٩ و تاريخ المدينة ج ٢ ص ٤٨٩ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٣ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٣ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٨ و ٢٦٩ و صحيح مسلم ج ٥ ص ١٦٣ و لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٩ و غرائب القرآن مطبوع بهامش جامع البيان ج ٢٨ ص ٤١ و ٤٢ و فتح القدير ج ٥ ص ٢٠١ و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٢٥ و ٢٣ و أحكام القرآن لابن العربى ج ٤ ص ١٧٧٦ و التفسير الكبير ج ٢٩ ص ٢٨٧ و الكشف ج ٤ ص ٥٠٥ و جوامع الجامع ص ٤٨٧ و تفسير البرهان ج ٤ ص ٣١٣ و المغازى للواقدي ج ١ ص ٣٧٩ و الخراج للقرشى ص ٣٣ و راجع: الروض الأنف ج ٣ ص ٢٥٠ و عمدته القارىء ج ١٥ ص ٤٧ و إرشاد السارى ج ٥ ص ٢١٠.

٢- فتوح البلدان: قسم ١ ص ٢١ و البحار ج ٢٠ ص ١٧٣ و فى هامشه عن المناقب ج ١ ص ١٦٩ و ١٧٠ و عن الإرشاد ص ٤٩ و ٤٨.

الفراغ من خير (١).

محاسبات دقيقه:

إننا رغم أننا نشك في إرجاع المهاجرين أموال الأنصار، و نحتمل قويا: أن يكون الهدف من هذا الزعم هو تقوية موقف المهاجرين، حيث لا يكون للأنصار- و الحاله هذه- فضل يذكر، إلا أننا نغض النظر عن ذلك فنقول:

يرد هنا سؤال، و هو: أنه إذا كانت أموال بنى النضير خالصه لرسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)، بنص القرآن الكريم، فلماذا يطلب (صلى الله عليه و آله) موافقه الأنصار على أن يخصّ المهاجرين بها؟

أليس هو (صلى الله عليه و آله) حرّ التصرف فيما ملكه الله إياه، يضعه حيث يشاء، و يعطيه لمن يشاء!.

و نحن في مقام الإجابة على هذا السؤال نشير إلى ما يلي:

١- إنه (صلى الله عليه و آله) يريد أن لا يسىء أحد من الأنصار تفسير تصرفه ذاك، فيتوهم: أن ذلك منه (صلى الله عليه و آله) بسبب حبه لقومه، دونهم، أو لغير ذلك من أسباب. كما أنه (صلى الله عليه و آله) لا يريد أن يثير في الأنصار حسدا لا مبرر له، أو ما هو أكثر من الحسد، و هم يرون إخوانهم يحصلون على الأموال و الأراضي دونهم، حتى و لو كانوا يعلمون: أن هذا المال ملك لرسول الله (صلى الله عليه و آله) يضعه حيث يشاء، و يعطيه لمن أراد، و يعلمون أيضا: أنه لا ينطلق في إعطائه ذاك من سلبيات يخشون وجودها.٠.

١- صحيح مسلم ج ٥ ص ١٦٢ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٣٦٨ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٠.

٢- إنه يريد للمسلمين جميعا: أن لا يفهموا هذا التصرف على أنه امتياز لهم دون غيرهم، و ليتخذ ذلك اصحاب الأهواء منهم ذريعه للابتزاز، أو لإعمال سياسات ظالمة تجاه إخوانهم من الأنصار، حينما تسنح لهم الفرصه لذلك.

٣- إنه يريد للمسلمين جميعا أن يفهموا: أن على القيادة أن لا تستبد بالرأى و بالتصرف، فان التفاهم، و المشاركة فى الرأى، و عدم التفرد فيه، يجب أن يكون هو السمه المميزه للانسان المسلم.

٤- إنه (صلى الله عليه و آله) يريد أن يعلم الانصار، و يستفيد من ذلك المهاجرون درسا فى الإيثار على النفس ما دام أن ذلك من شأنه أن يوثق عرى الموده، و يثير كوامن الحب فى مجتمع يشعر أعضاؤه بالآلام و مشاكل بعضهم البعض، و يعملون على حلها، و يبذلون جهدهم فى هذا السبيل.

٥- كما أننا نستفيد بالاضافه إلى ما تقدم الأمور التاليه:

أ: إنه كما أن من مسؤوليات قائد الأمة تصريف أمور الرعيه، و رعايه شؤونها، و إدارتها، و هدايتها إلى أفضل السبل و أجداها فى دفع الأخطار الكبرى عنها، و حل المعضلات التى ربما تواجهها .. كذلك فإن من مسؤولياته تربيته الأمة تربيته صالحه، و رعايه شؤونها الروحيه و تزكيتها، و بعث الفضائل و السجايا الكريمه فى نفوس أبنائها جماعات و آحادا، ثم إبعاد كل ريب و رين عنها؛ لتكون خالصه خلوص الجوهر، نقيه صافيه صفاء النور ..

هذا بالإضافه إلى رعايه العلاقات الروحيه فيما بين أفراد و جماعات الأمة، لتبقى سليمه و حميمه، و قائمه على أسس قويه و ثابتة من تلك السجايا و السمات و الصفات الراسخه فى أعماق الذات الإنسانيه ..

فلا يجوز أن يصدر منه أى عمل - حتى و لو كان بملاحظه خصوصيته

الفردية، و العاديه حلالا و مباحا له- من شأنه أن يلحق أدنى ضرر فى البنيه الإجتماعيه، سواء على المستوى النفسى أو الفكرى، أو المادى، أو غير ذلك.

كما أن عليه أن يتكهن بآثار أى عمل يصدر منه، و يقدر ماله من سلبيات و إيجابيات مستقبليه، و على جميع المستويات.

ب: إن ما تقدم يوضح لنا مدى حساسيه موقع هذه القياده، و خطوره مسؤولياتها، و يوضح كذلك: أنه ليس باستطاعه كل أحد؛ أن يتسلم أزمه الحكم، و يتولى مسؤوليات قياديه، إلا إذا اجتمعت فيه خصال و مواصفات ذات طابع معين، من شأنها أن تساعد على تحقيق أقصى ما يمكن تحقيقه من الأهداف التى تتوخاها الأمه من قياداتها.

ج: إن ما فعله الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله) قد أفهمنا: أنه يفترض فى القائد: أن يرمى الشؤون الماديه للأمه، و لو من ماله الخاص، حينما لا يكون ثمة مصادر أخرى قادره على سد حاجاتهم فى هذا المجال.

د: و درس آخر نتعلمه من موقف النبى (صلى الله عليه و آله) هنا، و هو: أن الإنسان، و إن كان له الحق فى أن يتصرف فى ماله كيف يشاء، و لكن حينما تنشأ عن هذا التصرف سلبيات من نوع ما، فان عليه أن يعمل على معالجه تلك السلبيات، و أن يعطى تصرفه منافع كافيه، تحصن الواقع من أن تنشأ فيه تلك السلبيات، أو أن تؤثر أثرها البغيض المقيت، حتى ولو كانت تلك السلبيات ناشئه عن تقصير الآخرين، أو عن سوء تصرفهم، أو عن عدم التزامهم الأكيد بالحدود و القيود التى يفترض التزامهم بها، أو غفلتهم عن ذلك، بل و حتى لو كان ذلك من قبيل الطموحات الباطله و اللامشروع، أو التى تستتبع حسدا لا مبرر له لدى الآخرين، أو حقا كذلك.

ه: إننا نلاحظ: أنه (صلى الله عليه و آله) قد كانت معالجته لسلبيات لا- مبرر لها بطريقه بّناءه ورائده، ثم هي زاخره بالمعاني الإيجابية الكبيره، التي من شأنها ليس فقط أن تؤثر في الصيانه و الحصانه بدرجة كافيه، و إنما هي تساهم بدرجة كبيره في تكامل الأمه، و في حصولها على المعاني و السجايا الإنسانيه، ثم تعميقها و ترسيخها بصوره عمليه، لا بمجرد التنظير، و إطلاق الشعارات في الهواء.

و هذا هو الأسلوب الأمثل و الأجدى في بناء الأمه، و تأكيد خصائصها الإنسانيه، و سجاياها الكريمه الفضلى ..

المستفيدون من أراضى بنى النضير:

و يذكر المؤرخون أسماء طائفه من الناس أعطاهم الرسول (صلى الله عليه و آله) من أراضى بنى النضير، بل يرى البعض: أنه لم يعط سوى الأشخاص التاليه أسماؤهم و هم:

١- أبو بكر بن أبي قحافه؛ فقد حصل على موضع يقال له: (بئر حجر) (١).

٢- عمر بن الخطاب، الذى حصل على موضع يقال له:

(جرم) (٢).

٣- عبد الرحمن بن عوف، الذى حصل على موضع يقال له:ن.

-
- ١- الطبقات ابن سعد ج ٢ ص ٥٨ و مغازى الواقدي ج ١ ص ٣٧٩ و راجع: فتوح البلدان قسم ١ ص ١٨ و راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٣ و راجع: السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٩ و معجم البلدان ج ٥ ص ٢٩٠.
- ٢- راجع: المصادر المتقدمه باستثناء فتوح البلدان.

(سواله)، أو (كيدمه). و هو الذى يقال له: (مال سليم) (١).

٤- الزبير بن العوام، الذى حصل على أرض يقال لها:

(بويله) (٢).

٥- صهيب بن سنان، حصل على أرض يقال لها (ضراطه) (٣).

٦- أبو سلمه بن عبد الأسد، حصل على أرض من بنى النضير، عند الواقدي أن اسمها (بويله) شاركة الزبير فيها أيضا، كما أشرنا

إليه (٤).

٧- أبو دجانة.

٨- و سهل بن حنيف، حصلا على أرض يقال لها: (مال ابن خرشه) (٥). ٠١

١- وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٩٦ و ج ٣ ص ٩٤٥ و معجم البلدان ج ٤ ص ٤٩٧ و راجع ج ٥ ص ٢٩٠ و طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٥٨ و مغازى الواقدي ج ١ ص ٣٧٩ و راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٣ و راجع: فتوح البلدان قسم ١ ص ١٨ و راجع: السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٩.

٢- طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٥٨، لكنه ذكر بويله له ولأبى سلمه بن عبد الاسد، و فتوح البلدان قسم ١ ص ٢١ و ٢٢ و وفاء الوفاء ج ٤ ص ١١٥٧ و إرشاد السارى ج ٤ ص ٢١٠ و المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٧ ص ١٤٧ عن صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٠٥ و راجع: السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٩، و نيل الأوطار ج ٦ ص ٥٧.

٣- الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٥٨ و راجع ج ٣ ص ١٠٤ و مغازى الواقدي ج ١ ص ٣٧٩ و ٣٨٠، و راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٣ و راجع: السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٩.

٤- طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٥٨ و مغازى الواقدي ج ١ ص ٣٨٠ و ذكر أنه (صلى الله عليه و آله) أعطاه (بويله) و وفاء الوفاء ج ٤ ص ١١٥٧ و راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٣ و راجع: السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٩.

٥- راجع: مغازى الواقدي ج ١ ص ٣٨٠ و ٣٧٩ و السيره النبويه ج ٣ ص ٢٠١

٩- الحارث بن الصمه، استفاد هو الآخر من ذلك حسبما ذكروه (١).٧.

١- مجمع البيان ج ٩ ص ٢٦٠ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٥١ و ٤٦٢ عن المدارك، و معالم التنزيل و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٩، و قال: (نظر فيه بعضهم: بأنه قتل في بئر معونه)، و لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٦، و جوامع الجامع ص ٤٨٧، و التفسير الكبير ج ٢٩ ص ٢٨٥ و الكشف للزمخشري ج ٤ ص ٥٠٥، و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ١١ و راجع ص ١٤ و ٢٤ و أحكام القرآن لابن العربي ج ٤ ص ١٧٧١ و ١٧٧٢ و الروض الأنف ج ٣ ص ٢٥١ عن غير ابن إسحاق، و بهجه المحافل ج ١ ص ٢١٦، و مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٧.

و عند البعض: الحرث بن أبرهه (١).

و الظاهر: أنه تصحيف.

١٠- و أعطى- زعموا- سعد بن معاذ سيف ابن أبي الحقيق (٢).

١١- و أعطى عثمان بن عفان أيضا، بعض أراضى بنى النضير، فى مكان يقال له: الدومه (٣).

نصان غير متوافقين:

و نشير هنا إلى نصين غير متوافقين، و هما:

١- ما قاله العيني: (.. و لم يخمس، و لم يسهم منها لأحد، إلا لأبى بكر، و عمر، و ابن عوف، و صهيب بن سنان، و الزبير بن العوام، و أبى سلمه بن عبد الأسد، و أبى دجانه) (٤).

فالعيني إذن يرى: أنه (صلى الله عليه و آله) لم يعط أحدا غير هؤلاء.

و لكن التعبير ب (يسهم) فيه شىء من المسامحة؛ لاشعاره بأنها مفتوحة عنوه، و ليس الأمر كذلك.

٢- قال ابن شبه: (.. عن محمد بن إسحاق، قال: قسمها رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم فى المهاجرين إلا سهل بن حنيف، و أبى دجانه، و كذا نفر، ٦).

١- غرائب القرآن، مطبوع بهامش جامع البيان ج ٢٨ ص ٣٨.

٢- تاريخ الإسلام للذهبي (قسم المغازى) ص ١١٢ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٣ و الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١٨ ص ١١، و المغازى للواقدي ج ١ ص ٣٧٩، و السيره الحلبيه للحلبى الشافعى ج ٢ ص ٢٦٩.

٣- وفاء الوفاء ج ٣ ص ٩٤٤ عن ابن شبه.

٤- عمده القارىء ج ١٨ ص ١٢٦.

فأعطاهما منها) (١).

وقال النسفي: قد أعطى ثلاثة من الأنصار (٢). لكنه لم يذكر لنا أسماءهم بالتحديد.

فوجد العيني لا يذكر سهل بن حنيف، و نجد آخرين يذكرون سهلا و أبا دجانة، و نجد عددا آخر يصرّ على أنهم ثلاثة من الأنصار، و لعله يقصد الحارث بن الصّيمه؛ فإنه أنصاري أيضا. و لكن ابن شبه ذكر سهلا و أبا دجانة، و كذا نفرا من الأنصار. و معنى ذلك هو أنه قد أعطى الثلاثة الآنفه أسماؤهم. مع أن ظاهر النصوص الحصر بهم، أو بواحد، أو بإثنين منهم. فالأولى الأقتصار على ذلك إلى أن يرد ما يؤيد كلام ابن شبه.

كى لا يكون دوله بين الأغنياء:

و قد علل الله سبحانه عطاء بعض الفئات دون بعض، من الفى ء بقوله:

وَ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَ لَا رِكَابٍ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يُسَيِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِأَيِّ الْقُرْبَى وَ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَ مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٣).٧.

١- تاريخ المدينة ج ٢ ص ٤٩٠.

٢- مدارك التنزيل (مطبوع بهامش لباب التأويل) ج ٤ ص ٢٤٦.

٣- الحشر: ٦ و ٧.

و نستفيد من هذه الآيه الأمور التاليه:

الأول: إنه سبحانه قد علل إعطاء الفىء للفقراء اليتامى، و المساكين، و ابن السبيل بأن لا يكون المال محصورا بين الأغنياء، يتداولونه فيما بينهم. و هذا يعطى: أن الإسلام يريد أن يمكن الجميع من الحصول على المال، و لا يكون حكرا على جماعه دون غيرها.. أى أنه يريد للمال أن يتحرك، و أن ترتفع الموانع و الحواجز من طريقه و ينطلق من خلال الالتزام بالحكم الإلهى، و الوقوف عند الحدود الشرعيه، لتداوله جميع الأيدى فلا بغى من أحد على أحد، و لا استئثار بشىء دون الآخرين و إنما الإيثار على النفس، و لو مع شدة الحاجه و الخصاصه.

كما أنه يريد للفقير: أن يحصل على المال بصورة مشروعته، و من دون منة من أحد عليه، ما دام ان المال قد أعطاه الله إياه، و ليس لأحد من الخلق فيه أى دور.

الثانى: إن الإسلام حين قبل بالملكيه الفرديه، و جعل القوانين و النظم لحمايتها، و قبل أيضا بملكيه الدوله و الجهه، و أعطى المجال لطموحات الإنسان، و قدراته الخلاقه للتعبير عن نفسها، و تأكيد وجودها، فانه قد قرر إلى جانب ذلك قاعدته، و أعطى ضابطته التى لا مجال لتخطيها فى شأن المال بقوله: (كى لا يكون دوله بين الأغنياء منكم)؛ فانه يكون بذلك قد قرر الحد الذى يفصل نظام الإسلام الإقتصادى عن النظام الرأسمالى الفاسد، و الذى ينتهى بالمال إلى أن يصبح دوله بين الأغنياء.

و ذلك لأن الإسلام، و إن كان قد قبل بالملكيه الفرديه، إلا أنه قد حدّد مصادر الحصول عليها فى جهات معينه، لا يجوز تعديها، إلى غيرها..

كما أنه قد وضع من الأحكام و الضوابط فى مختلف شؤون الحياه و جهاتها، ما يمنع من تكدّس المال بصورة فاحشه لدى افراد بخصوصهم.

و قد بين الله سبحانه هذا الأصل الأصيل بعباره واضحه و موجزه حينما قال:

(لا يكون دوله بين الأغنياء).

ثم هو قد حرّم و أذان، و عاقب على كل عمل من شأنه أن يهدم هذا الأصل، و يضر في مسيره تحقيقه، أى ما يوجب صيروره المال (دوله بين الأغنياء)، فحرم الربا، و منع من الإحتكار، و من أكل المال بالباطل، و والنخ.

و بما تقدم يتضح أيضا: البون الشاسع فيما بين المذاهب الإقتصاديه الأخرى،- كالأشتراكيه- و بين نظام الإسلام الإقتصادى، كما هو ظاهر لا يخفى.

الثالث: إن ما أفاءه الله على رسوله، ليس لأحد أن يدعى أن له فيه أدنى أثر أو أى دور فى تحصيله. فإن المسلمين لم يوجفوا عليه بخيل و لا ركاب، و إنما عاد إلى رسول الله بسبب تسليط الله رسله على من يشاء، كاليهود الناقضين للعهود و المواثيق.

و معنى ذلك هو أنه ليس لأحد الحق فى أن يدعى: أنه قد تنازل للنبي (صلى الله عليه و آله) عن شىء هو له، أو ساهم فيه، و جاء الحكم الإلهى ليأخذه منه، و يعطيه للنبي لمصلحه كامنه فى ذلك، كما ربما يتوهم فى الزكاه و الخمس، و ذلك لأن الله قد صرح بأن تسليط الله سبحانه للرسول على أولئك الناس قد كان سببا فى حصول ما يسمى بالفىء؛ فالفىء إذن هو نتيجة عمل إلهى، و تصرف ربانى فى واقع سلطه الرسول و بسطها على أولئك المعاندين ..

و أما منا شىء هذه السلطه، و مقوماتها، فيجب أن لا تكون منحصره فى العده و العدد و الحشود لدى المسلمين، فان ذلك يتحقق بتأييدات إلهيه

غيبه، تساهم فيها معرفه اليهود بنبوته (صلى الله عليه و آله)، و رؤيتهم لمعجزاته و كراماته، و حبهم للدنيا، و خوفهم من الموت و غير ذلك من أمور.

الرابع: بقى أن نشير إلى أن الآيات قد نصت على أن الفى ء لله، و للرسول، و لذى القربى، و اليتامى، و المساكين، و ابن السبيل؛ فكيف نوفق بين ذلك و بين ما هو معلوم من أن الفى ء خالص لرسول الله (صلى الله عليه و آله)؟

و نقول فى الجواب: إن الآيات لم تتعرض لتشريع حكم الفى ء، و بيان تقسيماته اللازمه شرعا، من حيث مالكيه هؤلاء الأصناف له، و إنما هى تبين قضيه فى واقعه، يراد توضيح المراد فيها، و إزاله الشبهه عن موقف النبى (صلى الله عليه و آله) منها، و ذلك لأن الآيات التاليه لتلك الآيه، قد بينت: أن المراد بهؤلاء الأصناف هو خصوص المهاجرين منهم، أما الأنصار؛ فانهم لا يجدون فى أنفسهم حرجا فى أن يأخذ إخوانهم المهاجرون من الفى ء دونهم، رغم ما كان يعانى منه الأنصار من حاجه و خصاصه، بل هم يؤثرونهم على أنفسهم و لو كان بهم خصاصه.

كما أن الآيه الآنفه الذكر قد بينت: أن المراد هو الفى ء الحاصل من أهل القرى، لا كل فى ء، و ذلك يؤيد أنها فى صدد الحديث عن قضيه فى واقعه، من أجل إبراز ما بها من خصوصيات، و من معان إنسانيه هامه، و من دقائق أخرى لابد من الإلفات إليها، و التنبيه عليها، و ليست فى صدد اعطاء الضابطه و القاعده العامه.

و معنى ذلك هو: أن المراد بيان أن ما فعله النبى (صلى الله عليه و آله) فى الفى ء الحاصل له من أهل القرى، حيث قسمه على المهاجرين دون الأنصار، رغم وجود الخصاصه فى الأنصار، إنما كان لمصالح اقتضت التخصيص منه (صلى الله عليه و آله). و لا حرج على النبى و الإمام

فى أن يلاحظ المصالح، و يقدم قوما على قوم، و يعطى هؤلاء، و يحرم أولئك، لأجل تلك المصالح المقتضيه لذلك، و لا يجب عليه أن يساوى بين الناس دائما، فان المساوات ليست مطلوبه على كل حال، و إنما هى مطلوبه حيث لا-مصلحه فى الترحيح، و حيث لا توجب تعميق الهوه بين الفئات التى يراد المساواه بينها.

و إذن فلا معنى لاستغلال هذا الأمر للدعايه ضد نبي الإسلام، و اتهامه بالتحيز و التجنى، و لا سيما إذا علمنا أن ما يقسمه إنما هو حقه الشخصى، و هو حرّ فى أن يجعل ما يختص به لمن يشاء، كيف يشاء.

الخامس: و لابد من التذكير أخيرا بأن آيه الفى ء هنا كآيه الخمس فى سورة الأنفال، قد ذكرت أصنافا سته: ثلاثه منهم من قسم الواجب، و هم: سهم الله، و سهم الرسول، و سهم ذوى القربى، و ثلاثه لا يجب ذلك فيهم، و هم اليتامى، و المساكين، و ابن السبيل ..

لماذا اختص ذوا القربى بالخمس و الفى ء؟

و من الغريب العجيب أن البعض بعد أن ذكر: أن المراد بذوى القربى فى الآيه التى فى سورة الحشر، و فى آيه الخمس هم قرابه رسول الله، قد علّل البعض اختصاصهم بالفى ء و الخمس بقوله:

(إن كانت الصدقات لا-تحل لهم فليس لهم فى الزكاه نصيب، و إن كان النبي لا يورث فليس لذوى قرابته من ماله شى ء، و فيهم الفقراء الذين لا مورد لهم، فجعل لهم من خمس الغنائم نصيبا، كما جعل لهم من هذا الفى ء و أمثاله نصيبا) (١).

إذن فهذا البعض يرى: أن فقر الفقراء منهم، و حرمانهم من الإرث ٤.

و الزكاه كان هو السبب فى ذلك!!

و نقول: إن كلامه غير صحيح، و ذلك لما يلى:

١- لقد علق هو نفسه فى هامش كتابه على كلمه (الفقراء) بقوله:

(هناك خلاف فقهي، هل الفقراء من قرابه الرسول هم المستحقون؟! أم جميعهم، و الراجح جميعهم) (١).

و معنى ذلك هو: أن فقرهم ليس هو سبب إعطائهم، إذ ليس ثمه خصوصيه للفقراء منهم تقتضى ترجيحهم على سائر الفقراء، و إنما السبب فى الترجيح هو - فقط - قرابتهم من رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم).

٢- لا ندرى كيف حرمهم الله هذا المقدار القليل من إرث النبى (صلى الله عليه و آله) ثم عوضهم هذه الأموال الهائلة و الطائله، التى تحصل من الفىء و الغنائم!! ..

٣- ثم إننا لا ندرى كيف يحرم شخص واحد و هو الزهراء صلوات الله عليها، ثم يعوّض جميع قرابه رسول الله (صلى الله عليه و آله) حتى من لم يكن فى طبقتها فى الإرث، بل و حتى جميع بنى هاشم، و لو لم يكونوا من أولاده (صلى الله عليه و آله) و لا من وراثه!!

بل لقد نال هذا التعويض جميع بنى هاشم إلى يوم القيامة.

و ما كان أحراه أن يكون إهتماماً بأمور الفقراء و الضعفاء من سائر الناس، فيورث فاطمه (عليها السلام)، ثم يتعامل مع جميع بنى هاشم على أنهم بعض من غيرهم، فلا يحرمهم من ذاك ليعطيهم من هذا أكثر مما يستحقون، و أضعاف ما به كانوا يطالبون.

ليس فى ذلك تضييع لحقوق الكثيرين من الفقراء من غيرهم؟! ق.

حاشاه أن يصدر ذلك منه، أو أن يفكر فيه.

٤- هذا كله عدا عن أن حديث: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقه، و الذي تفرد بروايته الخليفة الأول أبو بكر!! قد أثبت العلماء بالأدلة القاطعه و البراهين الساطعه عدم صحته. و قد رد على و فاطمه (عليهما السلام) و كثير غير هما روايته كما ذكرته الروايات الكثيره و ليس هاهنا محل بحث هذا الأمر فمن أراد ذلك، فليراجع كتب العقائد.

ص: ٢٢١

الفصل السادس: أراضى بنى النضير و الكيد السياسى

اشاره

الفاصون:**اشاره**

و تذكر المصادر: أن السلطه قد استولت على باقى أموال بنى النضير، التى احتفظ بها رسول الله (صلى الله عليه و آله)، و لم يقسمها بين أصحابه، و قد طالب بها أهل البيت فمنعوا منها ثم إن عمر بن الخطاب قد ردها إليهم، بعد سنين من توليه الحكم.

و لكن حكاية مطالبه أهل بيت النبوه للخليفه الثانى بإرجاعها إليهم.

قد تعرضت للدس و التشويه بصوره بشعه و مخجله. و نحن نذكر نص الروايه هنا أولاً، ثم نشير إلى بعض وجوه التشويه فيها، و إن كانت واضحه و ظاهره لكل أحد.

نص الروايه:

يقول النص التاريخى، و هو الذى ذكره مسلم بن الحجاج فى صحيحه: (حدثنى عبد الله بن محمد بن أسماء الضبعى، حدثنا جويريه:

عن مالك، عن الزهرى: أن مالك بن أوس حدثه قال:

أرسل إلى عمر بن الخطاب؛ فجئته حين تعالى النهار، قال:

فوجدته فى بيته جالسا على سرير، مفضيا إلى رماله، متكئا على وساده من آدم، فقال لى: يا مالك، إنه قد دفّ أهل أبيات من قومك. و قد أمرت فيهم برضخ فخذ فاقسمه بينهم.

قال: قلت: لو أمرت بهذا غيرى. قال: خذه يا مالك.

قال: فجاء يرفأ، فقال: هل لك- يا أمير المؤمنين- فى عثمان و عبد الرحمان بن عوف، و الزبير، و سعد؟

فقال عمر: نعم، فأذن لهم؛ فدخلوا. ثم جاء فقال: هل لك فى عباس، و على؟

قال: نعم.

فأذن لهما، فقال عباس: يا أمير المؤمنين، اقض بينى و بين هذه الكاذب الآثم، الغادر الخائن!

فقال القوم: أجل يا أمير المؤمنين، فاقض بينهم و أرحهم.

(فقال مالك بن أوس: يخيل إلى: أنهم قد كانوا قدموهم لذلك).

فقال عمر: اتّدا، أنشدكم بالله الذى بإذنه تقوم السماء و الأرض، أتعلمون: أن رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم قال: لا

نورث، ما تركنا صدقه؟

قالوا: نعم.

ثم أقبل على العباس، و على، فقال: أنشد كما بالله الذى بإذنه تقوم السماء و الأرض، أتعلمون: أن رسول الله صلى الله عليه و

آله وسلم قال: لا نورث، ما تركناه صدقه؟

قالا: نعم.

فقال عمر: إن الله جلّ و عز كان خص رسوله صلى الله عليه و آله وسلم بخاصه لم يخصص بها أحدا غيره، قال: ما أفاء الله على

رسوله من أهل القرى، فله و للرسول (ما أدرى هل قرأ الآية التى قبلها أم لا)، قال: فقسم رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم

بينكم أموال بنى النضير فوالله، ما استأثر عليكم، و لا أخذها دونكم، حتى بقى هذا المال؛ فكان رسول الله صلى الله عليه و آله

وسلم يأخذ منه نفقه سنه،

ثم يجعل ما بقى أسوه المال.

ثم قال: أنشدكم بالله الذى ياذنه تقوم السماء والأرض، أتعلمون، ذلك؟

قالوا: نعم.

ثم نشد عباسا و عليا بمثل ما نشد به القوم: أتعلمان ذلك؟

قالا: نعم.

قال: فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال أبو بكر: أنا ولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجئتما تطلب ميراثك من ابن أخيك، و يطلب هذا ميراث امرأته من أبيها، فقال أبو بكر: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما نورث ما تركنا صدقه؛ فرأيتماه كاذبا آثما، غادرا، خائنا، والله يعلم: إنه لصادق بار، راشد، تابع للحق. ثم توفى أبو بكر، وأنا ولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و ولى أبى بكر، فرأيتمانى كاذبا، آثما، غادرا، خائنا، والله يعلم: إنى لصادق بار، راشد، تابع للحق، فوليتها، ثم جئتنى أنت و هذا، وانتما جميع، و أمركما واحد، فقلتما: ادفعها لينا.

فقلت: إن شئتم دفعتها إليكما على أن عليكما عهد الله: أن تعملا فيها بالذى كان يعمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأخذتماها بذلك.

قال: أكذلك!؟

قالا: نعم.

قال: ثم جئتمانى لأفضى بينكما؛ فوالله، لا أفضى بينكما بغير ذلك، حتى تقوم الساعة؛ فان عجزتما عنها؛ فرداها إلى (١) ٢٠٩.

١- صحيح مسلم ج ٥ ص ١٥١-١٥٣ و شرح النهج للمعتزلى الحنفى ج ١٦ ص ٢٢١-٢٢٣ و راجع ص ٢٢٩ و راجع: جامع البيان ج ٢٨ ص ٢٦ و ٢٧ و تاريخ المدينة ج ١ ص ٢٠٢-٢٠٤ و راجع ص ٢٠٥ و ٢٠٦ و ص ٢٠٨ و ٢٠٩ و الصواعق المحرقة ص ٣٥ و ٣٦ و صحيح البخارى ج ٣ ص ١١ و راجع ج ٢ ص ١٢١ و وفاء الوفاء ج ٣ ص ٩٩٦-٩٩٨ و المصنف للصنعانى ج ٥ ص ٤٦٩-٤٧١ و سنن أبى داود ج ٣ ص ١٣٩ و ١٤٠. و راجع ص ١٤٤ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٢٠٣ و ج ٥ ص ٢٨٧ و ٢٨٨ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ٣٨٦ و عمدته القارىء ج ١٤ ص ١٨٥ و مسند أبى عوانه ج ٤ ص ١٣٦-١٤٠ و ١٣٢ و ١٣٤ و الجامع الصحيح للترمذى ج ٤ ص ١٥٨. و الأموال ص ١٧ و ١٨ و تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٣٥ و ٣٣٦ و لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٦ و ٢٤٧ و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ١١ و سنن النسائى ج ٧ ص ١٣٦ و مسند أحمد و ج ١ ص ٢٠٨ و ٢٠٩ و ٦٠ و أشار إلى ذلك فى الصفحات التاليه: ٢٥ و ٤٨ و ٤٩ و ١٦٢ و ١٦٤ و ١٧٩ و ١٩١ و كثر العمال ج ٧ ص ١٦٧ و ١٦٨ عن بعض من تقدم و عن: البيهقى و عبد بن حميد، و ابن حبان، و ابن مردويه و الدر المنثور ج ٦ ص ١٩٣ عن تقدم و راجع: تلخيص

الشافى ج ٣ ص ١٣٨ و التراتيب الإداريه ج ١ ص ٤٠٢.

نص الروايه: ص : ٢٢٣

انت بيد الحسين، ثم على بن الحسين، ثم الحسن بن الحسن، ثم زيد بن الحسن زاد فى نص آخر:

ثم عبد الله بن الحسن بن الحسن (١).

قال الزهرى: حدثنى مالك بن أوس بن الحدثان بنحوه، قال:

فذكرت ذلك لعروه، فقال: ٢.

١- راجع: شرح النهج للمعتزلى ج ١٦ ص ٢٢٩ و الطرائف ص ٢٨٣ و المصنف للصنعانى ج ٥ ص ٤٧١ و راجع: صحيح مسلم ج ٥ ص ١٥٥ و وفاء الوفاء ج ٣ ص ٩٩٨ و الصواعق المحرقة ص ٣٦ و صحيح البخارى ج ٣ ص ١١ و تاريخ المدينة ج ١ ص ٢٠٢ و ٢٠٥ و راجع ص ٢٠٧ و راجع: البدايه و النهايه ج ٤ ص ٢٠٣ و ٢٠٤ و ج ٥ ص ٢٨٨ و فتح البارى ج ٦ ص ١٤٥ و التراتيب الإداريه ج ١ ص ٤٠٢.

صدق مالك بن أوس، أنا سمعت عائشه تقول:

أرسل أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم عثمان بن عفان إلى أبي بكر، يسأل لهنّ ميراثهن من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما أفاء الله عليه، حتى كنت أردهن عن ذلك، فقلت:

ألا تتقين الله، ألم تعلمن: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول:

(لا نورث ما تركناه صدقه- يريد بذلك نفسه- إنما يأكل آل محمد من هذا المال).

فانتهى أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى ما أمرتهن به (١).

قال ابن كثير: (ثم إن عليا و العباس استمرا على ما كانا عليه، ينظران فيها جميعا إلى زمان عثمان بن عفان؛ فغلبه عليها علي، و تركها له العباس؛ بإشاره ابنه عبد الله (رض) بين يدي عثمان- كما رواه أحمد في مسنده- فاستمرت في أيدي العلويين) (٢).

و نقول:

إننا و إن كنا لا نستبعد أن يكون علي (عليه السلام) و العباس ٨.

١- شرح النهج للمعتزلى ج ١٦ ص ٢٢٣ و صحيح البخارى ج ٣ ص ١٢ و أنساب الأشراف ج ١ (قسم حياه النبي صلى الله عليه وآله وسلم) ص ٥٢٠ و راجع: صحيح مسلم ج ٥ ص ١٥٣ لكن فيه: أنهنّ أردن أن يبعثن عثمان إلى أبي بكر، فيسألنه ميراثهن الخ. و مسند أبي عوانه ج ٤ ص ١٤٥ و راجع ص ١٤٣ و طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٣١٥ و تاريخ المدينة ج ١ ص ٢٠٥ و ٢٠١ و ٢٠٧ و المصنف لعبد الرزاق ج ٥ ص ٤٧١ و ٤٧٢ و الصواعق المحرقة ص ٣٦ و راجع: تلخيص الشافى ج ٣ ص ١٥٠ و الموطأ مطبوع بهامش تنوير الحوالك ج ٣ ص ١٥٤ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٢٠٣ و ج ٥ ص ٢٨٨ و فتوح البلدان ج ٤ ص ٣٤ و معجم البلدان ج ٤ ص ٢٣٩ و الإيضاح لابن شاذان ص ٢٥٧-٢٦٢ و راجع هوامشه.

٢- السيره النبويه ج ٤ ص ٥٧٣ و البدايه و النهايه ج ٥ ص ٢٨٨.

(رحمه الله) قد طالبا عمر بن الخطاب بأراضى بنى النضير، و لكننا نرى:

أن حكاية هذه القضية بالشكل الآنف الذكر، لا ريب في كونها مكذوبه و مصنوعه، بهدف تبرئه ساحه الهيئه الحاكمه فيما أقدمت عليه من مصادره أموال رسول الله (صلى الله عليه و آله) فور وفاته، و حرمان إبنته من إرثه.

و لكن مخترعها، أو فقل الذى حرفها، و صاغها بهذا الشكل لم يكن ذكيا بالقدر الكافى، و لا له معرفه تؤهله للإحتراس من المؤخذات الظاهره و الواضحه؛ تاريخه كانت، أو تفسيره، أو شرعيه، أو غيرها كما سنرى.

و الأبدع من ذلك!!: أننا نجد الروايه قد ذكرت في كتب الصحاح، التى هى أصح الكتب- عند أصحابها- بعد القرآن .. فكيف خفى أمرها على مؤلفى هذه الكتب، و هم الأئمه الكبار و العارفون، و الضليعون فى فنهم، حسبما يصفهم به اتباعهم و محبهم، و الآخذون عنهم ..

و قبل أن نشير إلى نقاط الضعف التى فى هذه الروايه نذكر القارىء الكريم بأن ما سوف نذكره من نقاط- و إن كان أكثره قد خطر فى بالنا- و لكنه أيضا مما قد تتبه له الآخرون، و لذا فإننا سوف نشير إلى هؤلاء الذين سبقونا إلى ذلك، ناسبين الكلام إليهم، بل و معتمدين فى أحيان كثيره فى صياغه العبارة عليهم .. فنقول:

المؤاخذات التى لا محيص عنها:

إشاره

و بعد .. فإنه يرد على الروايه المتقدمه:

أولا:

إن روايه مسلم تذكر: أن العباس، قال لعمر: (اقض بينى و بين هذا الأثم الغادر الخائن). و هذا مما لا يتصور صدوره من العباس؛ إذ كيف ينسب هذه الأوصاف إلى من اعتبرته آيه المباهله نفس النبى الأمين، و لمن شهد الله سبحانه له بالطهاره.

و كيف يسبه، و قد علم أن من سبه سب الله و رسوله ..

فلا بد أن يكون هذا القول مكذوباً على العباس من المنافقين الذين يريدون سب الإمام الحق، على لسان غيرهم (١).

و نشير هنا إلى ما يلي:

أ: (استصوب المازرى صنيع من حذف هذه الالفاظ من هذا الحديث و قال: لعل بعض الرواه و هم فيها) (٢).

فالمازرى إذن يؤيد و يستصوب تحريف النصوص، و ذلك من أجل الحفاظ على ماء الوجه. أمام الحقائق التاريخيه الدامغه؛ فانهم حينما رأوا: أن كذبها صريح إلى درجه الفضيحه، و رأوا: أنها موجوده فى صحاحهم، و تلك فضيحه أخرى أدهى و أمر- نعم حينما رأوا ذلك- التجأوا إلى هذا الأسلوب الساقط و الرذل، ألا- و هو التحريف و الاسقاط، كما اعترف به المازرى و استصوبه ..

و هذا الأسلوب لا- يزال متبعاً عند خلف هؤلاء القوم، فنجد الوهابيين يحرفون كتب علمائهم، و غيرها، و كذلك غيرهم من أولئك الذين يخونون دينهم و أمتهم، بخيانتهم أماناتهم (٣).

ب: قال العسقلانى: إن المازرى قال: (أجود ما تحمل عليه: أن العباس قالها دلالة على على؛ لأنه كان عنده بمنزله الولد؛ فأراد ردعه عما يعتقد أنه مخطىء فيه. و أن هذه الأوصاف يتصف بها لو كان يفعل ما يفعله عن عمد. ك).

١- دلائل الصدق ج ٣ قسم ١ ص ٣٣.

٢- فتح البارى ج ٦ ص ١٤٣.

٣- راجع كتابنا: دراسات و بحوث فى التاريخ و الإسلام ج ١، البحث الأول، ففیه بعض النماذج من ذلك.

قال: و لا بد من هذا التأويل، لوقوع ذلك بمحضر الخليفة، و من ذكر معه، و لم يصدر منهم إنكار لذلك، مع ما علم من تشدهم في إنكار المنكر (١).

و نقول للمازري: مرحبا و أهلا بهذا الدلال الوقح و المشين! فهل كل من كان بمنزله الوالد يحق له أن يسب الناس، و يتهمهم بالغدر، و الخيانة، و الإثم؟!.

و أيضا .. فان روايه البخارى تقول: إنهما قد استبا (٢)، فهل سبّ على (عليه السلام) للعباس كان دلالة أيضا و هل كان على بمنزله الوالد بالنسبه للعباس؟!.

و هل كان هذا الدلال مما جرت عليه عادة العرب؟!.

و هل يصح الردع عن الخطأ بهذا الأسلوب الفاحش و البذيء؟!.

ثم إننا لم نعلم ما الذى فعله على (عليه السلام) بأرض بنى النضير حتى استحق الوصف بالغدر و الخيانة؟!، فهل فعل فيها غير ما كان رسول الله (صلى الله عليه و آله) يفعله؟!.

و لو أنه تعدى فى فعله، فهل يكون غادرا، و خائنا؟! و لمن يا ترى؟! و هل يمكن أن يظن على بالعباس: أنه يرتكب الخطأ الفاحش الذى هو على حد الخيانة و الغدر عن عمد و قصد؟!.

أسئله تنتظر الجواب عنها بصوره منصفه و مقنعه، و هيات.

و ثانيا:

قال العلامة المظفر: (إنه يصرح بأن عمر ناشد القوم و من جملتهمه.

١- فتح البارى ج ٦ ص ١٤٣.

٢- صحيح البخارى ج ٣ ص ١١ و غيره.

عثمان؛ فشهدوا بأن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: لا نورث.

و هو مناف لما رواه البخارى (١) عن عائشه، إنها قالت: أرسل أزواج النبي عثمان إلى أبى بكر، يسألنه ثمنهن مما أفاء الله على رسوله، فكنت أنا أردهن الحديث .. فإنه يقتضى أن يكون عثمان جاهلا بذلك، و إلا لامتنع أن يكون رسولا لهن، إلا أن يظن القوم فيه السوء).

و هذا أيضا قد أورده المعتزلى الحنفى (٢).

و قد حاول المعتزلى الاعتذار عن ذلك، فقال:

(اللهم إلا أن يكون عثمان و سعد، و عبد الرحمن، و الزبير، صدقوا عمر على سبيل التقليد لأبى بكر فيما رواه، و حسن الظن. و سموا ذلك علما لأنه قد يطلق على الظن إسم العلم).

ثم ذكر: أنه يجوز أن يكون عثمان فى مبدأ الأمر شاكا فى روايه أبى بكر، ثم يغلب على ظنه صدقه لامارات اقتضت تصديقه. و كل الناس يقع لهم مثل ذلك (٣).

و نقول:

أ: إن نفس المعتزلى يقول: إن أكثر الروايات: أنه لم يرو خبر (لا نورث) غير أبى بكر، ذكر ذلك أعظم المحدثين (٤) ..

فمن أين جاءت هذه الإمارات على الصدق. لا سيما مع تكذيب.

١- تقدمت مصادر الروايه عن قريب، فقد رواها البخارى و مسلم و عبد الرزاق و غيرهم، فراجع.

٢- دلائل الصدق ج ٣ قسم ١ ص ٣٢ و شرح نهج البلاغه ج ١٦ ص ٢٢٣.

٣- شرح نهج البلاغه للمعتزلى ج ٦ ص ٢٢٣ و ٣٢٤.

٤- سيأتى كلام المعتزلى هذا بعد أسطر.

فاطمه له، و هي المطهره بنص الكتاب العزيز، و كذلك مع إنكار على و العباس، و غيرهم من خيار الأصحاب و أكابرهم ..
 و لو كان لديهم أدنى احتمال بصدق الحديث- و لو بأن يحتملوا أن يكون (صلى الله عليه و آله) قد أسرَّ به إلى أبي بكر- لما
 بادروا إلى إنكاره، و استمروا على ذلك، حتى لقد توفيت الصديقه الزهراء (عليها السلام) مهاجره له لأجل ذلك.
 إن المعتزلى و غيره- و حاله هذه- حين يصدقون حديث لا نورث، فإنهم يكونون قد طعنوا بالقرآن الذى نزه الزهراء، و عليا، و
 أهل البيت عليهم صلوات ربي و سلامه ..

ب: إن ما ذكر، يبقى مجرد احتمال. و يبقى احتمال أن يكون قد جرى عمر، و شهد بما لا يعلم قائما و قويا، بعد أن كانت
 السلطه، التى كان عثمان أحد مؤيديها و معاضديها، تتجه نحو تثبيت دعوى أبي بكر، و زعزعه موقف آل رسول الله (صلى الله
 عليه و آله).

و ثالثاً:

قال العلامة الشيخ محمد حسن المظفر رحمه الله تعالى:

(لو كان الذين ناشدهم عمر عالمين بما رواه أبو بكر لما تفرد أبو بكر بروايته عند منازعته فاطمه (عليها السلام).

فهل تراهم ذكروا شهادتهم لعمر، و أخفوها عن أبي بكر، و هو إليها أحوج؟! (١).

و حول تفرد أبي بكر بروايه الحديث، قال ابن أبي الحديد المعتزلى الشافعى: ٣.

(.. إن أكثر الروايات: أنه لم يرو هذا الخبر إلا- أبو بكر وحده، ذكر ذلك أعظم المحدثين. حتى إن الفقهاء فى أصول الفقه أطبقوا على ذلك فى احتجاجهم فى الخبر بروايه الصحابى الواحد.

وقال شيخنا أبو على: لا تقبل فى الروايه إلا روايه اثنين كالشهاده.

فخالفه المتكلمون و الفقهاء كلهم، و احتجوا عليه بقبول الصحابه روايه أبى بكر وحده: نحن معاشر الأنبياء لا نورث الخ (..). (١).

ورابعاً:

قال العسقلانى- و ذكر ذلك غيره أيضا:- (و فى ذلك إشكال شديد، و هو: أن أصل القصة صريح فى أن العباس و عليا، قد علما: أنه (صلى الله عليه و آله) قال: لا نورث؛ فإن كانا سمعاه من النبى (صلى الله عليه و آله) فكيف يطلبانه من أبى بكر؟! (٢) و إن كان إنما سمعاه من أبى بكر، أو فى زمنه؛ بحيث أفادهما العلم بذلك، فكيف يطلبانه بعد ذلك من عمر؟! (٣).

وقال العينى: (.. هذه القصة مشكله؛ فانهما أخذاهما من عمر٤.

١- شرح نهج البلاغه ج ١٦ ص ٢٢٧ و راجع ص ٢٤٥.

٢- و قد طالب العباس و فاطمه أبا بكر بالميراث أيضا؛ فراجع فى ذلك: صحيح البخارى ج ٣ ص ١٢ و شرح النهج للمعتزلى ج ١٦ ص ٢٤ و راجع: الصواعق المحرقة ص ٣٧ و وفاء الوفاء ج ٣ ص ٩٩٦ و تاريخ المدينه ج ١ ص ١٩٧ و البدايه و النهايه ج ٥ ص ٢٨٥ و ج ٤ ص ٢٠٣ و المصنف للصنعانى ج ٥ ص ٤٧٢ و مسند أبى عوانه ج ٤ ص ١٤٥ و مسند أحمد ج ١ ص ١٠ و ٤ و تلخيص الشافى ج ٣ ص ١٣١ و ١٣٢ و نهج الحق ص ٣٦٠.

٣- فتح البارى ج ٦ ص ١٤٥ و راجع: دلائل الصدق ج ٣ قسم ١ ص ٣٣ و راجع: حاشيه السندى على صحيح البخارى، و هى مطبوعه بهامشه ج ٢ ص ١٢١ و راجع: شرح النهج للمعتزلى ج ١٦ ص ٢٢٤.

(رض) على الشريطه. و اعترفا بأنه (صلى الله عليه و آله قال: ما تركناه صدقه؛ فما الذى بدا لهما بعد ذلك حتى تخاصما؟! (١)).

و بعد أن ذكر العلامه المظفر (رحمه الله) تعالى. ما يقرب مما ذكره العسقلاني، و أن صريح أحاديث البخارى: أن العباس، و عليا (عليه السلام) قد طلبا الميراث من عمر، مع علمهما بأنه (صلى الله عليه و آله) قال: لا نورث .. قال:

(.. و هو من الكذب الفضيع؛ لمنافاته لدينهما و شأنهما، و كونه من طلب المستحيل عادة؛ لأن أبا بكر قد حسم أمره، و كان أكبر أعوانه عليه عمر، فكيف يطلبان منه الميراث!؟

و مع ذلك، فكيف دفع لهما عمر مال بنى النضير؛ ليعملا به عمله، و عمل رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم، و أبى بكر؟. و هما قد جاءاه يطلبان الميراث، مخالفين لعلمهما، غير مباليين بحكم الله و رسوله، حاشا هما؛ فيكون قدحا فى عمر (٢).

و احتمال: أن يظنا بأن عمر لسوف ينقض قضاء أبى بكر ..

قد دفعه المعتزلى بقوله: (و هذا بعيد؛ لأن عليا و العباس - فى هذه المسأله - يتهمان عمر بممالأه أبى بكر على ذلك، ألا تراه يقول:

نسبتمانى و نسبتما أبا بكر إلى الظلم و الخيانه؟.

فكيف يظنان: أنه ينقض قضاء أبى بكر، و يورثهما؟! (٣). ٠.

١- عمده القارىء ج ٢١ ص ١٧.

٢- دلائل الصدق ج ٣ قسم ١ ص ٣٣ و راجع: شرح النهج للمعتزلى ج ١٦ ص ٢٢٩ و ٣٣٠.

٣- شرح نهج البلاغه ج ١٦ ص ٢٣٠.

و أجابوا عن ذلك كله بجوابين:

الأول: (كأن المراد: تسألني التصرف فيما كان نصيبك، لو كان هناك إرث) (١).

و على حد تعبير ابن كثير: (.. كأن الذى سأله، بعد تفويض النظر إليهما- و الله أعلم-: هو أن يقسم بينهما النظر، فيجعل لكل واحد منهما نظر ما يستحقه بالأرض، لو قدر أنه كان وارثا .. إلى أن قال: و كان قد وقع بينهما خصومه شديده، بسبب إشاعه النظر بينهما.

إلى أن قال: فكأن عمر تخرج من قسمه النظر بينهما بما يشبه قسمه الميراث، و لو فى الصورة الظاهره، محافظه على امتثال قوله: لا نورث، ما تركناه صدقه)

زاد العيني قوله: (فمنعهما عمر القسم؛ لئلا يجرى عليها اسم الملك؛ لأن القسم يقع فى الأملاك، و يتناول الزمان؛ فيظن به الملكيه) (٢).

أما الهيثمى؛ فقد ذهب إلى أبعد من ذلك، حين قال: (إستباب على و العباس صريح فى أنهما متفقان على أنها غير إرث، و إلا .. لكان للعباس سهم، و لعلى سهم زوجته. و لم يكن للخصام بينهما وجه؛ فخصامهما إنما هو لأجل كونها صدقه، و كل منهما يريد أن يتولاها؛ فأصلح بينهما عمر (رض)، و أعطاه لهما إلخ) (٣).٧.

١- حاشيه السندى على صحيح البخارى، مطبوعه بهامشه ج ٢ ص ١٢١.

٢- راجع: البدايه و النهايه ج ٥ ص ٢٨٨ و عمدته القارىء ج ٢١ ص ١٧ و راجع فتح البارى ج ٦ ص ١٤٥. عن إسماعيل القاضى، و عن أبى داود فى السنن، قال العسقلانى: و به جزم ابن الجوزى، و الشيخ محبى الدين، و تعجب العسقلانى من جزمهما هذا، فراجع.

٣- الصواعق المحرقة ص ٣٧.

و قال إسماعيل القاضي: إنما تنازعا- يعنى عند عمر- فى ولاية الصدقه، و فى صرفها كيف تصرف (١).

الثانى: ما أجاب به العسقلانى بقوله: (إن كلاً من على و فاطمه و العباس اعتقد: أن عموم قوله لا نورث، مخصوص ببعض ما يخلفه دون بعض، و لذلك نسب عمر إلى على و العباس: أنهما كانا يعتقدان ظلم من خالفهما فى ذلك) (٢).

و نقول:

إن ذلك لا يصح، أما بالنسبه لما عدا الجواب الأخير، فلما يلى:

أ: إننا نقول: لو صح ما ذكره لكان عمر اقتصر على ذكر هذا المعنى و لم يكن بحاجة إلى المناشده المذكوره، و الاستدلال على عدم كونها إرثاً بحديث لا نورث.

ب: قال العسقلانى: (لكن فى روايه النسائى، و عمر بن شبه (٣)، من طريق أبى البختري، ما يدل على أنهما أرادا أن يقسم بينهما على سبيل الميراث، و لفظه فى آخره: ثم جئتماني الآن تختصمان يقول هذا:

أريد نصيبى من ابن أختى، و يقول هذا أريد نصيبى من امرأتى، و الله، لا أقضى بينكما إلا بذلك، أى إلا بما تقدم من تسليمها لهما على سبيل الولاية. و كذا وقع عند النسائى من طريق عكرمه بن خالد، عن مالك بن أوس نحوه).

ثم ذكر دعوى أبى داود: أنهما أرادا من عمر أن يقسمها بينهما.

١- فتح البارى ج ٦ ص ١٤٥.

٢- المصدر السابق.

٣- سنن النسائى ج ٧ ص ١٣٦ و تاريخ المدينه ج ١ ص ٢٠٤ و شرح النهج ج ١٦ ص ٢٢٢ و راجع سائر المصادر التى تقدمت للروايه فى أوائل هذا الفصل.

للانفراد بالنظر فيما يتوليان، و أن أكثر الشراح اقتصروا عليه و استحسوه ثم تنظر فيه بما تقدم.

ثم إنه بعد ذلك تعجب من ابن الجوزى و من الشيخ محيي الدين، لجزمهما بأن عليا و العباس لم يطلبوا إلا قسمه النظر و الولايه .. مع أن السياق صريح فى أنهما جاءاه مرتين فى طلب شىء واحد، ثم اعتذر بأنهما شرحا اللفظ الوارد فى البخارى (١).

ج: إن العم لا يرث مع وجود البنت لبطلان التعصيب، كما سيأتى.

د: قول ابن كثير: إنه كان قد وقع بين علي و العباس خصومه شديده، بسبب إشاعه النظر بينهما محض رجم بالغيب، إذ ليس فى الروايه ما يدل على أن سبب الخصومه هو ذلك، و لا حدثنا التاريخ بشىء عن السبب المذكور. بل الأمر على العكس كما تقدم عن العسقلانى.

ه: لم نفهم معنى لهذا التخرج المدعى من قبل عمر، فإنه إذا كان الأنبياء لا يورثون، فإن قسمه النظر بينهما لا تخالف حديث لا نورث- إن صح- لا فى الظاهر و لا فى الباطن، و إذا كان حديث لا نورث باطلا، و كانوا يورثون، فمخالفة الحديث لا ضير فيها و لا حرج.

و: لم نفهم لماذا لا- تصح القسمه إلا- فى الأملاك- كما ذكره العيني- و كيف غفل على و العباس عن ذلك، و كيف لم يقل لهما عمر، و لا أحد ممن حضر الخصومه: إن القسمه لا تقع فى الأملاك؟!.

ز: لم نفهم كيف أصبح استتباب على و العباس دليلا على كون أرض بنى النضير ليست إرثا، أليس الأثر يحتاج إلى القسمه، و قد يقع الخلاف فى هذا القسم أو ذاك؟!، فلعل أحدهما يريد هذه القطعه، و ذاك ٥.

يريدها أيضا، فيقع الخصام، و يحتاج إلى الفصل بينهما، وإراحه كل منهما من الآخر.

و أما بالنسبة لجواب العسقلاني، فإننا نقول:

أ: قد صرح المعتزلي الشافعي بأن خبر أبي بكر يمنع من الإرث مطلقا، قليلا كان أو كثيرا، و لا سيما مع إضافه كلمه: (ما تركناه صدقه).

و أضاف: (فإن قال قائل: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهبا، و لا فضه، و لا أرضا، و لا عقارا، و لا دارا ..

قيل: هذا الكلام يفهم من مضمونه: أنهم لا يورثون شيئا أصلا، لأن عادة العرب جاريه بمثل ذلك. و ليس يقصدون نفي ميراث هذه الأجناس المعدوده دون غيرها، بل يجعلون ذلك كالتصريح بنفي أن يورثوا شيئا ما على الإطلاق) (١).

و إن كان لنا تحفظ على إضافته المذكوره، فإن ظاهر قوله: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهبا و لا فضه إلخ .. أنهم ما جاؤا لأجل جمع حطام الدنيا لأنفسهم، و ليورثوه أبناءهم، و إنما هم زهاد تاركون للدنيا، و لا يجمعون ذهبا و لا فضه ليقع في ميراثهم لمن بعدهم.

ب: قول العسقلاني: إن اعتقاد على و العباس ظلم من خالفهما يدل على اعتقادهما باختصاص حديث لا نورث ببعض الأموال دون بعض ..

لا يصح، إذ كما يمكن أن يكون ذلك لأجل اعتقادهما بما ذكر، كذلك يمكن أن يكون لأجل اعتقادهما بعدم صحه أصل الحديث، و أنه مجعول و مختلق.٤.

و هذا الثانى هو الصحيح؛ لإنكار على (عليه السلام)، و فاطمه (عليها السلام)، و العباس (رحمه الله) هذا الحديث من الأساس، و مطالبتهم بتركه رسول الله (صلى الله عليه و آله)، كما هو ظاهر لا يخفى.

خامسا:

إن العم لا يرث مع وجود البنت، كما هو الحق الذى لا محيص عنه. و إنما ترث البنت الواحده نصف التركة بالفرض، و النصف الباقي بالرد عليها، و التعصيب يعنى توريث العصبه النصف - كالعم - مع البنت، باطل و لا يصح، و قد استدل العلماء على بطلانه بما لا مزيد عليه؛ فليراجع فى مظانه (١).

و يبدو: أن توريث العم - مع البنت الذى هو من التعصيب الباطل - قد نشأ عن إرادته تقويه موقف أبى بكر، و إضعاف موقف فاطمه و على (عليهما الصلاه و السلام) ..

سؤال .. و جوابه:

و يرد هنا سؤال، و هو: أنه إذا كان العباس لا يرث؛ فلما ذا شارك فى المطالبه بإرث النبى (صلى الله عليه و آله) من أبى بكر، ثم من عمر؟!.

و أجاب السيد ابن طاووس بأن هذه المطالبه، بل و حتى إظهار الخصومه مع على فى ذلك عند عمر، قد كان لأجل مساعده على و فاطمه (عليهما السلام)، و قطع حجه أبى بكر، و إقامة الحجه على عمر فى ذلك، ثم ذكر ابن طاووس هنا قصه الجاربه التى قالت للرشيد العباسى: ث.

١- راجع: جواهر الكلام ج ٣٩ ص ٩٩-١٠٥، و تلخيص الشافى ج ١ هامش ص ٢٥٤-٢٥٩ و نهج الحق ص ٥١٥ و اللمعه الدمشقيه ج ٨ ص ٧٩ و ٨٠ و الحدائق الناضره - كتاب الموارث - ص ٤٩-٥٥ و أى كتاب فقهي للشيعه الإماميه تعرض فيه لمسائل الإرث.

إن عليا و العباس كانا فى هذه القضية كالمالكين، الذين تحاكما إلى داود فى الغنم، حيث أرادا تعريفه وجه الحكم؛ فكذلك أراد علي و العباس تعريف أبي بكر و عمر: أنهما ظالمان لهما بمنع ميراث نبيهما (١).

و قد يجاب عن ذلك بأن العباس كان يظن فى ظاهر الحال أنه يرث النبى صلى الله عليه و آله وسلم لعمومته له، و كان علي (عليه السلام) يرفض ذلك، على اعتبار أن العم لا يرث، فترافعا إلى عمر علي هذا النحو ليقىما الحجج عليه.

سادسا:

قال الشيخ المظفر (رحمه الله): (إن أمير المؤمنين لو سمع ذلك؛ أى حديث: لا نورث الخ ..؛ فلم ترك بضعه الرسول أن تطالب بما لا حق لها فيه؟! أأخفى ذلك عنها راضيا بأن تغصب مال المسلمين؟! أو أعلمها فلم تبال؟! وعدت علي ما ليس لها فيه حق! فيكون الكتاب كاذبا، أو غالطا بشهادته لهما بالطهاره، فلا مندوحة لمن صدق الله، و كتابه، و رسوله (صلى الله عليه و آله) أن يقول بكذب هذه الأحاديث) (٢).

و قال المعتزلى: (.. و هل يجوز أن يقال: إن عليا كان يعلم ذلك، و يمكن زوجته أن تطلب مالا تستحقه؟! خرجت من دارها، و نازعت أبا بكر، و كلمته بما كلمته إلا بقوله، و إذنه و رأيه!) (٣).

سابعا:

قال المظفر و المعتزلى: (إن أمير المؤمنين و العباس، لو كانا سمعا٤.

١- راجع: الطرائف ص ٢٨٣ - ٢٨٥.

٢- دلائل الصدق ج ٣ قسم ١ ص ٣٣.

٣- شرح النهج ج ١٦ ص ٢٢٤.

من النبي ما رواه أبو بكر، حتى أقوا به لعمر؛ فكيف يقول لهما عمر:

- كما في حديث مسلم-: رأيتما أبا بكر كاذبا، آثما، غادرا، خائنا.

و رأيتما آثما، غادرا، خائنا (١).

ثامنا:

قال العلامة الحلبي ما حاصله: إن عمر بن الخطاب قد أخبر: أن عليا و العباس يعتقدان فيه و في أبي بكر بأنهما: كاذبان آثمان غادران خائنان، فإن كان ذلك حقا، فهما لا يصلحان للخلافه، و إن كان كذبا، لزمه تطرق الذم إلى علي و العباس، لاعتقادهما في أبي بكر، و عمر ما ليس فيهما؛ فكيف استصلحوا عليا للخلافه. مع أن الله قد نزهه عن الكذب و الزور و طهره ..

و إن كان عمر قد نسب إلى العباس و علي شيئا لا يعلمانه، لزمه تطرق الذم إلى عمر نفسه، لأنه يفترى عليهما، و ينسب إليهما ما لا يعتقدانه ..

مع أن البخاري و مسلما ذكرا في صحيحهما: أن قول عمر هذا لعلي و العباس، قد كان بمحضر مالك بن أوس، و عثمان و عبد الرحمن بن عوف، و الزبير و سعد. و لم يعتذر أمير المؤمنين عن هذا الاعتقاد الذي نسب إليهما، و لا أحد من الحاضرين اعتذر لأبي بكر و عمر (٢).

و أجاب البعض عن ذلك: بأنه قد جاء على لسان عمر على سبيل الفرض و التقدير، و الزعم؛ فإن الحاكم إذا حكم بخلاف ما يرضى الخصم، يقول له: تحسبني ظالما و لست كذلك، و لذلك لم يعتذر علي ٥.

١- دلائل الصدق ج ٣ قسم ١ ص ٣٣ و شرح النهج للمعتزلي الشافعي ج ١٦ ص ٢٢٦.

٢- نهج الحق ص ٣٦٥ و ٣٦٦ و راجع دلائل الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ١٢٤ و ١٢٥.

و لا العباس و لا غير هما ممن حضر (١).

ورد عليه العلامة المظفر (رحمه الله)، بأن هذا مضحك، إذ كيف لا يكون على سبيل الحقيقة، و هما إنما يتنازعان عند عمر في ميراث النبي (صلى الله عليه و آله) بعد سبق روايه أبي بكر و حكمه، فإن هذا النزاع بينهما لا يتم إلا بتكذيبهما لأبي بكر في حديثه، و حكمهما عليه بأنه آثم غادر خائن على وجه يعلمان: أن عمر عالم بكذب حديث أبي بكر، و أن موافقته له في السابق كان لسياسه دعتة إلى الموافقه، و لو لم يكونا عالمين بأن عمر عالم بكذب حديث أبي بكر، لم يصح ترافعهما إلى عمر من جديد (٢).

تاسعا:

إن من المعلوم: أن الحكام بعد رسول الله (صلى الله عليه و آله) قد دفعوا الحجر إلى زوجاته (صلى الله عليه و آله) (٣). كما أن خلفاء بنى العباس قد تداولوا البرده و القضيبي (٤) و قد قال ابن المعتز مخاطبا العلويين:

و نحن ورثنا ثياب النبي فلم تجذبون بأهدابها

لكم رحم يا بنى بنته و لكن بنو العم أولى بها (٥) ٢.

١- دلائل الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ١٢٦.

٢- دلائل الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ١٢٨ و ١٢٩.

٣- راجع: تلخيص الشافى ج ٣ ص ١٢٩ و ١٣٠ و دلائل الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ١٢٩ و نهج الحق ص ٣٦٦.

٤- تلخيص الشافى ج ٣ ص ١٤٧ و ١٤٨.

٥- ديوان ابن المعتز ص ٢٩ و راجع: تلخيص الشافى ج ٣ ص ١٤٨ هامش و الغدير ج ٦ ص ٥٢.

فأجابه الصنفى الحلبي بقوله:

و قلت ورثنا ثياب النبي فكم تجذبون بأهدابها

و عندك لا يورث الأنبياء فكيف حظيتم بأثوابها (١) و قال الشريف الرضى (رحمه الله):

ردوا تراث محمد ردّوا ليس القضيبي لكم و لا البرد (٢) كما أنهم دفعوا آله و بغلته و حذاءه و خاتمه و قضيبه إلى علي (عليه الصلاة و السلام) (٣).

و عليه فيرد ما أورده المعتزلي الشافعي هنا حيث قال:

(إذا كان (صلى الله عليه و آله) لا- يورث؛ فقد أشكل دفع آله و دابته، و حذائه إلى علي (عليه السلام)؛ لأنه غير وارث في الأصل.

و إن كان إعطاؤه ذلك لأن زوجته بعرضه أن ترث لو لا الخبر، فهو أيضا غير جائز؛ لأن الخبر قد منع أن يرث منه شيئا، قليلا كان أو كثيرا).

ثم ذكر ما تقدم عنه آنفا حين الجواب على ما ذكره العسقلاني، الذي ادعى: أن عليا (عليه السلام) و العباس توهما: أن (لا نورث) ليست عامه).

ثم قال: (.. فإنه جاء في خبر الدابة و الآله، و الحذاء: أنه روى عن النبي (صلى الله عليه و آله): (لا نورث، ما تركناه صدقه) و لم يقل: ه.

١- راجع: ديوان الصنفى الحلبي و راجع تلخيص الشافى ج ٣ ص ١٤٨ هامش و الغدير ج ٦ ص ٥٣.

٢- ديوان الشريف الرضى ج ١ ص ٤٠٧ و تلخيص الشافى ج ٣ ص ١٤٨ هامش.

٣- راجع: مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ١ ص ٢٦٢ و راجع: شرح النهج للمعتزلي ج ١٦ ص ٢٢٤ و ٢١٤ و تلخيص الشافى ج ٣ ص ١٤٧ و فى هامشه أيضا عن: الرياض النضرة.

(لا نورث كذا وكذا) وذلك يقضى عموم انتفاء الأثر عن كل شىء (١).

عاشرا:

لقد قال أحمد بن حنبل: حدثنا عبد الله بن محمد بن أبي شيبه حدثنا محمد بن فضيل، عن الوليد بن جميع، عن أبي الطفيل قال: لما قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) أرسلت فاطمه إلى أبي بكر: أنت ورثت رسول الله أم أهله؟!.

فقال: لا بل أهله.

فقلت: فأين سهم رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟!.

فقال أبو بكر: إنى سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول:

(إن الله إذا أطعم نبيا طعمه، ثم قبضه جعله للذى يقوم من بعده).

فأيت أن أردده على المسلمين.

قلت: فأنت و ما سمعت عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) (٢).

فلاحظ: أن الخليفة يعترف بأن أهل النبي (صلى الله عليه وآله) يرثونه. وذلك يكذب دعوى: أن الأنبياء لا يرثون (٣). و لكنه عاد فادعى أنه يعود إليه لأنه قام بعد الرسول.

و لعل قول فاطمه أخيرا: فأنت و ما سمعت من رسول الله، ظاهر فى أنها تشك فى صحه الحديث، و أرجعت الأمر إلى الله سبحانه ليحكم فى ٩.

١- شرح النهج للمعتزلى ج ١٦ ص ٢٢٤.

٢- مسند أحمد ج ١ ص ٤ و البدايه و النهايه ج ٥ ص ٢٨٩ و شرح النهج للمعتزلى ج ١٦ ص ٢١٨ و ٢١٩ و دلائل الصدق ج ٣ قسم ١ ص ٤٤ عن كنز العمال ج ٣ ص ١٣٠ عن أحمد و ابن جرير، و البيهقى و غيرهم و راجع: سنن أبى داود ج ٣ ص ١٤٤.

٣- شرح النهج للمعتزلى ج ١٦ ص ٢١٩.

هذا الأمر ..

و لنا أن نحتمل: أن السلطه قد سارت فى موضوع إرث النبى (صلى الله عليه و آله) بخطوات تراتبيه تصعيديه، و ربما تكون هذه القضيه للزهاء (عليها السلام) مع أبى بكر من الخطوات فى هذا الإتجاه، ثم تلاها غيرها إلى أن انتهوا إلى إنكار إرثها (عليها السلام) من الأساس.

حادى عشر:

قد اعترض ابن طاووس على دعوى: أن عليا قد غلب العباس على أرض بنى النضير، و قال: إن ذلك غير صحيح.

(لاستمرار يد على (عليه السلام) و ولده على صدقات نبيهم، و ترك منازعه بنى العباس لهم، مع أن العباس ما كان ضعيفا عن منازعه على، و لا كان أولاد العباس ضعفاء عن المنازعه لأولاد على فى الصدقات المذكوره).

ثم ذكر (رحمه الله) روايتين عن قثم و عن عبد الله إبنى عباس، يقرران فيها: أن الحق فى إرث رسول الله (صلى الله عليه و آله) لعلى (عليه السلام) (١).

و يجب أن لا ننسى مدى حرص الحكام على كسر شوكة على (عليه السلام)، و إبطال قوله و قول أهل بيته، سواء فى ذلك أولئك الذين استولوا على تركه النبى (صلى الله عليه و آله)، أو الذين أتوا بعدهم من الأمويين أو العباسيين.

ثانى عشر:

قال العلامة: (كيف يجوز لأبى بكر أن يقول: أنا ولى رسول الله، و كذا لعمر، مع أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) مات، و قد جعلهما من ٥).

جملة رعايا أسامه بن زيد (١).

و أجاب البعض: أن المراد بالولي: من تولى الخلافة، فإنه يصبح المتصرف في أمور رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعده، و تأمير أسامه عليهما لا يجعلهما من رعاياه، بل هم جميعا من رعايا النبي (صلى الله عليه وآله) (٢).

و هو جواب لا يصح، فقد قال الشيخ محمد حسن المظفر (رحمه الله)، ما حاصله:

إن الولي للشخص هو المتصرف في أموره؛ لسلطانه عليه و لو في الجملة، كالمتصرف في أمور الطفل و الغائب، و لا يصدق على الوكيل أنه ولي، مع أنه متصرف في أموره، فلا- أقل من أن ذلك إساءة أدب معه (صلى الله عليه وآله) لم يستصلحهما حين وفاته إلا أن يكونا في جملة رعايا أسامه، فكيف صلحا بعده للإمامه على الناس عامه و منهم أسامه.

على أن إضافه الولي إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، من دون اعتبار السلطنة في معنى الولي تقتضى ظاهرا: أن تكون الولاية مجعولة من النبي (صلى الله عليه وآله)، لأنها من إضافه الصفه إلى الفاعل، لا إلى المفعول، و ذلك باطل بالإتفاق. و إنكار إطلاق الرعيه على مثل تأمير أسامه في غير محله (٣).

ثالث عشر:

قال العلامة الحلبي ما حاصله: كيف استجاز عمر أن يعبر عن النبي ٦.

١- نهج الحق ص ٣٦٤ و راجع: دلائل الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ١٢٤.

٢- هذا كلام ابن روزبهان في كتابه المسمى: (إبطال نهج الباطل) فراجع دلائل الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ١٢٥.

٣- دلائل الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ١٢٦.

(صلى الله عليه وآله) للعباس: تطلب ميراثك من ابن أخيك، مع أن الله تعالى يخاطبه بصفاته، مثل يا أيها الرسول، يا أيها النبي، و لم يذكره باسمه إلا في أربعة مواضع شهد له فيها بالرساله لضروره تخصيصه و تعيينه ..

و قد قال الله تعالى: لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا (١).

ثم عبر عمر عن ابنته مع عظم شأنها و شرف منزلتها بقوله: يطلب ميراث إمراة (٢).

أضف إلى ذلك: أنه عبر عن أمير المؤمنين (عليه السلام) بإسم الإشاره، فقال: (هذا).

و أجاب البعض:

بأنه (إنما عبّر بذلك لبيان قسمه الميراث كيف يقسم أن لو كان هناك ميراث، لا أنه أراد الغض منهما بهذا الكلام) (٣).

و قال آخر: هذا القول من عمر قد جاء على طريق محاورات العرب، و هو يتضمن ذكر عله طلب الميراث، و هو كونه ابن أخيه، و ليس فيه إساءه أدب، و عمر لم يذكر النبي باسمه ..

و بالنسبه للزهراء، فإن الأولى ترك ذكر النساء باسمائهن في محضر ٥.

١- النور: ٦٣.

٢- نهج الحق ص ٣٦٥ و راجع: دلائل الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ١٢٤ و راجع: ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٦١١ و سير أعلام النبلاء ج ٩ ص ٥٧٢ و فى هامشه عن الضعفاء للعقيلي ص ٢٦٥ و ٢٦٦.

٣- فتح البارى ج ٦ ص ١٤٤ و ١٤٥.

الرجال، فهو متأدب في ترك ذكر اسمها، لا مسمى ء للأدب بذلك (١).

ولكنها أجوبه لا تصح، فقد قال العلامة المظفر (رحمه الله) تعالى، ما حاصله: إن محاورات العرب إذا اقتضت التوهين برسول الله (صلى الله عليه وآله)، فلا بد من تركها، فإنه لا يصح ترك أدب القرآن، والعمل بأداب الأعراب، وأهل الجاهلية ..

و بالنسبه إلى عله الميراث، فإنه لا- حاجه إلى ذكرها، و ترك الأدب مع الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم). فهل لم يكن على (عليه السلام) و العباس (ره) أو أحد من الحضور يعلم هذه العله؟!.

هذا .. بالإضافة إلى أنه كان يمكنه ذكر عله الميراث، و مراعاة الأدب معه (صلى الله عليه وآله) في آن واحد.

و بالنسبه إلى أن عمر لم يذكر النبي (صلى الله عليه وآله) باسمه الشريف، فإن المقصود: أن تكريمه (صلى الله عليه وآله) مطلوب، و ليس في عبارته ذلك، و قد قال تعالى: لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا.

كما أن تعبيره ب (إمرأته) ليس فيه عله الميراث التي هي بنوتها لرسول الله (صلى الله عليه وآله). و قد كان يمكنه إحترام الزهراء بذكر بعض ألقابها. و عدم ذكر النساء بأسمائهن لا يحل المشكله، فقد كان يمكنه تجنب إسمها (عليها السلام)، و ذكرها ببعض ألقابها المادحة لها (٢).

الإنتصار لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أم لعمر الفاروق:

١- هذا كلام الفضل بن روزبهان، راجع: دلائل الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ١٢٥.

٢- دلائل الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ١٢٧.

قال العقيلي: (سمعت علي بن عبد الله بن المبارك الصنعاني يقول: كان زيد بن المبارك لزم عبد الرزاق، فأكثر عنه، ثم خرق كتبه، و لزم محمد بن ثور؛ ف قيل له في ذلك، فقال:

كنا عند عبد الرزاق، فحدثنا بحديث معمر، عن الزهري، عن مالك بن أوس بن الحدثان الحديث الطويل؛ فلما قرأ قول عمر لعلي و العباس: (فجئت أنت تطلب ميراثك من ابن أخيك، و جاء هذا يطلب ميراث إمراة من أبيها).

قال عبد الرزاق: أنظروا إلى الأنوك يقول: تطلب أنت ميراثك من ابن أخيك، و يطلب هذا ميراث إمراة من أبيها ألا يقول: رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم!؟.

قال زيد بن المبارك؛ فقلت، فلم اعد إليه، و لا أروى عنه.

قال الذهبي: (لا اعتراض على الفاروق (رض) فيها، فإنه تكلم بلسان قسمه التركات) (١).

و قال: (إن عمر إنما كان في مقام تبين العمومه و البنوه، و إلا ..

فعمر (رض) أعلم بحق المصطفى و بتوقيره (صلى الله عليه و آله) و تعظيمه من كل متحذلق متنطع. بل الصواب ان نقول عنك: أنظروا إلى هذا الأنوك الفاعل - عفا الله عنه - كيف يقول عن عمر هذا، و لا يقول: قال أمير المؤمنين الفاروق!؟ (٢).

و نقول: ٢.

١- راجع: الضعفاء الكبير ج ٣ ص ١١٠ و ميزان الإعتدال ج ٢ ص ٦١١ و سير أعلام النبلاء ج ٩ ص ٥٧٢ و في هامشه عن

الضعفاء للعقيلي ص ٢٦٥ و ٢٦٦ و دلائل الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ١٢٧.

٢- سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٥٧٢.

- ١- إن بيان العمومه و البنوه ليس ضروريا هنا، و ذلك لوضوحه لكل أحد ..
- ٢- إن بيانهما و التكلم بلسان قسمه التركات لا يمنع من الإتيان بعبارته تفيد توكير رسول الله (صلى الله عليه و آله) و احترامه.
- ٣- إن التكلم بلسان قسمه التركات فى غير محله، لأن العباس لا يرث؛ لبطلان التعصيب ..
- ٤- إذا صح: أن النبى (صلى الله عليه و آله) لا يورث، فلا حاجة إلى التحدث بلسان قسمه التركات، لا سيما و أن المطلوب- حسب ما يدعون- هو قسمه النظر، كما تقدم. و تقدم بطلانه ..
- ٥- إن زيد بن المبارك لا يعود إلى عبد الرزاق، لأنه رآه ينتصر لرسول الله (صلى الله عليه و آله)، و ينتقد عمر على عدم توكيره للنبي (صلى الله عليه و آله). و هذا من ابن المبارك عجيب!! و عجيب جدا!!.
- ٦- إن الذهبى، و غيره يغضبون لعمر، و يشتمون عبد الرزاق لتوهينه عمر، و لا يغضبون لرسول الله (صلى الله عليه و آله)، و لا يقبلون حتى بانتقاد من يتصدى لإهانتة (صلى الله عليه و آله و سلم) ..
- ٧- إنهم يطلبون من عبد الرزاق أن يذكر عمر بألقابه، و لا يطلبون من عمر أن يذكر النبى بألقابه التى شرفه الله تعالى بها ..
فإننا لله و إنا إليه راجعون، و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم ..

يحبسهم الجاهل أغنياء:

و بعد .. فإن إلقاء نظره فاحصه على حياه فاطمه الزهراء (عليها السلام)، تعطينا: أنها (صلوات الله و سلامه عليها)، لم تتغير حياتها- بعد فتح بنى النضير و خيبر، و ملكها فدكا و غيرها- عما كانت عليه قبل

ذلك، رغم غلتها الكثيره و الوافره، فهى لم تعمّر الدور، و لم تبني القصور، و لا لبست الحرير و الديقاج، و لا اقتنت النفائس، و لا احتفظت لنفسها بشىء. و هكذا كانت حال زوجها على (عليه الصلاه و السلام) رغم توفر الأموال له.

بينما نجد: أن بعض أولئك الذين استفادوا من أموال بنى النضير و غيرها قد خلفوا من الذهب و الفضة ما يكسر بالفؤوس، و يكفي أن نذكر هنا ..

١- أن الزبير بن العوام بنى داره المشهوره بالبصره، و فيها الأسواق، و التجارات، و بنى دارا فى الكوفه، و مصر، و الإسكندريه، و بلغ ثمن ماله خمسين ألف دينار، و ترك ألف فرس، و ألف مملوك، و خططا بمصر و الإسكندريه، و الكوفه و البصره (١). و قالوا: كان للزبير خمسون مليوناً و مئتا ألف. و قيل: بل مجموع ماله سبعة و خمسون مليوناً و ست مئة ألف (٢).

٢- أما عبد الرحمان بن عوف: فقد كان له ألف بعير، و عشره آلاف شاه، و مائه فرس، و صولحت إحدى نساءه على ربع ثمن ماله بأربعة و ثمانين ألف دينار (٣).

و عن أم سلمه: أن عبد الرحمن بن عوف دخل عليها، فقال: يا ٧.

١- مشاكله الناس لزمانهم ص ١٣ و حديث الألف مملوك موجود أيضا فى: ربيع الأبرار ج ١ ص ٨٣٠ و راجع: حياه الصحابه ج ٢ ص ٢٤٢ و حليه الأولياء ج ١ ص ٩٠ و جامع بيان العلم ج ٢ ص ١٧ و راجع: البدايه و النهايه ج ٥ ص ٣٤٥ و راجع: التراتيب الإداريه ج ٢ ص ٣٩٧-٤٠٤ و ٢٤-٢٩.

٢- راجع: حياه الصحابه ج ٢ ص ٢٤٤ و البدايه و النهايه ج ٧ ص ٢٤٩.

٣- راجع: البدايه و النهايه ج ٧ ص ١٦٤ و مشاكله الناس لزمانهم ص ١٤ و حديث ربع الثمن هذا موجود فى جامع بيان العلم ج ٢ ص ١٦ و ١٧.

أمه، قد خفت أن تهلكنى كثره مالى، و أنا أكثر قریش مالا إلخ (١).

و حينما مات ابن عوف جىء بتركته إلى مجلس عثمان؛ فحالت البدر بين عثمان و بين الرجل القائم فى الجبهه الأخرى، و فى هذه المناسبه ضرب أبو ذر كعب الأحبار بالعصا على رأسه فكانت النتيجة هى نفى أبى ذر (٢).

و بعد إخراج وصاياه كلها، فإنه قد ترك مالا جزيلا، من ذلك ذهب قطع بالفؤوس، حتى مجلت أيدى الرجال (٣).

٣- إن عمر بن الخطاب الذى استفاد هو الآخر من أموال بنى النضير و غيرها، كان أيضا يملك ثروه هائله فى أيام خلافته، بل هو يدعى: أنه كان فى مكه من أكثر قریش مالا- كما ذكره ابن هشام، حين الحديث عن هجرته هو و عتياش بن أبى ربيعه، فقد أصدق إحدى زوجاته أربعين ألف دينار أو درهم (٤)، و قيل: عشره آلاف. و أعطى صهرا له قدم عليه من مكه عشره آلاف درهم من صلب ماله (٥).ر.

١- كشف الأستار ج ٣ ص ١٧٢ و راجع: مجمع الزوائد ج ٩ ص ٧٢ و قال: رجاله رجال الصحيح.

٢- راجع: مروج الذهب ج ٢ ص ٣٤٠ و مسند أحمد ج ١ ص ٦٣ و حليه الأولياء ج ١ ص ١٦٠.

٣- البدايه و النهايه ج ٧ ص ١٦٤ و راجع فى مقدار تركته مآثر الإنافه ج ١ ص ٩٦ و هناك تفاصيل عجيبه ذكرها فى التراتيب الإداريه ج ٢ ص ٣٩٧ حتى ص ٤٠٥ و ٢٤-٢٩.

٤- راجع: الفتوحات الإسلاميه ج ٢ ص ٥٥، و البحر الزخار ج ٤ ص ١٠٠ و التراتيب الإداريه ج ٢ ص ٤٠٥.

٥- طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢١٩ و الفتوحات الإسلاميه ج ٢ ص ٣٩٠، و حياه الصحابه ج ٢ ص ٢٥٦ عن ابن سعد، و عن كنز العمال ج ٢ ص ٣١٧، و عن ابن جرير، و ابن عساكر.

كما أن: (إبنا لعمر باع ميراثه من ابن عمر (١) بمائه الف درهم) (٢).

و فى نص آخر: أن ثلث مال عمر كان أربعين ألفاً، أوصى بها. وإن كان الحسن البصرى قد استبعد ذلك، و احتمال أن يكون قد أوصى بأربعين ألفاً فأجازوها (٣).

لقد كان هذا فى وقت كان يعيش الناس فيه أقسى حياه تمر على إنسان، حتى إن بعضهم لم يكن يملك سوى رقتين، يستر بإحدهما فرجه، و بالأخرى دبره (٤).

فهؤلاء يجمعون الأموال، و يتنعمون بها، ثم يرثها عنهم أبناؤهم و زوجاتهم، ليكون لها نفس المصير أيضا.

و فى المقابل، فإن عليا أمير المؤمنين (عليه الصلاه و السلام)، الذى وقف على الحجاج مائه عين استنبطها فى ينبع (٥) يروى عنه: أن صدقات ٥.

١- لعل الصحيح: من عمر؛ و ذلك لأن المفروض: أن الوارث هو ابن عمر، فالمورث لابد أن يكون هو عمر نفسه. و احتمال أن يكون المراد بابن عمر هو عبد الله، و يكون أحد أبناء عمر قد باع ميراثه من ابيه إلى أخيه عبد الله بمائه الف. هذا الإحتمال بعيد عن مساق الكلام و قد كان ينبغى الفات النظر إلى ذلك مع العلم بأن هذا الإحتمال، لا يضر بما نريد أن نستفيد من هذا النص، و ذلك ظاهر.

٢- جامع بيان العلم ج ٢ ص ١٧.

٣- المصدر السابق.

٤- المصنف لعبد الرزاق ج ٦ ص ٣٦٧ و راجع: ص ٢٦٨ و السنن الكبرى ج ٧ ص ٢٠٩.

٥- أصول مالكيه ج ٢ ص ٧٩ عن المناقب ج ٢ ص ١٢٣ و راجع البحار ج ٤١ ص ٣٢ و راجع حول ثورته عليه السلام ايضا ج ٤١ ص ١٢٥ ففیه قصه طریفه حول هذا الموضوع و راجع الوسائل ج ١٢ ص ٢٢٥.

أمواله قد بلغت في السنه أربعين ألف دينار (١). و كانت صدقاته هذه كافيه لبني هاشم جميعا (٢)، إن لم نقل إنها تكفى أمه كبيره من الناس من غيرهم، إذا لاحظنا أن ثلاثين درهما كانت كافيه لشراء جاريه للخدمه، كما قاله معاويه لعقيل. و كان الدرهم يكفى لشراء حاجات كثيره بسبب قله الأموال حينئذ، و لغير ذلك من أسباب ..

نعم .. إننا نجد عليا (عليه السلام) لم يلبس ثوبا جديدا، و لم يتخذ ضيعه، و لم يعقد على مال، إلا ما كان بينبع، و البغيغه، مما يتصدق به (٣).

كما أنه لم يترك حين وفاته سوى سبع مائه درهم أراد أن يشتري بها خادما لأهله (٤) و قد أمر برد هذه السبع مائه درهم إلى بيت المال بعد وفاته، ٧.

١- راجع: كشف المحججه ص ١٣٤ و البحار ج ٤١ ص ٢٦ و ٤٣ و أنساب الأشراف ج ٢ ص ١١٧ و منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج ٥ ص ٥٦٠ و مسند أحمد ج ١ ص ١٥٩ و ينابيع الموده ص ٣٧٢ عن فصل الخطاب لخواجه پارسا و أسد الغابه ج ٤ ص ٢٣ و تاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ١٩٩ و مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٣ و التراتيب الإداريه، ج ١ ص ٤٠٧ و تهذيب الأسماء ج ١ ص ٣٤٦ و صيد الخاطر ص ٢٦ و ملحقات إحقاق الحق ج ٨ ص ٥٧٤ و مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٧٢ و ترجمه الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق، بتحقيق المحمودى ج ٢ ص ٤٥٠ و ٤٥١ و حليه الأولياء ج ١ ص ٨٦ و كنز العمال ج ١٥ ص ١٥٩ عن أحمد و أبي نعيم و الدورقى، و الضياء فى المختاره، و السيره الحلييه ج ٢ ص ٢٠٧. و الرياض النضره ج ٤ ص ٢٠٨ و عن ارجح المطالب ص ١٦٦ و عن ربيع الأبرار و راجع: أصول مالكيه للأحمدى ج ٢ ص ٧٤.

٢- كشف المحججه ص ١٢٤ و البحار ج ٤١ ص ٢٦.

٣- مشاكلة الناس لزمانهم ص ١٥.

٤- البحار ج ٤٠ ص ٣٤٠ و شرح النهج للمعتزلى ج ١٥ ص ٤٦ و ينابيع الموده ص ٢٠٨ و الإمامه و السياسه ج ١ ص ١٦٢ و الفتوح لابن أعمش ج ٤ ص ١٤٦ و الإستيعاب بهامش الإصابه ج ٣ ص ٤٨ و تاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٢٠٧.

كما ذكره الإمام الحسن (عليه السلام) في خطبته (١) آنئذ.

و عاش و مات، و ما بنى لبنة على لبنة، و لا قصبه على قصبه (٢).

و باع سيفه و قال: لو كان عندي ثمن عشاء - أو إزار - ما بعته (٣).

و يقول عنه معاوية: (و الله، لو كان له بيتان، بيت تبن و بيت تبر لأنفذ تبره قبل تبنه) (٤).

و كان مصير تلك الأراضى و الأموال و الأملاك، أنه (عليه السلام) تصدق بها، و وقفها على المسلمين، و لم يبق منها شىء حين وفاته (صلوات الله و سلامه عليه (٥)، كما هو صريح خطبه ولده السبط حين توفى والده.

و قد قال (عليه السلام): أنا الذى أهنت الدنيا (٦) و قد كان من أهم أسباب انصراف العرب عن على (عليه السلام) سيرته فى المال، حيث لم يكن يحابى أحدا فى هذا الأمر (٧) ه.

١- الفتوح لابن أعمش ج ٤ ص ١٤٦.

٢- تهذيب الأسماء ج ٢ ص ٣٤٦ و أسد الغابه ج ٤ ص ٢٤ و المناقب للخوارزمى ص ٧٠ و البدايه و النهايه ج ٨ ص ٥٥ و البحار ج ٤٠ و ٣٢٢.

٣- كشف المحججه ص ١٢٤ و راجع: أصول مالكيه ج ٢ ص ٧٨-٩٨ عن مصادر كثيره و البحار ج ٤١ ص ٣٢٤.

٤- كشف اليقين فى فضائل أمير المؤمنين للحلى ص ٤٧٥ و كشف الغمه ج ٢ ص ٤٧ و ترجمه الإمام على من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودى) ج ٣ ص ٥٨ و ٦٠.

٥- راجع شرح النهج للمعتزلى ج ١٥ ص ٤٦ و كشف المحججه ص ١٢٦ و البحار ج ٤ ص ٣٤٠.

٦- ترجمه الإمام على (لابن عساكر) بتحقيق المحمودى ج ٣ ص ٢٠٢ و حياه الصحابه ج ٢ ص ٣١٠ و البدايه و النهايه ج ٨ ص ٥.

٧- البحار ج ٤١ ص ١٣٣ عن المعتزلى فى شرح نهج البلاغه.

و كذلك كان حال زوجته الصديقه الطاهره فاطمه الزهراء (عليها صلوات ربي و سلامه)؛ فإنها لم تزل تتصدق بغله فذك و غيرها، و تنفق الأموال فى سبيل الله سبحانه، لتعيش هى (عليها السلام) حياه الزهد، و العزوف عن الدنيا، و عن زيارتها و بهارجها.

و حتى هذه الموقوفات و الصدقات؛ فإنها لم تسلم من الظلم و الظالمين، فقد استولى الحكام عليها، و منعوا من استمرار انفاقها فى سبيل الله، و من انتفاع الفقراء و المحتاجين بها، و لتصبح بأيدي خصماء أهل البيت من بنى أميه، الذين كانوا يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع، على حد تعبير على (عليه السلام) فى خطبته الشقشقيه المذكوره فى نهج البلاغه.

الزهد .. الحرية:

و كلمه أخيره نود تسجيلها هنا، و هى: أن بعض الناس يرى فى الزهد معنى غير واقعى، و لا سليم.

فيرى: أن الزهد هو: أن يلبس الإنسان الخشن، و يأكل من فضول طعام الناس، و يتخلى عن كل شؤون الحياه، فلا يعمل، و لا يسعى، و لا يكد على عياله، و لا يملك شيئاً من حطام الدنيا .. و ذلك لأن عمله، و حصوله على المال إنما يعنى: أنه يحب الدنيا، و ليس ذلك من الزهد فى شىء.

و إذا كان لا مال لديه، فلا يكون مكلفاً بشىء، و لا يتحمل أليه مسؤوليه ماليه، لا تجاه نفسه، و لا تجاه غيره.

و نقول:

إن هذا الفهم للزهد، غير مقبول فى الإسلام، بل هو خطأ كبير و خطير، فإن الحصول على المال لا ينافى الزهد ما دام يضعه فى مواضعه

التي يريدها الله، فقد روى عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله:

نعم المال الصالح للرجل الصالح (١).

فالإسلام يقول: إنك إذا استطعت أن تحصل على المال لتوظفه في قضاء حاجات المؤمنين، و ليكون وسيلة لإحياء الدين، و نشر تعاليمه، و يكون قوه على الأعداء، و سببا في دفع البلاء. فإن ذلك لازم إن لم يكن واجبا شرعيا، يعاقب الله على تركه، و على عدم التقيد به ..

غايه الأمر: أنه يقول: لا يجوز أن يتحول هذا المال إلى إله يعبد، و إلى سيد يطاع، و إلى مالك لرقبه صاحبه، فإنه:

(ليس الزهد أن لا تملك شيئا، و لكن الزهد أن لا يملكك شيء).

و التعبير عن الزهد بأنه حريه و انعتاق قد ورد عنهم (عليهم الصلاة و السلام) فلتراجع كتب الحديث و الروايه (٢).

و هذا .. بالذات هو المنهج الذي سار عليه النبي (صلى الله عليه وآله) الذي ملك الفىء و الخمس و غير ذلك، و لكنه لم يصبح مملوكا لما ملكه .. و كذلك الحال بالنسبه إلى بضعته الصديقه الطاهره، و على أمير المؤمنين (عليه السلام)، و الأئمه الطاهرين من ولده صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين ..

الزهاء .. فى مواجهه التحدى:

إن مطالبه على (عليه السلام) بأموال بنى النضير، و مطالبه الزهراء بفدك، و بسهمها بخيبر، و بسهمها من الخمس، و بإرثها أيضا من أبيها الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) .. و إصرارها على تحدى السلطهم.

١- جامع بيان العلم ج ٢ ص ١٦ و مسند أحمد ج ٤ ص ١٩٧ و ٢٠٢.

٢- راجع: ميزان الحكمه ج ٤ ص ٢٦٣ عن غرر الحكم.

فى إجراءاتها الظالمه ثم مغاضبتها للغاصبين حتى توفيت، حيث أوصت أن تدفن ليلا- إن ذلك كله- لا يمكن تفسيره على أنه رغبه فى حطام الدنيا، و حب للحصول على المال .. فإن حياتها و هى الصديقه الطاهره، و الزاهده، و الفانيه فى الله، حتى إنها كانت تقوم الليل حتى تورمت قدمها ..

و كذلك ما شاع و ذاع حول كيفيه تعاملها مع الأموال التى كانت تحصل عليها من فذك و غيرها، و كيف كانت تصرفها- إن ذلك- لخير دليل على ما نقول، و أوضح شاهد عليه.

و هذا بالذات هو ما يجعلنا نتساءل عن السر الكامن واره تلك المطالبه، و ذلك الإصرار و لعلنا نستطيع أن نفسر ذلك بما يلى:

١- إن نفس الإنتصار للحق، و تأكيده، و رفض الباطل و إدانته أمر مهم و مطلوب و محبوب، و هو من القيم و المثل التى لا يبد من الإلتزام بها و التأكيد عليها، فى مختلف الظروف و الأحوال.

٢- إن فى موقف فاطمه الزهراء (عليها السلام) فى وقت لا يزال فيه الإسلام طرىّ العود، و يمكن أن يصبح فيه السكوت على الإنحراف سببا فى قبول الناس له على أنه أمر لا يتنافى مع أحكام الشرع و الدين- إن فى هذا الموقف- حفاظا على مبادئ الإسلام، و على قوانينه و أحكامه، و صيانته له عن الفهم الخاطىء و عن التحريف ..

٣- إن فاطمه (عليها السلام) بموقفها هذا قد أفهمت كل أحد: أنه لا بد من قول الحق، و إطلاق كلمه (لا) فى وجه الحاكم، و أنه ليس فى منأى عن الحساب و العتاب و العقاب، و أن الإنحراف مرفوض من كل أحد حتى من الحاكم، و ليس هو فوق القانون، بل هو حام للقانون، و مدافع عنه، و أن سلطته و حكمه ليس امتيازاً له يصول به على الآخرين، و يستطيل به عليهم، و إنما هو مسؤوليه، لا بد و أن يطالب هو قبل كل أحد بالقيام بها، و بالالتمام بما يفرض الشرع عليه الإلتزام به فى نطاقها ..

٤- إن الاعتراض حيث لا بد منه حتى على الحاكم، مهما كان قويا و عاتيا، هو مسؤوليه كل أحد حتى النساء بالمقدار الذى يمكن. و لا يختص ذلك بالرجال.

٥- إن التصدى للمطالبه بالحق و تسجيل الموقف، لا- يجب أن ينحصر فى صورته العلم بإمكان الحصول على ذلك الحق، أو احتمال ذلك، بل إن ذلك قد يجب حتى مع العلم بعدم إمكان الحصول على شىء، فإن فاطمه (عليها السلام) كانت تعلم بأن مطالبتها لن تجدى شيئا فى إرجاع ما اغتصب منها إليها، و لكنها مع ذلك قد سجلت موقفا حاسما و أدانت الإنحراف، و تصدت له، و ماتت و هى مهاجره و غاضبه على أولئك الذين أخذوا حقها، و استأثروا به دونها.

و حتى حين طلب منها أمير المؤمنين أن تستقبلهما، فإنها لم تجب بالقبول، بل قالت له (عليه السلام): البيت بيتك، و الحره زوجتك، إفعل ما تشاء.

فدخلت عليها، و حاولت استرضاءها و بكيا لديها، و لكنها فضحت خطتهما، و أوضحت لهما، من خلال حملها إياهما على الإقرار بأنهما قد أغضباهما، و بأن الله يغضب لغضبها، و يرضى لرضاها- أوضحت لهما: أنها لا تزال غاضبه ساخطه عليهما (١)، لا سيما و أنهما ما زالا يصران على غضبها حقها، و منعها إرثها، و سائر أموالها.

و ذلك لأنها عرفت أن بكاءهما و خضوعهما لها إنما يرمى إلى التأثير عليها عاطفيا، من دون تقديم أى تراجع عن موقفهما السابق، أو تقديم أى إعتذار مقبول عنه.٥.

١- البحار ج ٤٣ ص ١٩٨ و ١٩٩ و كتاب سليم بن قيس ص ٢١١ و ٢١٢ و راجع: كنز العمال ج ٥ ص ٣٥١ و ٣٥٢ و الغدير ج ٧ ص ٢٢٨ و ٢٢٩ و الإمامه و السياسه ج ١ ص ١٤ و أعلام النساء ج ٤ ص ١٢٤ و عن رسائل الجاحظ ص ٣٠٠.

و معنى ذلك هو أنهما قد أرادا من وراء استرضائهما إياها (عليها السلام)، هو أن يصبح بإمكانهما دعوى: أن فاطمه قد رضيت، و طابت نفسها، بل و أقرتهما على ما فعلاه و سلمت لهما بما ادّعياه.

و لكن وصيتها بأن تدفن ليلا، ثم تنفيذ هذه الوصيه من قبل أمير المؤمنين على (عليه السلام) قد فوّت الفرصه على كل دعوى، و سد السبيل أمام أى تزوير.

فلم يبق أمام أولئك الذين يقدسون هؤلاء الغاصبين و يؤيدونهم إلا الإعلان بالخلاف، و الإصرار على الباطل، بل إن بعضهم لم يستطع إخفاء ما يجنه من حقد و ضغينه، فجاهر بالطعن، و الإنتقاص، و النيل من مقامها، و حاول- ما أمكنه- تصغير عظيم منزلتها ..

فأنكر بعضهم كونها واجبه العصمه (١) لأجل ذلك، رغم أن الكتاب العزيز قد نصّ على طهارتها، و على أنها بريئه من أى رجس أو رين ...

كما أن الحديث المتواتر عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) حول أن الله يغضب لغضبها (٢) يدل على عصمتها كذلك.

لماذا لم يسترجع على (عليه السلام) ما اغتصب!؟

و أما لماذا لم يسترجع على (عليه الصلاة و السلام) فدكا و غيرها مما اغتصب منهم (عليهم السلام)، مع أنه كان قادرا على ذلك أيام خلافته ..

فقد ذكرت الروايات الواردة عن الأئمة (عليهم السلام) الأسباب التاليه:.

- ١- راجع: البدايه و النهايه ج ٥ ص ٢٨٩ و راجع: ج ٤ ص ٢٠٣.
- ٢- تقدمت مصادر كثيره لهذا النص فى الجزء الرابع من هذا الكتاب، فى فصل: سرايا و غزوات قبل بدر، حين الحديث حول تكتيه على أبى تراب، و الإفتراء عليه باغضابه لفاطمه (عليها السلام).

١- إن الظالم و المظلوم كانا قد قدما على الله عز و جل، و أثاب الله المظلوم، و عاقب الظالم؛ فكره أن يسترجع شيئا قد عاقب الله عليه غاصبه، و أثاب عليه المغضوب (عن الصادق عليه السلام) (١).

٢- للإقتداء برسول الله (صلى الله عليه و آله) لما فتح مكة و قد باع عقيل بن أبى طالب داره؛ ف قيل له: يا رسول الله، ألا ترجع إلى دارك؟ ..

فقال (صلى الله عليه و آله): و هل ترك عقيل لنا دارا، إنا أهل بيت لا نسترجع شيئا يؤخذ منا ظلما؛ فلذلك لم يسترجع فدكا لما ولى (عن الصادق عليه السلام) (٢).

٣- لأننا أهل بيت لا- نأخذ حقوقنا ممن ظلمنا إلا هو (يعنى: إلا الله)، و نحن أولياء المؤمنين، إنما نحكم لهم، و نأخذ حقوقهم ممن ظلمهم، و لا نأخذ لأنفسنا (عن الإمام الكاظم عليه السلام) (٣).٥.

١- الطرائف: ص ٢٥١ و علل الشرائع ص ١٥٤ و ١٥٥.

٢- الطرائف: ص ٢٥١ و علل الشرائع ص ١٥٥ و المناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ٢٧٠.

٣- الطرائف ص ٢٥١ و ٢٥٢ و علل الشرائع ص ١٥٥.

ص: ٢٦٣

الباب التاسع: حتى الخندق

اشاره

الفصل الأول: غزوه ذات الرقاع .. تاريخ و أحداث

اشاره

بدايه:

قد اتضح من كل ما ذكرناه فى كتابنا هذا: أن جل إن لم يكن كل ما يذكره المؤرخون و المحدثون من نصوص و آثار يحتاج إلى تمحيص و تحقيق وفق المعايير الصحيحه التى تستطيع أن تقرب إلى ما هو الواقع و الصحيح.

و ليست النصوص التى نقلت لنا أحداث غزوه ذات الرقاع مستثناه من هذه الظاهره. و لأجل ذلك، فنحن نورد منها بعض نصوصها، ثم نختار بعضه لتركز الأضواء عليه، بهدف إعطاء صورته متقاربه الملامح عن الواقع و الحقيقه، حسبما يتيسر لنا فى هذا الظرف، فنقول:

الرصد الدقيق:

إن من الأمور الواضحه: أن ليقظه القائد الفذ، و تنبهه للأمور، و رصدها بدقه و وعى، ثم قدرته على استشفاف المستقبل و استشرافه، دورا كبيرا فى إحكام الأمور، و فى ترسيخ قواعد الحكم و الحاكميه، ثم فى إبعاد الأخطار عن المجتمع الذى يريعه. و حسن تدبير شؤونه، و سلامه التحرك فى نطاق تصريف الأمور على النحو الأفضل و الأمثل.

و على هذا الأساس نستطيع أن نتفهم بعمق ما نشهده من مبادرات متكرره للرسول الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم لضرب أى تجمع أو

تحرك ضد المسلمين، قبل أن يشتد عوده، و لا يعطيه أية فرصة لئتماسك، و يقوى، و يستفحل أمره.

و ذلك لأن الانتظار إلى أن تحتشد جموع الأعداء معناه أن يواجه المسلمون صعوبات كبيرة و ربما خطيره للتخلص من شرهم، و تفويت الفرصة عليهم.

و هذا ما يفسر لنا ما نجده من رصد دقيق من قبل المسلمين لكل القوى المعادية التي كانت معنيه بالوجود الإسلامى فى بلاد الحجاز ..

ثم نعرف سر السرعة التي كان يظهرها المسلمون فى رده الفعل،

غزوه ذات الرقاع:

يذكر المؤرخون: أن قادمًا قدم المدينة بجلب له، فأخبر أنّ أنمارا، و ثعلبه، و غطفانا قد جمعوا جموعا بقصد غزو المسلمين. فلما بلغ النبي صلى الله عليه و آله و سلم ذلك استخلف على المدينة عثمان بن عفان، أو أبا ذر الغفارى، و خرج ليله السبت لعشر خلون من المحرم فى أربع مئه و المبادره إلى حسم الموقف بقوه و حزم، بمجرد تلقيهم أى نبأ يشير إلى وجود حشود، أو استعدادات أو حتى تأمر و تخطيط يستهدفهم.

فيبادرون إلى إرسال السرايا، و تنظيم الغزوات ضد أعدائهم من مجرمين و متآمرين. ثم تكون النتيجة فى أغلب الأحيان هى فرار القوى المعادية، و تفرقهم قبل الاشتباك معهم، أو إثر مناوشات يسيره، تكون الخسائر فيها معدومه أو تكاد، بل واتفق أن ظفر المسلمون بجميع أعدائهم فقتل من قتل منهم، و أسر الباقون ..

نتائج و آثار:

و قد نتج عن ذلك ١- أن أولئك الأعراب الجفاه، الذين مردوا على شنّ الغارات،

و قطع الطرق، قد أصبحوا يعيشون حاله الرعب و الخوف من المسلمين إلى درجه كبيره، و كانوا إذا تناهى إليهم ما يشير إلى تحرك المسلمين باتجاههم، فإنهم لا يجرؤون على الظهور بمظهر التحدى، و لا يتخذون قرارا بالهجوم، أو التصدى للدفاع، و إنما يقررون الفرار إلى رؤوس الجبال، و التمتع فيها، أو التخفى فى أى من المسارب و المهارب، حتى ولو أدى ذلك إلى استيلاء المسلمين على أموالهم، و مواشيهم، و حتى على نسائهم و أولادهم أحيانا.

٢- أضف إلى ذلك: أن ذلك قد هيا الجو للنبي صلى الله عليه و آله وسلم ليعقد تحالفات كثيره مع كثير من القبائل فى ذلك المحيط. و قد نتج عن ذلك، و عن الجهد الذى بذله صلى الله عليه و آله وسلم لرد كيد أعدائهم و إفشال مخططاتهم، بواسطه ما أرسله من سرايا و غزوات. أن تأكدت قوه المسلمين، و ظهرت شوكتهم، و عرف الناس كلهم مدى تصميمهم على تحقيق أهدافهم، و مواصله طريقهم الرامى إلى نشر هذا الدين، و الدفاع عنه، و بذل كل غال و نفيس فى سبيله.

و قد كان من الطبيعى أن ينزعج المكيون لذلك، و أن يضايقهم، و يفقدهم كثيرا من الامتيازات السياسيه و العسكريه و غيرها. كما أنه يحدّ إلى حد بعيد- من حريتهم فى التحرك ليعقد تحالفات واسعه و مؤثره ضد المسلمين، ما دام أن الكثيرين من سكان المنطقه لن يجرؤا على عمل من هذا القبيل بسبب هزيمتهم النفسيه حسبما تقدم.

٣- كما أن ذلك قد هيا للمسلمين أجواء و مناخات مريحه إلى حد ما استطاعوا فيها مضاعفه نشاطهم الإعلامى، و كان ذلك سببا فى انتشار دعوتهم، و بعد صيتها، حتى أصبحت الحديث اليومى للصغير و الكبير فى مختلف البلاد، و العباد. و ترسخت هذه الدعوه و امتدت جذورها باطراد، و اطمأن كثير من الناس إليها، و عوّلوا عليها. و تلمسوا فيها كل المعانى الخيره و النبيله، الموافقه لما تحكم به عقولهم، و تقضى به فطرتهم. و قد

ساعد على ذلك ما ظهر لهم من قوه المسلمين، بعد أن بسطوا هيبتهم على المنطقه بأسرها.

رجل. (و قيل: فى سبع مئه (١) و قيل فى ثمان مئه (٢))، حتى أتى وادى الشقره. فأقام بها يوماً، و بث السرايا، فرجعوا إليه مع الليل؛ و أخبروه:

أنهم لم يرو أحدا.

ثم سار صلى الله عليه و آله و سلم بأصحابه حتى أتى محالهم؛ فلما عاينوا عسكره، ولوا عن المسلمين، و كرهوا لقاءهم. فتسمنوا الجبل، و تعلقوا فى قلته. و لحق بعضهم ببطن الأوديه.

و لم يبق إلا نسوه، فجاء صلى الله عليه و آله و سلم، فأخذهن، و فيهن جاريه و ضيئه.

و لم يكن قتال (٣).ره

١- راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٤ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٠ و سيره مغلطاي ص ٥٤ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ٢٠١ و الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٦١ و المغازى للواقدي ج ١ ص ٣٩٦ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٦١ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٨٣ و نهايه الارب ج ١٧ ص ١٥٨ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١٠٦ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٤ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٢٧١.

٢- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٠ و المغازى للواقدي ج ١ ص ٣٩٦ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٤.

٣- راجع تفصيل غزوه ذات الرقاع أو إجماله فى المصادر التاليه: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٤ و أنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٠ و السيره النبويه لزينى دحلان ج ١ ص ٢٦٤ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧١ و سيره مغلطاي ص ٥٤ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٢٧١ و حياه محمد لهيكل ص ٢٨١ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ٢ قسم ٢ ص ٢٨ و الوفاء ص ٦٩١ و الكامل فى التاريخ ج ٢ ص ١٧٤ و الثقات ج ١ ص ٢٥٧ و ٢٥٨ و التنبيه و الإشراف ص ٢١٤ و حبيب السير ج ١ ص ٣٥٦ و طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٦١ و السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢١٤ و ٢١٥ و المغازى للذهبي ص ٢٠١ و المغازى للواقدي ج ١ ص ٣٩٥ و ٣٩٦ و السيره

ثم قفل صلى الله عليه وآله وسلم نحو المدينة، وبعث جعال بن سراقه إلى المدينة مبشرا بسلامته، و سلامه المسلمين (١).

و قدم صلى الله عليه وآله وسلم صرارا يوم الأحد لخمس ليال بقين من المحرم.

و صرار موضع على ثلاثه أميال من المدينة، و هي بئر جاهليه على طريق العراق (٢).

و كانت هذه الغزوه بأرض غطفان من نجد.

و كانت غيبته صلى الله عليه وآله وسلم فى تلك الغزوه خمس عشره ليله (٣).

نقاط لا بد من بحثها:

أما النقاط التى لا بد من بحثها فى هذا الفصل، فهى التاليه:

١- سبب تسميه هذه الغزوه بذات الرقاع.

٢- تاريخ هذه الغزوه، و لسوف نثبت: أن الصحيح هو أنها قد ا.

١- راجع: طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٦١ و نهايه الارب ج ١٧ ص ١٦٢ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٥ و السيره الحلبيه ج

٢ ص ٢٧٣ قال: (و هو الذى تمثل به إبليس لعنه الله يوم أحد، حين نادى: إن محمدا قد قتل).

٢- راجع: طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٦١ و المغازى للواقدى ج ١ ص ٣٩٥ و نهايه الارب ج ١٧ ص ١٦٢ و دلائل النبوه للبيهقى

ج ٣ ص ٣٧١.

٣- راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٤ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٣ و سيره مغلطاي ص ٥٤. و التنبيه و الإشراف ص ٢١٤ و

نهايه الارب ج ١٧ ص ١٦٢ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١٠٧ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٥ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٣

ص ٣٧١ و حبيب السير ج ١ ص ٣٥٧ و المغازى للواقدى ج ١ ص ٣٩٥ و الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٦١.

كانت بعد غزوه الحديبيه.

٣- ثم نشير بعد ذلك إلى ما يحاول أن يدعيه البعض من أن غزوه ذات الرقاع لم تكن واحده بل هناك غزوتان كل منهما تحمل هذا الاسم.

٤- و بعد ذلك يأتي كلام حول أن النبي صلى الله عليه و آله وسلم حينما خرج إلى ذات الرقاع قد جعل أبا ذر واليا على المدينه.

٥- ثم نذكر قصه يقال: إنها جرت لعباد بن بشر و عمار بن ياسر، حينما كانا يحرسان المسلمين فى موضع نزله و هم راجعون. مع تعليق تحليلي على الحدث.

٦- و لا ننسى أن نذكر قصه غورث بن الحارث، و شكوكنا حولها و مبررات هذه الشكوك، ثم نورد القصه الأقرب إلى القبول فى هذا المجال. مع تعليق تحليلي حولها.

و نرجى ء الحديث عن بقية النقاط المرتبطه بهذه الغزوه إلى فصل لاحق.

فنحن وفقا لهذا الذى ذكرناه نقول:

التسميه بذات الرقاع:

قد اختلفت كلمات المؤرخين فى سبب تسميه هذه الغزوه بذات الرقاع. و نحن نجمل الأقوال فى ذلك على النحو التالى:

١- سميت بذات الرقاع، لأنه لم يكن فى تلك الغزوه ما يكفى لركوبهم فى سيرهم إليها، فنقبت أقدامهم من الحفاء، فلفوا عليها الخرق، و هى الرقاع. كما فى البخارى و غيره.

٢- سميت بذلك لأن المسلمين رقعوا راياتهم فيها.

٣- أو لأن الصلاه قد رقت فيها، لوقوع صلاه الخوف فيها، قاله

٤- أو لأجل شجره كانت هناك يقال لها ذات الرقاع.

٥- أو لأجل جبل هناك اسمه الرقاع؛ لأن فيه بياضا، و سوادا، و حمرة. و يقع قريبا من النخيل، بين السعد و الشقره.

٦- أو لأجل أن الخيل كان فيها سواد و بياض، كما قاله ابن حبان، مع احتمال أن يكون ابن حبان قد صحف كلمه (جبل) فقرأها (خيل) كما ذكره البعض (١).

٧- أو لأجل كل الأمور السابقه (٢).

و تحقيق ذلك ليس بذي أهميه، و إن كنا نستبعد بعض ما ذكر كالقول الثالث لما سيأتي من أن صلاه الخوف قد صليت في غزوات أخرى قبل أو بعد هذه الغزوه، فلا وجه لاختصاص هذه الغزوه بهذه التسميه لأجل ٦.

١- راجع: فتح الباري ج ٧ ص ٣٢٣ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١٠٦.

٢- راجع هذه الأقوال أو بعضها في المصادر التاليه: سيره مغلطاي ص ٥٣ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٤ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٠٠ و ٢٠١ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١٠٦ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٤ و الروض الأنف ج ٣ ص ٢٥٣، و المغازي للواقدي ج ١ ص ٣٩٥. و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٦٠ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٨٣ و بهجه المحافل ج ١ ص ٢٣٢ و شرح بهجه المحافل ج ١ ص ٢٣٢ و فتح الباري ج ٧ ص ٣٢٣ و نهايه الإرب ج ١٧ ص ١٥٨ و شرح النووى على صحيح مسلم ج ١٢ ص ١٩٧ و دلائل النبوه للبيهقي ج ٣ ص ٣٧١ و ٣٧٢. و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٤ و البدء و التاريخ ج ٤ ص ٢١٣ و حبيب السير ج ١ ص ٣٥٦ و ٣٥٧ و زاد المعاد ج ٢ ص ١١١ و الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٦١، و السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢١٤ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ٢ قسم ٢ ص ٢٨ و ٢٩ و الوفا ص ٦٩١ و الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٧٤ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٢٢٧ و تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦٠ و أنساب الاشراف ج ١ ص ٣٣٤ و الثقات ج ١ ص ٢٥٨ و التنبيه و الإشراف ص ٢١٤ و اعلام الورى ص ٨٩ و البحار ج ٢٠ ص ١٧٦.

ذلك.

كما و نستبعد القول الثانى أيضا بالإضافه إلى أقوال أخرى.

و تسمى هذه الغزوه أيضا ب (غزوه الأعاجيب). لما وقع فيها من أمور عجيبه.

و تسمى أيضا ب (غزوه محارب) و (غزوه بنى ثعلبه) و (غزوه بنى أنمار) (١).

تاريخ هذه الغزوه:

و قد اختلفوا فى تاريخ غزوه ذات الرقاع.

فقال فريق: هى بعد غزوه بنى النضير فى السنه الرابعه، فى شهر ربيع الآخر، و بعض جمادى الأولى (٢) و حسب قول البعض: إنها بعد غزوه بنى النضير بشهرين و عشرين يوما (٣).

و قال القيروانى: خرج لخمس من جمادى الأولى، و انصرف يوم الأربعاء لثمان بقين منه (٤). ٩.

-
- ١- راجع: السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٠ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٤.
 - ٢- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٣ و سيره مغلطاي ص ٥٤ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٠ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٤ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٣٦٩ و ٣٧٠ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ٢ قسم ٢ ص ٢٨ و تاريخ ابن الوردى ج ١ ص ١٦٠ و زاد المعاد ج ٢ ص ١١٠ و السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢١٣ و ٢١٤ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ٢٠٠ و نهايه الإرب ج ١٧ ص ١٥٨ و كتاب الجامع ص ٢٧٩ و فتح البارى ج ٧ ص ٣٢١.
 - ٣- راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٣ عن خلاصه الوفاء و إعلام الورى ص ٨٩ و البحار ج ٢٠ ص ١٧٦ و ١٧٨ و ١٧٧ عن ابن الأثير فى الكامل و عن المناقب، و عن اعلام الورى.
 - ٤- الجامع ص ٢٧٩.

و قال آخرون: إنها كانت فى شهر محرم (١).

و قيل: كانت بعد غزوه بدر الصغرى (٢).

و تردد ابن عقبه فى كونها قبل بدر أو بعدها، أو قبل غزوه أحد أو بعدها (٣).

و قيل: كانت فى سنة خمس (٤).

و جعلها أبو معشر فى سنتين حينما قال: إنها كانت بعد بنى قريظه فى ذى القعدة، سنة خمس، فتكون ذات الرقاع فى آخر هذه السنة، و أول التى تليها (٥).

و قال بعضهم: إنها كانت بعد خيبر سنة سبع (٦). و هو ما ذهب إليه

١- راجع: مرآة الجنان ج ١ ص ٩ و سيره مغلطاي ص ٥٤ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ٢ قسم ٢ ص ٢٩. و شذرات الذهب ج ١ ص ١١ و التنبيه و الإشراف ص ٢١٤ و راجع: زاد المعاد ج ٢ ص ١١٠ و طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٦١ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ٢٠٠ و مغازى الواقدي ج ١ ص ٣٩٥ و نهايه الإرب ج ١٧ ص ١٥٨ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١٠٦ عن ابن سعد، و ابن حبان و دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٢٧٠ و فتح البارى ج ٧ ص ٣٣٢.

٢- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٣ و ٤٦٤ و سيره مغلطاي ص ٥٤.

٣- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٤ عن المواهب اللدنيه و فتح البارى ج ٧ ص ٣٢١.

٤- راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٣ عن ابن سعد، و ابن حبان و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١٠٦ عنهما و عن أبى معشر، و أنساب الأشراف ج ١ ص ٣٣٤ و الجامع للقيروانى ص ٢٨١ و ٢٧٩ و سيره مغلطاي ص ٥٤ و راجع: شذرات الذهب ج ١ ص ١١ و الكامل فى التاريخ ج ٢ ص ١٧٥ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٢٢٧ و تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦٠ و الثقات ج ١ ص ٢٥٧ و ٢٥٩ و حبيب السير ج ١ ص ٣٥٦ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٤ و نصب الرايه ج ٢ ص ٢٤٩.

٥- راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٣ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١٠٦.

٦- راجع صحيح البخارى ج ٣ ص ٢٣ و راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٣ عن فتح البارى و البخارى و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٠ عن البخارى و عن الشمس

البخارى، و هو ما نذهب إليه أيضا.

وقال الغزالي: إن غزوه ذات الرقاع آخر الغزوات، قالوا (و هو غلط واضح، و قد بالغ ابن الصلاح فى إنكاره) و قد ذكر ذلك زينى دحلان فراجع (١).

الصحيح و المعقول:

و بعد ما تقدم نقول: إن تشريع صلاة الخوف، و نزول الآية قد كان فى الحديبيه، ثم بعد ذلك كانت غزوه ذات الرقاع فصلى النبى فيها صلاة الخوف أيضا.

و مستندنا فى ذلك ما يلى:

١- سيأتى فى هذا الفصل: أن صلاة الخوف قد شرعت فى غزوه الحديبيه (٢). و أن الصدوق يروى فى الفقيه بسند صحيح: أن النبى صلى الله عليه و آله وسلم قد صلى بأصحابه صلاة الخوف فى غزوه ذات الرقاع (٣) فتكون متأخره عن الحديبيه.

٢- روى أحمد عن جابر قال: (غزا رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم ست غزوات قبل صلاة الخوف، و كانت صلاة الخوف فى السنه السابعه) (٤).

و من المعلوم: أن صلاة الخوف قد صليت فى غزوه ذات الرقاع، فتكون هذه الغزوه فى السنه السابعه أو بعدها. ٨.

١- السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٤ و فتح البارى ج ٧ ص ٣٢٧ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١٠٦.

٢- البرهان فى تفسير القرآن ج ١ ص ٤١١.

٣- من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٢٦٠ رقم الحديث ١٣٣٤ ط جماعه المدرسين و تفسير البرهان ج ١ ص ٤١١.

٤- الدر المنثور ج ٢ ص ٢١٤ و مسند أحمد ج ٣ ص ٣٤٨.

لكن عبارته البخارى هكذا: (عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما:

إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلى بأصحابه فى الخوف فى غزوه السابعه، غزوه ذات الرقاع) (١).

فإن كان المراد: الغزوه السابعه التى حضرها رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يكن فيها جميعها قتال. كانت هذه الغزوه قبل أحد، وهو غير مقبول، للاتفاق على أن ذات الرقاع لم تكن قبل أحد، وإن كان موسى بن عقبه قد تردد فى ذلك. لكن تردده فى ذلك لا معنى له، للاتفاق على تأخر صلاه الخوف عن هذا التاريخ، بالإضافة إلى الأدله التى تقدمت و ستأتى.

و إن كان المراد: الغزوه السابعه من الغزوات التى حضرها الرسول، مما كان فيه قتال، فإنها تكون و الحال هذه بعد خيبر، و هو المطلوب.

و إن كان المراد: السنه السابعه، فهو المطلوب أيضا، و يؤيد إرادته هذا الأخير روايه مسند أحمد المتقدمه (٢).

و نحن نرجح هذا الشق الأخير، لما ذكرناه و ما سيأتى.

و أما الاحتمال الثانى، فيرد عليه: أن غزوه ذات الرقاع لم يقع فيها قتال؛ فما معنى جعلها سابعه للغزوات التى وقع فيها قتال.

و الأنسب بالعباره المنقوله، هو إرادته السنه السابعه، و ذلك بملاحظه عدم وجود لام التعريف فى المضاف، حيث قال: (غزوه السابعه) و لم يقل: (الغزوه السابعه).

و ادعى العسقلانى: أنه لو كان المحذوف هو كلمه سنه لم يحتج البخارى إلى الاستدلال على تأخرها بروايه أبى موسى و غيره. و لعل ٤.

١- صحيح البخارى ج ٣ ص ٢٣ و فتح البارى ج ٧ ص ٣٢٣ و ٣٢٤ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٤ و راجع البدء و التاريخ ج ٤ ص ٢١٣.

٢- فتح البارى ج ٧ ص ٣٢٣ و ٣٢٤.

المراد: غزوه السفره السابعه.

و نقول؛ إن نسبه الغزوه إلى السفره مما لا يحسن هنا، و نسبتها إلى السنه أنسب و أوضح فى التقدير لا سيما مع روايه أحمد المتقدمه فكلام العسقلانى فى غير محله.

و لكن يبقى هنا سؤال، و هو: لماذا يعبر فى الروايه عن ذات الرقاع بأنها (غزوه السابعه) مع أن ثمة ما هو أهم منها قد وقع فى سنه سبع مثل غزوه خيبر؟!.

إلا أن يجاب عن ذلك بأن ما وقع فيها من أعاجيب، و قضايا قد جعلت لها أهميه خاصه، بالنسبه لغيرها من الغزوات. لا سيما و أن غيرها قد عرف باسمه الخاص به، و شاع و ذاع أمره، بذلك الاسم بالذات. أما بالنسبه لذات الرقاع، فلم يكن الأمر كذلك.

أو فقل: إن من الممكن أن تكون غزوه ذات الرقاع قد حصلت قبل سائر غزوات سنه سبع، فأطلق عليها اسم غزوه السابعه، ثم جاءت سائر الغزوات، فأطلقوا عليها أسماءها الخاصه بها بعد ذلك، فلم يوجب ذلك تغييرا فى اسم هذه الغزوه. أو فقل: لم يوجب ذلك خلافا فى فهم المراد من هذه العبارة حين إطلاقها.

٣- ما احتج به البخارى من أن أبا موسى الأشعري ذكر أنه قد حضر غزوه ذات الرقاع، فقال:

(خرجنا مع النبي صلى الله عليه و آله وسلم فى غزاه، و نحن فى سته نفر، بيننا بعير نعتقبه، فنقبت أقدامنا، و نقبت قدماى، و سقطت أظفارى، فكنا نلف على أرجلنا الخرق، فسميت غزوه ذات الرقاع) (١).ره

١- صحيح البخارى ج ٣ ص ٢٣ و فتح البارى ج ٧ ص ٣٢١ و راجع ص ٣٢٢ و راجع: دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٣٧٢ و ٣٦٩ و بهجه المحافل ج ١ ص ٢٣٢ و السيره

و أبو موسى إنما جاء من الحبشه بعد خيبر، فتكون ذات الرقاع بعد خيبر أيضا.

مؤيدات:

١- و يؤيد ذلك: أن عددا من المؤرخين يقول: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد استخلف أبا ذر الغفارى على المدينه حين غزا ذات الرقاع. و أبو ذر إنما قدم المدينه بعد أن مضت بدر، و أحد، و الخندق.

و سيأتى توضيح ذلك مع ذكر المصادر إن شاء الله تعالى حين الحديث عن الذى و لاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينه فى هذه الغزاه.

٢- و يؤيد ذلك أيضا: ما روى عن ابن عمر الذى أجازاه النبي بالخروج إلى الغزو فى وقعه الخندق أنه قال: غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل نجد، فذكر صلاه الخوف (١).

٣- و يؤيد ذلك أيضا، قول أبى هريره: (صليت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى غزوه نجد صلاه الخوف) و إنما جاء أبو هريره إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أيام ٤.

١- راجع: المصادر التاليه: صحيح البخارى ج ٣ ص ٢٣ و ج ١ ص ١١٠ و فتح البارى ج ٧ ص ٣٢٣ و ٣٢١ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٣٦٩ و راجع ص ٣٧٩ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٦١ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٨٣ و زاد المعاد ج ٢ ص ١١١ و استدلال به. و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١٠٦ و نصب الرايه ج ٢ ص ٢٤٤.

لماذا مؤيدات!؟

ألف: إنما جعلنا توليه أبي ذر على المدينة مؤيدا لا دليلا، لأنه سيأتي: أنه قد حضر إلى المدينة حينما أسلم سلمان، بسبب ما رآه من علامات النبوه في الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقد شهد على كتاب عتق سلمان. كما أن ذلك لا يدل إلا على تأخر غزوه ذات الرقاع عن الخندق، ولا يدل على كونها في السنه السابعه، أو غيرها.

ب: بالنسبه لروايه ابن عمر نقول: إنها لا تدل إلا على أن ذات الرقاع قد كانت بعد الخندق، ولا تدل على أكثر من ذلك.

أضف إلى ذلك: أنه لم ينص على اسم الغزوه، بل ذكر أن ذلك قد حصل في غزوه نجد، فلعل هناك غزوات أخرى قد كانت قبل نجد، وقد صلى فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلاه الخوف أيضا.

إلا أن يقال: إن غزوه نجد المعهوده في كلماتهم منحصره بذات الرقاع.

ج: وروايه أبي هريره، يرد عليها نفس ما يرد على روايه ابن عمر.

كلام الدمياطي:

وقد اتضح من جميع ما تقدم: أنه لا يصغى لقول الدمياطي: إن ما ورد عن أبي موسى في حضوره غزوه ذات الرقاع غلط، لأن جميع أهل السير على خلافه (٢).

وذلك لأن كلام أهل السير لا عبره به إذا قام الدليل على خطأهم ٦.

١- راجع المصادر المتقدمه.

٢- فتح الباري ج ٧ ص ٣٢٢ و راجع: المواهب اللدنيه ج ١ ص ١٠٦.

فيه، و قد ثبت عن أهل البيت، و كذلك سائر ما قدمناه من أدله: أن ذات الرقاع قد كانت فى الحديدية، فلا مجال للشك فى ذلك، أو التشكيك فيه.

دليل الرأى الآخر:

و بعد ما تقدم نقول: قد يقال: إن الراجح هو أن تكون غزوه ذات الرقاع قبل الخندق. و مستند ترجيح ذلك ما يلى:

١- ما روى من أن جابرا قد دعا النبى صلى الله عليه و آله وسلم يوم الخندق إلى طعام فى بيته، صنعته زوجته لهم فى قصه مفصله ظهرت فيها كرامه لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فى ذلك الطعام (١).

و فى غزوه ذات الرقاع لم يكن النبى صلى الله عليه و آله وسلم يعلم شيئاً عن تزوج جابر بأى من النساء منذ استشهد أبوه فى أحد، حيث سأله، إن كان قد تزوج أم لا، ثم لما أجابه بالإيجاب، عاد فسأله، إن كانت التى تزوجها بكراً أو ثيباً فى محاوره جرت بينهما ستأتى إن شاء الله.

و قد صرح له فيها: بأنه إنما اختارها ثيباً لأجل أن أباه مات و ترك له أخوات يحتجن إلى من يجمعهن و يمشطهن، و يقوم عليهن (٢).

و نقول:

إن هذا النص لا- يكفى لمعارضه الأدله المتقدمه، و ذلك لا- مكان المناقشه فى دلالتة على المطلوب من حيث أنه يمكن أن يكون جابر قد.

١- صحيح البخارى ج ٣ ص ٢١ و ستأتى سائر المصادر فى غزوه الخندق إن شاء الله. الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج ٨ ٢٨١ دليل الرأى الآخر: ص : ٢٨١ وه للبيهقى ج ٣ ص ٣٨١ و ٣٨٣ و المغازى للواقدى ج ١ ص ٣٩٩- ٤٠١ و نهايه الإرب ج ١٧ ص ١٦١ و ١٦٢ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٦٦ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٨٦ و ٨٧ و الثقات ج ١ ص ٢٥٨.

انفصل عن زوجته الأولى بموت لها أو طلاق. أو تكون قد أصبحت لسبب أو لآخر عاجزه عن القيام بمسؤولياتها تجاه أخواته، و كان صلى الله عليه وآله وسلم يعلم بذلك، و يعلم أن جابرا قد كان بصدد الزواج من جديد، فجرت المحاوره بينه و بين جابر على النحو المذكور، و كان اعتذار جابر عن اختيار الثيب هو ذلك. و لا يجب أن يكون صلى الله عليه وآله وسلم عارفا بما تركه جابر من بنات، أو كان صلى الله عليه وآله وسلم عارفا، و لا يمنع ذلك جابرا من جعل ذلك هو العذر لاختياره الثيب للزواج.

غزوتان أم غزوه واحده:

قد أشار البيهقي إلى احتمال أن تكون ذات الرقاع اسما لغزوتين، إحداهما قبل خيبر، و الأخرى بعدها (١).

و قال الذهبي: (و الظاهر أنهما غزوتان) (٢).

و نقول:

إن منشأ هذا الاحتمال هو روايه أبي موسى الأشعري السابقه. و قد تقدم: أن أبا موسى قال: (و نحن في سته نفر بيننا بعير) و هذا يقرب أن يكون أبو موسى يتحدث عن غزوه ثانيه أطلق عليها اسم غزوه ذات الرقاع أيضا.

و لكننا في قراره أنفسنا نشك في وجود غزوه من هذا القبيل؛ فإنه يبعد أن يقوم بغزوه يكون قوامها سته نفر فقط لا غير!!.

-
- ١- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٣ و فتح الباري ج ٧ ص ٣٢١ و ٣٣١ و راجع: السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧١ و راجع ص ٢٧٠ و حبيب السير ج ١ ص ٣٥٧ و راجع: زاد المعاد ج ٢ ص ١١١ و راجع: المواهب اللدنيه ج ١ ص ١٠٦.
- ٢- تاريخ الإسلام (المغازي) ص ٢٠١ و راجع فتح الباري ج ٧ / ٣٢٢ / ٣٢٣ و راجع: وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٠.

و لعل المراد: أن الذين كانوا يعتقبون الجمل مع أبي موسى - كانوا سته أشخاص، في ضمن جيش كثيف يقوده النبي في غزوه ذات الرقاع.

من استخلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم على المدينة:

يظهر من عدد من المؤرخين: أنهم يرجحون أن يكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد استخلف على المدينة في حال غيابه عنها إلى غزوه ذات الرقاع أبا ذر الغفاري، وليس عثمان بن عفان. لأنهم ذكروا الأول بصورة طبيعية، ثم عقبوا ذلك بالإشارة إلى توليه عثمان بلفظ قيل (١) و إن ادعى ابن عبد البر: أن عليه الأكثر ..

و قد ناقش في أن يكون أبو ذر هو المتولى لها بأن أبا ذر لما أسلم رجع إلى بلاد قومه، فلم يجىء حتى مضت بدر و أحد، و الخندق (٢).

و لكن هذه المناقشه موضع نظر:

أولاً: لأن ثمة ما يدل على قدوم أبي ذر إلى المدينة قبل الخندق، حيث إنه قد شهد على كتاب عتق سلمان و هو مؤرخ في السنه الأولى للهجره (٣). دم

١- راجع: السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢١٤ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧١، و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ٢ قسم ٢ ص ٢٨ و زاد المعاد ج ٢ ص ١١٠ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٦٠ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٨٣ و نهايه الإرب ج ١٧ ص ١٥٨ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٤.

٢- راجع: السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧١ و السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢١٤.

٣- ذكر أخبار أصبهان ج ١ ص ٥٢ و تاريخ بغداد ج ١ ص ١٧٠ و راجع كتاب العتق أيضا في: تهذيب تاريخ دمشق ج ٦ ص ١٩٩ و مجموعه الوثائق السياسيه ص ٣٢٨ عن الأولين و عن جامع الآثار في مولد المختار محمد بن ناصر الدين الدمشقي، و طبقات المحدثين بأصبهان ج ١ ص ٢٢٦ و ٢٢٧ و نفس الرحمان في فضائل سلمان ص ٢٠ / ٢١ عن تاريخ كزيده، و مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٤٠٩ عن أكثر من تقدم

و ثانيا: هناك حديث آخر يذكر فيه أن أبا ذر كان حين قضيه سلمان فى المدينة، و ذلك حين كان فى حائط لمولاته، ف جاء النبى صلى الله عليه و آله وسلم و على عليه السلام، و أبو ذر، و المقداد، و عقيل، و حمزه و زيد بن حارثه، و لم يكن سلمان يعرفهم .. ثم ذكر قصته معهم و العلامات التى وجدها فى النبى صلى الله عليه و آله وسلم . و بعض أسانيد هذه الروايه صحيحه فراجع المصادر (١).

و ثالثا: يؤيد ذلك مؤاخاه النبى صلى الله عليه و آله وسلم فيما بين سلمان و أبى ذر (٢).

إلا أن يدعى: أنه إنما آخى بينهما بعد غزوه الخندق فلاحظ!.

و رابعا: إن ما ذكروه إنما يتم بناء على ما قيل من أن غزوه ذات الرقاع قد كانت قبل غزوه الخندق. و أما بناء على ما هو الصحيح من أنها إنما كانت بعد خيبر، فلا يبقى محذور فى أن يكون أبو ذر هو الذى ولى المدينة، بعد قدومه إليها بعد الخندق.

تضحيات عباد بن بشر:

و فى غزوه ذات الرقاع نزل رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم ليلا، و كانت ليله ذات ریح. و كان نزوله فى شعب استقبله. فقال: من رجل يكلؤنا هذه الليله، ١.

١- راجع: البحار ج ٢٢ ص ٣٥٨ و إكمال الدين ج ١ ص ١٦٤/١٦٥ و روضه الواعظين ص ٢٧٦-٢٧٨، و الدرجات الرفيعه ص ٢٠٣ عن إكمال الدين و نفس الرحمان ص ٥ و ٦ و ٢٢ عن إكمال الدين، و الراوندى فى قصص الأنبياء، و روضه الواعظين، و الحسين بن حمدان، و الدر النظيم.

٢- راجع: بصائر الدرجات ص ٢٥ و الكافى ج ١ ص ٣٣١ و ج ٨ ص ١٦٢ و الغدير ج ٧ ص ٣٥ عنهما. و اختيار معرفه الرجال ص ١٧ و البحار ج ٢٢ ص ٣٤٣ و ٢٤٥ و مصابيح الأنوار ج ١ ص ٣٤٨ و قاموس الرجال ج ٤ ص ٤١٨ و نفس الرحمان ص ٩١.

فقام عباد بن بشر أو عماره بن حزم. و قام أيضا عمار بن ياسر، فقالا: نحن يا رسول الله نكلؤكم.

و عباره البعض: انتدب رجل مهاجرى، و آخر أنصارى فجلسا على فم الشعب، فقال عباد لعمار: أنا أكفيك أول الليل، و تكفينى آخره، فنام عمار، و قام عباد يصلى.

و كان زوج بعض النسوة اللاتى أصابهن رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم غائبا، فلما جاء و عرف ما جرى، تتبع الجيش، و حلف لا ينثنى حتى يصيب محمدا، أو يهريق فى أصحاب محمد دما.

فلما رأى سواد عباد قال: هذا ريئه القوم، ففوق سهما فوضعه فيه، فانتزعه عباد، فرماه بآخر، فانتزعه. فرماه بثالث فانتزعه كذلك. فلما غلبه الدم أيقظ عمارا، فلما رأى ذلك الرجل عمارا جلس علم أنه قد نذر به فهرب.

فقال عمار لعباد: ما منعك أن توقظنى له فى أول سهم يرمى به؟

فقال: كنت أقرأ فى سورة الكهف فكرهت أن أقطعها- أضاف فى نص آخر: فلما تابع على الرمى أعلمتك.

و فى نص آخر: أنه صلى الله عليه و آله وسلم جعلهما بإزاء العدو فرمى أحدهما بسهم و هو يصلى، فأصابه، و نزفه الدم و لم يقطع صلاته، ثم رماه بثان و ثالث و هو يصيبه و لم يقطع صلاته.

و يقال: إن عبادا قال معتذرا عن إيقاظ صاحبه: لو لا أنى خشيت أن أضيع ثغرا أمرنى به رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم ما انصرفت و لو أتى على نفسى (١). نن

١- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧١ / ٢٧٢. و الكامل فى التاريخ ج ٢ ص ١٧٥ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٢٢٨ / ٢٢٩ و زاد المعاد ج ٢ ص ١١١ / ١١٢ و السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢١٨ / ٢١٩ و المغازى للواقدي ج ١ ص ٣٩٧ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٦٤ و ١٦٥ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٨٥ و ٨٦ و راجع السنن

و يقال: إن الأنصاري هو عماره بن حزم (١).

قال الحلبي الشافعي: (و بهذه الواقعة استدلل أئمتنا على أن النجاسه الحادثه من غير السبيلين لا تنقض الوضوء؛ لأنه صلى الله عليه و آله وسلم علم ذلك و لم ينكره.

و أما كونه صلى مع الدم، ففعل ما أصاب ثوبه و بدنه منه قليل.

و لا ينافي ذلك ما تقدم في الروايه قبل هذه: فلما غلبه الدم. إذ يجوز مع كونه كثيرا أنه لم يصب ثوبه و لا بدنه إلا القليل منه) (٢).

تسجيل تحفظ:

و نحن و إن كنا لا نملك معطيات كثيره في مجال البحث حول هذه، القضية، إلا أننا نرتاب في أن يكون الذي تعرّض للسهم هو خصوص عباد بن بشر، لأننا نشعر من خلال مراجعه ما لدينا من نصوص حول هذا الرجل: أنه كان موضع اهتمام فريق خاص يعنى بتسجيل الكرامات له.

فراجع ترجمته (٣).

كما أن ما ذكر آنفا لتصحيح صلاه عباد بالدماء ليس كافيا في ذلك ٥.

١- دلائل النبوه للبيهقي ج ٣ ص ٣٧٩.

٢- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٢.

٣- الإصابه ج ٢ ص ٢٦٣ و الاستيعاب (مطبوع بهامش الإصابه) ج ٢ ص ٤٥٢-٤٥٦ و أسد الغابه ج ٣ ص ١٠٠ و ١٠١ و سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٣٣٧-٣٤٠ و في هامشه عن المصادر التاليه: طبقات ابن سعد ج ٣ قسم ٢ ص ١٦ و طبقات خليفه ص ٥٨ و تاريخ خليفه ص ١١٣ و التاريخ الصغير ص ٣٦ و الجرح و التعديل ج ٦ ص ٧٧ و مشاهير علماء الأمصار ص ١١٣ و الاستبصار ص ٢٢٠-٢٢٢ و تاريخ الإسلام ج ١ ص ٣٧٠ و العبر ج ١ ص ١٥.

كما هو ظاهر.

مع الحدث فى مراميه و دلالاته:

إن من الواضح: أن حرب بدر بكل ظروفها، و أحداثها و ملاساتها قد أفنعت أهل الإيمان بأن الجهاد ليس مجرد إنجاز عسكري يتجلى، و يتجسد من خلال جهد يبذل فى ساحة القتال، تتجلى فيه فاعليه السلاح المتفاعل مع عنصرى الشجاعه الذاتيه من جهه، و الطموح من جهه أخرى، حيث يرسم معالمهما جهد تربوى، و تعليمى، و شحن روحى و نفسى، بالإضافة إلى تأثير النواحي التنظيمه، و ما يتبع ذلك من تخطيط عسكري مستند إلى الخبرات الواسعه، و الدراسات المعمقه، إلى أن ينتهى الأمر بحسن الأداء. و الدقه فى التنفيذ و الالتزام.

إن حرب بدر ثم ما تلاها من حروب و أحداث، و كذلك ما سبقها من ذلك أيضا قد أفنعت أهل الإيمان: بأن الحرب ليست هى مجرد ما ذكرناه آنفا.

و إنما الحرب و الجهاد عباده و فناء فى ذات الله، و باب قد فتحه الله و لكن ليس لكل أحد، و إنما لخاصه أوليائه، حيث يخرج من عالم و يدخل من ذلك الباب إلى عالم جديد بكل ما لهذه الكلمه من معنى. يعبر الإنسان فيه بوابه الموت ليصل إلى الحياه، و هى الحياه الحقيقيه التى يصبح فيها هؤلاء الأموات الأحياء شهداء على الناس. لأنهم أصبحوا قادرين على فهم الواقع بعمق. و من دون أية حواجز و موانع تقلل من درجه الإدراك، سواء كانت تلك الحواجز ماديه، و لو كانت هى نفس الوسائل التى يستخدمها الإنسان للحصول على العلم بما يحيط به من حوله، أو كانت من نوع الشهوات و الأهواء، و غيرهما مما يمنع من إدراك الأشياء على حقيقتها.

فالصلاه و الجهاد من سنخ واحد. فإذا كانت الصلاه تساعد الإنسان على ممارسه الجهاد الأكبر الذى هو جهاد النفس، فإن القتال و الحرب جهاد أصغر يمكن من دحر العدو الذى يهدف إلى تسديد الضربه إلى الإسلام و المسلمين، أو يهدف إلى سلب الإنسان المسلم حريه الرأى و حريه الاعتقاد، و حريه التفكير. و حريه الممارسه.

و لأجل هذه السنخيه بين الصلاه، و بين الجهاد، فإننا لا نستغرب بعد هذا أن يكون أولئك المجاهدون، الذين يقفون فى موقع متقدم لحمايته من الأعداء، تنصرف همتهم فى هذه المواقع بالذات إلى ممارسه الجهاد الأصغر، و التربيه النفسيه عن طريق ترويض النفس، و تربيتها بالصلاه التى هى عمود الدين.

فتكون الصلاه و العبادات هى الشغل الشاغل لهم فى هذه المواقع بالذات، حيث يرون أنفسهم فيها فيما بين الدنيا و الآخره، فتلين قلوبهم.

و تصبح نفوسهم أكثر شفافية و صفاء، و يصبحون أكثر شجاعه و صبرا و تحملا للمكاره ..

و ما قصه عباد و عمار المذكوره إلا شاهد صدق على ما نقول.

٢- إننا نلاحظ: أن الرجل الذى استهدفه ذلك المشرك بسهامه لم يوقظ رفيقه لانهمزاه أمام سهام ذلك العدو الغادر، و إنما من إحساسه بالمسؤوليه تجاه ما كلفه به النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، فهو يوقظه، لأنه يريد مواصله الصمود بذلك، لكى لا يضيع ثغرا من ثغور المسلمين. أى أنه لم يوقظه ليستعين به على الدفع عن نفسه، و ليجد فيه قوه له كفرد، و إنما أرادته ليحفظ الإسلام و ثغوره.

قصه غورث بن الحارث:

و يذكر المؤرخون و المحادثون هنا قصه مفادها:

إنه حين تحصّن بنو محارب في رأس جبل في غزوه ذات الرقاع قال لهم غورث بن الحارث: ألا أقتل لكم محمداً؟!

قالوا: بلى، و كيف تقتله؟!

قال: أفتك به. أى يقتله على حين غفله

فجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم و سيفه صلى الله عليه وآله وسلم في حجره، فقال: يا محمد، أرني أنظر إلى سيفك هذا (و كان محلي بفضه (١))، فأخذه من حجره؛ فاستله، ثم جعل يهزه، و يهّم به، فيكبته الله (أى يخزيه) ثم قال: يا محمد، أما تخافنى؟!

قال: لا، بل يمنعنى الله تعالى منك.

ثم دفع السيف إليه صلى الله عليه وآله وسلم فأخذه النبي صلى الله عليه وآله وسلم و قال: من يمنعك منى؟!

قال: كن خير آخذ.

قال: تشهد أن لا إله إلا الله، و أنى رسول الله ..

قال: أعاهدك على أنى لا أفاتلك، و لا أكون مع قوم يقاتلونك.

قال: فخلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبيله؛ فجاء قومه، فقال: جئتكم من عند خير الناس!!

زاد فى بعض المصادر قوله:

و أسلم هذا بعد، و كانت له صحبه (٢).رى

١- راجع: البدء و التاريخ ج ٤ ص ٢١٣ و السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢١٦.

٢- راجع: السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٢ و الكامل فى التاريخ ج ٢ ص ١٧٤ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٢٢٨ و بهجه المحافل ج ١ ص ٢٣٧ و شرحه مطبوع معه بهامشه و تاريخ ابن الوردى ج ١ ص ١٦٠ و أشار إلى ذلك أيضا فى: الوفاء ص ٦٩١ و زاد المعاد ج ٢ ص ١١١ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٣٧٦ و فتح البارى

زاد فى نص آخر قوله: فلما حضرت الصلاة صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلاة الخوف فكانت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أربع ركعات، وللناس ركعتين (١).

وفى بعض نصوص الرواية: أنه لما هم غورث برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (منعه الله عز وجل لذلك، وانكب على وجهه، فنزلت: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ (٢) الآية.

ولهذه الرواية نص آخر، لا يختلف كثيرا عما ذكرناه فراجع (٣).

قال القسطلانى وغيره: (و ذكر الواقدى فى نحو هذه القصة: أنه أسلم، ورجع إلى أهله، فاهتدى به خلق كثير) (٤).

قصة أخرى تشبه قصة غورث:

و هناك قصة أخرى يقال: إنها قد حصلت فى هذه الغزوة أيضا، ١.

-
- ١- دلائل النبويه للبيهقى ج ٣ ص ٣٧٦.
 - ٢- نهاية الإرب ج ١٧ ص ١٦٠ و البدء و التاريخ ج ٤ ص ٢١٣ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٦٣ و ١٦١ و ١٦٢ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٨٤ و ٨٥ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٢٢٨ و راجع: السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢١٦ و دلائل النبوه لأبى نعيم ص ٤٢٢-٤٢٤ و الدر المنثور ج ٢ ص ٢٦٦ عن ابن جرير، و ابن إسحاق، و أبى نعيم فى الدلائل، و ابن المنذر، و عبد بن حميد و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦١.
 - ٣- الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٦١ و ٦٢ و راجع: السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٢ و راجع: نهاية الإرب ج ١٧ ص ١٦٠.
 - ٤- المواهب اللدنيه ج ١ ص ١٠٧ و فتح البارى ج ٧ ص ٣٣١.

و هي تشبه قصه غورث. و قد استبعد البعض اتحاد القصتين، لاختلاف سياقهما.

و ملخصها: أنه صلى الله عليه و آله وسلم لَمَّا قفل راجعا إلى المدينة أدركته القائله يوما بواد كثير العظام، أى الأشجار العظيمه، التى لها شوكة، و تفرق الناس فى العظام يستظلون بالشجر، و نزل رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم تحت ظل شجره ظليله.

قال جابر: تركناها للنبي صلى الله عليه و آله وسلم ؛ فعلق صلى الله عليه و آله وسلم سيفه فيها؛ فمنا نومه فإذا رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم يدعوننا؛ فجئنا إليه؛ فوجدنا عنده أعرابيا جالسا؛ فقال:

إن هذا اخترط سيفى، و أنا نائم، فاستيقظت، و هو فى يده مصلتا، فقال لى: من يمنعك منى؟!!

قلت: الله.

قال ذلك ثلاث مرات.

فشام السيف، و جلس، فلم يعاقبه رسول الله.

و عند مسلم و البخارى، و فى فتح البارى: فهده أصحاب رسول الله، فاغمد السيف و علقه (١).ع.

١- راجع: السيره الحليه ج ٢ ص ٢٧٢ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ٢٠١ / ٢٠٢ و صحيح البخارى ج ٢ ص ١٠٠ و ١٠١ و ج ٣ ص ٢٤ و ٢٥ و صحيح مسلم ج ٧ ص ٦٢ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٦٢ و ١٦٣ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٨٤ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٣٧٣-٣٧٥ و بهجه المحافل ج ١ ص ٢٣٧ و فتح البارى ج ٧ ص ٣٣٠. و راجع: اعلام الورى ص ٧٨ و ٧٩ و البحار ج ٢٠ ص ١٧٥ و ١٧٦ عن مجمع البيان ج ٣ ص ١٠٣. و لكنهما ذكرا: أن ذلك كان فى غزوه محارب و بنى أنمار. و أنه صلى الله عليه و آله وسلم انصرف لأجل قضاء حاجته، و كان المطر يرش و جاء السيل قبل أن يفرغ من حاجته، فحال الوادى بينه و بين أصحابه. و كان العدو يرونهم، و لا يراهم المسلمون فأرسلوا غورث أو دعثور لقتل رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم ، فكان ما كان من دفع جبرئيل فى صدره. فراجع.

و فى روايه اخرى: (أنه جعل يضرب برأسه الشجره، حتى اتثر دماغه) (١).

زاد فى نص آخر قوله: (فأغمد السيف و علقه، فنودى بالصلاه، فصلى بطائفه ركعتين ثم تأخروا) و ذكر صلاه الخوف) (٢).

و نص آخر يقول: (كان قتاده يذكر نحو هذا و يقول: إن قوما من العرب أرادوا أن يفتكوا بالنبي صلى الله عليه و آله وسلم؛ فأرسلوا هذا الأعرابي، و يتلو:

و اذكروا نعمه الله عليكم، إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم الخ) (٣).

و نقول:

إننا نشك فى صحه هذه القصه و تلك، على حد سواء.

و نذكر القارىء بأن هذه القصه تشبه قصه دعثور، التى يقال: إنها كانت فى غزوه ذى أمر، بل لقد قال البعض إنهما قضيه واحده (٤). كما أنها تشبه قصه عمرو بن جحاش، التى يقال: إنها قد حصلت فى غزوه بنى النضير (٥).

و قد تحدثنا عن القصه الأولى فى الجزء الرابع من هذا الكتاب فى فصل.

و أشرنا إلى الإشكال فى الثانيه فى فصل: الجزء الأوفى، تحت ٤.

١- شرح بهجه المحافل ج ١ ص ٢٣٧ عن البغوى فى التفسير.

٢- دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٣٧٥ عن صحيح مسلم.

٣- دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٣٧٤.

٤- راجع: السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٢ و راجع: السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٥ و راجع: فتح البارى ج ٧ ص ٣٣١ و راجع بهجه المحافل ج ١ ص ٢٣٧.

٥- السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢١٦ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٦٢ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٨٤ و راجع: السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٤ و ٢٦١ و البدء و التاريخ ج ٤ ص ٢١٢ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ١٢١ و فتح البارى ج ٧ ص ٢٥٥ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٤.

عنوان: نزول آيه سورة المائدة في بنى النضير.

و (في الشفاء: و قد حكيت مثل هذه الحكاياه: أنها جرت له يوم بدر، و قد انفرد عن أصحابه لقضاء حاجته، فتبعه رجل من المنافقين، و ذكر مثله) (١).

و نكتفى هنا بالإشارة إلى ما يلي:

أولاً: إن هذه القضايا لا يمكن قبولها؛ لأنها تصور لنا رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم بصورة إنسان بسيط و ساذج، لا يفكر بعواقب الأمور، بل يخدعه أعرابي، دون أن يستعمل أى أسلوب متميز، بل هو لا يزيد على أن طلب منه أن يعطيه سيفه، لينظر إليه.

و معنى ذلك هو أن هذا النبى، الذى يطلب من أى مؤمن عادى أن يكون كيسا و فطنا، و حذرا (٢)، لم يلتزم هو بأبسط قواعد الحذر أو الكياسه و الفطانه، و قد أمر الله المؤمنين بالحذر فى صلاه الخوف، و أمرهم بذلك أيضا فى قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ؛ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ، أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا (٣).

و ثانيا: إن هذا النبى الكريم و العظيم صلى الله عليه و آله و سلم هو الذى أمر باتخاذ الحرس للجيش يطوفون به، و كان مواظبا على الاستعانه بهم، و الاعتماد عليهم فى غزواته (٤). و ك

١- شرح بهجه المحافل ج ١ ص ٢٣٧.

٢- راجع: الخصال ج ١ ص ١٠٠ / ٩٩ و عيون أخبار الرضا ج ١ ص ٢٥٧ و البحار ج ٦٨ ص ٣٣٩ و ج ٦٤ ص ٣٠٧.

٣- سورة النساء: ٧١.

٤- راجع فى جعل النبى الحرس أفرادا، و جماعات: المغازى للواقدى و ج ٢ ص ٦٠٢ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ٩٣ و تاريخ الخميس ج ١ من ٤٢٢ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٢١ و شرح النهج للمعتزلى ج ٤ ص ٢٢٨ و تاريخ الأمم و الملوك

و أين كان عنه على عليه السلام الذى كان يتولى حراسته بنفسه، فى الحضر، و فى السفر، و كان فى حرب بدر و الحرب قائمه لا يزال يتفقد رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم فى موضعه (١).

و كان هو المدافع عنه و الحامى له فى حرب أحد. و فى غيرها.

و كان له فى مسجد النبى صلى الله عليه و آله وسلم أسطوانه أمام الحجره. يجلس إليها لحراسته صلى الله عليه و آله وسلم (٢).

و زعموا: أن غير على عليه السلام أيضا كان يحرس النبى صلى الله عليه و آله وسلم (٣).

و ثالثا: كيف يترك جيش بأكمله قائدهم، و نبههم وحيدا فريدا فى غابه، تكثر فيها المفاجئات، و لا يلتفت و لو واحد منهم إلى رجل يتسلل إلى موضعه صلى الله عليه و آله وسلم، حتى يهدد حياته بخطر أكيد؟، ثم ينجيه الله منه.

و هل نام الجيش بأكمله فى آن واحد؟!

و رابعا: قد ذكرت بعض النصوص ما يفيد: أن النبى صلى الله عليه و آله وسلم قد صلى بأصحابه صلاه الخوف فى هذه المناسبه، مع أنه لم يكن - حسبما يستظهر من تلك النصوص - يواجه عدوا يخشاه. بل كان ذلك فى طريق عودته إلى المدينه. و إن كان يظهر من بعض الروايات الأخرى: أن ذلك كان حينما كان رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم يواجه أعداءه فى غزوه ذات الرقاع.٣.

١- راجع: البدايه و النهايه ج ٣ ص ٢٧٥ و ٢٧٦ عن البيهقى، و عن النسائى فى اليوم و الليله و حياه الصحابه ج ١ ص ٥٠٢ عنه و عن كنز العمال ج ٥ ص ٢٦٧ عن الحاكم و البزار، و أبى يعلى، و الفريابى.

٢- وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٤٨.

٣- الإصابه ج ٢ ص ٤٢٨ و التراتيب الإداريه ج ١ ص ٣٥٧ و صحيح مسلم ج ٧ ص ١٢٤ و الجامع الصحيح ج ٥ ص ٦٥٠ و ٦٥١ و مسند أحمد ج ١ ص ٣٩١ و ٤٥٠ و ج ٤ ص ١٣٤ و التراتيب الإداريه ج ١ ص ٣٥٦ و ٣٩٢ و ٣٩٣.

و خامسا: قد ذكرنا فيما سبق أن آيه: اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ، قد وردت في سورة المائدة الآية / ١١. و هي قد نزلت قبل وفاه النبي صلى الله عليه و آله وسلم بشهرين أو ثلاثه دفعه واحده على رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم (١).

إلا أن يدعى تكرار نزول الآية، و هو يحتاج إلى إثبات، ما دام أنه لا يمكن إبقاء آيه معلقه بالهواء، عدده سنوات و القرآن ينزل، ثم تنزل سورة، فيأتي بها و يضعها فيها.

و سادسا: الآية ذكرت: أن قوما قد هموا أن يبسطوا أيديهم لضرب المسلمين، و هي لا تناسب شخصا واحدا كما هو مورد البحث هنا. و من يدري. فقد تكون هذه الآية قد نزلت في الذين تأمروا على النبي صلى الله عليه و آله وسلم ليله العقبه، لينفروا به ناقته، و يقتلوه.

و سابعا: (٢) يلاحظ مدى التناقض فيما يرتبط بمصير هذا الرجل الذي تقول روايه: إنه ضرب رأسه بالشجره حتى انتثر دماغه، و أخرى تقول: إنه أسلم و اهتدى به خلق كثير.

و تناقض آخر، و هو أنه لما دعا رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم أصحابه، وجدوا رجلا جالسا عنده، فأخبرهم النبي صلى الله عليه و آله وسلم بما جرى له معه. و في روايه ٤.

١- البرهان في تفسير القرآن ج ١ ص ٤٣٠ و الدر المنثور ج ٢ ص ٢٥٢ عن أحمد، و أبي عبيد في فضائله، و النحاس في ناسخه، و النسائي، و ابن المنذر، و الحاكم و صححه، و ابن مردويه، و البيهقي في سننه، و الترمذي، و حسنه، و سعيد بن منصور، و ابن جرير. و ممن صرح أنها نزلت دفعه واحده كما في المصدر المتقدم: أحمد، و عبد بن حميد، و ابن جرير، و الطبراني، و محمد بن نصر في الصلاه، و أبو نعيم في الدلائل و البيهقي في شعب الإيمان. و البرهان ج ١ ص ٤٣٠.

٢- راجع ما تقدم في السير الحلييه ج ٢ ص ٢٧٣-٢٦٤.

أخرى: إنهم تهددوه حتى اغمد السيف. و في النص الأول المتقدم: أنه ردّ السيف إلى النبي صلى الله عليه و آله وسلم . و في نص رابع: أن جبريل دفع في صدره فوق السيف من يده (١). إلى تناقضات أخرى يستطيع من يقارن بين نصوص الروايات أن يقف عليها، و يلتفت إليها.

ثامنا: لماذا يعيد غورث بن الحارث السيف إلى رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم، حسبما ذكرته الروايه الأولى!؟

هذا كله عدا عن عدم معقوليته أن يضرب رأسه حتى ينتثر دفاعه، سوف يغمر عليه من أول ضربه شديده يتعرض لها رأسه.

نقول ذلك كله مع أننا على يقين من أن من الممكن أن يتسلل بعض الناس إلى جهة النبي صلى الله عليه و آله وسلم، في ظروف معينه. و لكن لا بهذه الطريقه و لا على حساب كرامه النبي صلى الله عليه و آله وسلم، حين يكون الهدف هو النيل من شخصيته بصوره أو بأخرى.

القصة الأقرب إلى القبول:

و نعتقد: أن القصة الأقرب إلى القبول هي ما رواه أبان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال:

(نزل رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم في غزوه ذات الرقاع تحت شجره، على شفير واد، فأقبل سيل، فحال بينه و بين أصحابه، فرآه رجل من المشركين، و المسلمون قيام على شفير الوادى ينتظرون متى ينقطع السيل، فقال رجل من المشركين لقومه: أنا أقتل محمدا.

فجاء و شد على رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم بالسيف، ثم قال: من ينجيك منى يا محمد؟..

فقال: ربى و ربك.

ففسفه جبرئيل عليه السلام عن فرسه فسقط على ظهره. فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، و أخذ السيف و جلس على صدره و قال: من ينجيك منى يا غورث؟!

فقال: جودك و كرمك يا محمد.

فتركه، فقام، و هو يقول: و الله، لأنت خير منى و أكرم) (١).

كيف نفهم هذه القصة!؟

و بعد، فإنه إذا كان لهذه القصة أصل، و قبلنا منها ما يتوافق مع الضوابط العامة، و مع النظره الواقعيه لشخصيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، و مع الظروف التى كانت قائمه آنذاك.

و بعد أن تصبح عناصر القصة فى حدود المعقول و المقبول، فإننا إذا أردنا أن نستفيد منها فى مجال التقييم و التقويم، فإن ما يمكن أن نقوله هو:

إن الله لم يزل يرعى نبيه، و يظهر له المزيد من الكرامه، و يحوطه بالطفاه، و يكلؤه، و يحفظه، و يصونه.

و يلفت نظرنا هنا تأثير جواب النبى صلى الله عليه وآله وسلم لذلك الرجل بأن الله هو الذى يمنعه منه، فى ظرف لم يكن ذلك الرجل يفكر بالله سبحانه، و لا يخطر فى باله أن يتدخل الله فى موقف كهذا النصره أى من الفريقين، و رأى من ثقته النبى صلى الله عليه وآله وسلم بالله و اعتماده عليه حتى إنه لم يتطرق ذره من الخوف إلى قلبه الشريف حتى فى موقف كهذا- رأى من ذلك ما أربه، و هز كيانه، و أثار أمامه أكثر من سؤال، فتزعزت الثوابت التى كانت ٩.

تتحكم فى كيانه و تهيمن على وجوده. فلم يعد ثمه ما يحمى له قراره بقتل محمد، و أصبحت اليد الممدوده ليس لها مدد من إرادته، و لا رافد من عزيمته، فكان من الطبيعى أن تسقط، و يسقط السيف الذى كانت تحمله.

ثم لما رأى السيف فى يد النبى، و رجع إلى كيانه و وجوده، فرآه موزعا و خاويا. و راجع حساباته، كلها، فرأى أنه لا يملك أى رصيد يخوله أن يعتمد عليه، و يستند إليه، كان لا بد له من الاعتراف بأن لا أحد يمنع أو يدفع عنه، فما دام الله ليس معه، فإنه لا أحد معه، و هذه حقيقته لا بد من الاعتراف بها و الانصياع لها قبل فوات الأوان، و هكذا كان.

ص: ٢٩٩

الفصل الثاني: حدث و تشريع

اشاره

ماذا فى هذا الفصل!؟

إننا لاستكمال الحديث عن الأمور المرتبطه بغزوه ذات الرقاع نتحدث فى هذا الفصل عن عدہ أمور بالترتيب التالى:

١- إنهم يقولون: إن صلاه الخوف قد شرعت فى غزوه ذات الرقاع، و صلاها النبى صلى الله عليه و آله و سلم بأصحابه فيها، و هى أول صلاه خوف فى الإسلام.

و نحن نرى: أن ذلك غير سليم، و أن صلاه الخوف قد شرعت فى الحديبيه، و هى قبل ذات الرقاع. بل قد يقال: إنها قد شرعت قبل الحديبيه أيضا.

٢- ثم نشير إلى الاختلافات الوارده فى كيفية صلاه الخوف.

٣- و نتحدث أيضا بإجمال عما يقال عن عدم صلاه الخوف فى غزوه الخندق، لأنها لم تكن شرعت آنئذ ..

٤- ثم نعقب ذلك بفلسفه تحليليه لتشريع صلاه الخوف فى حدود ما تسمح به المناسبه.

٥- ثم نتوجه إلى الحديث عن قصر الصلاه، حيث يقال: إن ذلك قد حدث فى غزوه ذات الرقاع أيضا.

٦- ثم نستطرد فى الحديث إلى موضوع آخر يرتبط بقصر الصلاه،

و هو ما اشترطته الآيه للقصر، من كونه فى مورد خوف الفتنة، و ذلك من أجل بيان المراد من هذا الشرط، ثم المبرر لإدراجه فى الآيه الشريفه.

٧- و لا ننسى أن نستطرد أيضا إلى موضوع قصر عثمان للصلاه فى منى و عرفات فى أيام الحج، و ما نشأ عن ذلك و ما انتهى إليه. و نذكر أيضا أعدارا و توجيهات لهذا الأمر لا يمكن أن تصح، و لا يصح الاعتماد عليها.

٨- ثم نختم الحديث عن هذا الموضوع بالإشارة إلى أن القصر فى السفر رخصه أم عزيمه، من أجل أن يتضح المقصود من آيه القصر، حيث إن الحديث عن القصر فيها إنما هو بصيغته: ليس عليكم جناح أن تقصروا.

٩- و أما الحديث عن أن آيه التيمم قد نزلت فى غزوه ذات الرقاع أيضا فنرجئه إلى الحديث عن غزوه المريسيع بعد الخندق، حيث يتم التعرض له هناك إن شاء الله تعالى ..

هذه خلاصه ما سوف نتحدث عنه فى هذا الفصل، و أنت ترى: أنه كله حديث عن تشريعات ادعى أنها قد حصلت فى غزوه ذات الرقاع. ثم استطرادات مفيده فى نطاق الحديث عن هذه التشريعات.

و نحن نرجو أن يكون فصلا مفيدا للقارىء و ممتعا له فى نفس الوقت .. فإلى ما يلى من مطالب، و من الله نستمد العون و القوه، و عليه نتوكل ..

صلاه الخوف:

يقال: إن صلاه الخوف قد شرعت فى غزوه ذات الرقاع. حيث إنه صلى الله عليه و آله و سلم فى هذه الغزوه واجه جمعا من الأعداء (فتقارب الجمعان، و لم يكن بينهما حرب. و قد خاف بعضهم بعضا، من غير أن يغيروا عليهم، فصلى بهم النبى صلى الله عليه و آله و سلم صلاه الخوف، ثم انصرف

و هي أول صلاه خوف في الإسلام (٢).

و نقول:

إننا نسجل هنا ما يلي:

١- قولهم: إنها أول صلاه خوف صليت في الإسلام لا تؤيده الروايات على اختلافها؛ فقد ذكروا- وإن كنا قد رددنا ذلك فيما يأتي- أن صلاه الخوف إنما شرعت في غزوه بني النضير (٣) و هي قبل غزوه ذات ٢.

١- راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٤ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٤ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ٢ قسم ٢ ص ٢٨/٢٩ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧١ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٠٠ و المغازي للواقدي ج ١ ص ٣٩٦ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٦٠ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٨٣ و راجع: صحيح البخاري ج ٣ ص ٢٤ و ٢٥ و راجع: الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٧٤ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٢٢٧ و أنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٠ و راجع: طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٦١ و تفسير البرهان ج ١ ص ٤١١ عن من لا يحضره الفقيه و الثقات ج ١ ص ٢٥٨ و زاد المعاد ج ١ ص ١١٠ و السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢١٤ و راجع: نصب الرايه ج ٢ ص ٢٤٦ و ٢٤٧ و راجع صحيح مسلم (باب صلاه الخوف) ج ٢ ص ٢١٤ و نهايه الإرب ج ١٧ ص ١٥٨ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١٠٧ و الدر المنثور ج ٢ ص ٢١٢ و ٢١٣ عن أبي داود، و ابن حبان، و الحاكم و صححه و البيهقي، و عن مالك، و الشافعي، و ابن أبي شيبه، و عبد بن حميد، و البخاري و مسلم و الترمذي و النسائي و ابن ماجه و الدارقطني.

٢- حبيب السير ج ١ ص ٣٥٧ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ٦١ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١٠٧ و الجامع ص ٢٧٩ و راجع المصادر المتقدمه أيضا، فبعضها قد ذكر ذلك و نصب الرايه ج ٢ ص ٢٤٨ و ٢٤٩ عن الواقدي و غيره.

٣- راجع هذا القول في: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٤ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧١، و التنبيه و الإشراف ص ٢١٤ و حبيب السير ج ١ ص ٣٥٧ و السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢١٥ و نهايه الإرب ج ١٧ ص ١٥٩ و دلائل النبوه للبيهقي ج ٣ ص ٣٧٠ و صحيح البخاري ج ٣ ص ٢٣، و فتح الباري ج ٧ ص ٣٢٥ و بهجه المحافل ج ١ ص ٢٣٢.

الرقاع قطعاً.

٢- و من جهة أخرى ثمه روايات تقول: إن آيات صلاه الخوف قد نزلت في غزوه عسفان، فصلى بهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلاه الخوف- و في روايه الترمذى و ابن جرير: أن جبرئيل هو الذى علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم كيف يصلّيها، و ذلك، بين ضجنان، و عسفان. و عسفان كانت بعد الخندق (١).

٣- و سأل سليمان اليشكرى جابر بن عبد الله عن إقصار الصلاه أى يوم أنزل؟.

فقال جابر بن عبد الله: و غير قریش آتیه من الشام، حتى إذا كنا بنخل ... ثم ذكر ما جرى، و صلاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهم صلاه الخوف، ثم قال: فأنزل الله فى إقصار الصلاه (٢).

و لكن قال ياقوت: إن نخلا (موضع بنجد، من أرض غطفان مذكور فى غزاه ذات الرقاع) (٣). ٠.

١- الدر المنثور ج ٢ ص ٢١١ و ٢١٣ عن المصادر التاليه: عبد الرزاق، و سعيد بن منصور، و ابن أبى شيبه، و أحمد، و أبى داود، و عبد بن حميد، و النسائى، و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم، و الدارقطنى، و الطبرانى، و الحاكم، و صححه، و البيهقى، و الترمذى، و ابن جرير. و عن البزار عن ابن عباس، و عن أبى عياش الزرقى، و أبى هريره، و مجاهد. و فتح البارى ج ٧ ص ٣٢٧ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧١ و نصب الرايه ج ٢ ص ٢٤٨، و مسند أحمد ج ٤ ص ٥٩ و فى هامش نصب الرايه عن سنن أبى داود ج ٢ ص ١١ و ١٢ و سنن البيهقى ج ٣ ص ٢٥٧ و راجع: سنن النسائى ج ٣ ص ١٧٤ و الجامع الصحيح ج ٥ ص ٢٤٣ و المصنف للصنعانى ج ٢ ص ٥٠٤ / ٥٠٥ و جامع البيان ج ٥ ص ١٥٦ و سنن الدارقطنى ج ٢ ص ٥٩ و مستدرک الحاكم ج ١ ص ٣٣٧ و كشف الأستار عن مسند البزار ج ١ ص ٣٢٦.

٢- الدر المنثور ج ٢ ص ٢١١ عن عبد بن حميد، و ابن جرير، و جامع البيان و بغيه الألمعى (مطبوع مع نصب الرايه) ج ٢ ص ٢٤٨ و سنن النسائى ج ٣ ص ١٧٦.

٣- معجم البلدان- ط دار الكتب العلميه ج ٥ ص ٣٢٠.

و عن السهمودي، أنه قال: (حتى نزل نخلا، و هي غزوه ذات الرقاع) (١).

و قال السهمودي أيضا: (و كأن أبا حاتم رأى اتحادهما، فلم يذكر ذات الرقاع.

و هي بنخل عند بعضهم، فلذلك لم يذكرها أيضا) (٢).

و نقول: إن هذا اشتباه واضح، فإن نخلا إذا كانت بنجد لم يكن ثمة مناسبة بينها و بين عير قريش الآتية من الشام، فالمراد إذن هو نخل التي من جهة الشام دون سواها.

٤- و عن مجاهد أنه قال بالنسبة لصلاة الخوف في عسفان: (فلم يصل رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم صلاة الخوف قبل يومه، و لا بعده) (٣).

٥- عن جابر قال: غزا رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم ست غزوات قبل صلاة الخوف، و كانت صلاة الخوف في السنة السابعة (٤).

فالقول بأنها في ذات الرقاع، و ذات الرقاع في السنة الرابعة، لا يصح.

الروايه الاقرب إلى القبول:

و المعتمد عندنا في هذا المجال هو الروايه التي رواها علي بن ابراهيم عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن الإمام الصادق عليه السلام: ٨.

١- بغيه الألعى (مطبوع بهامش نصب الرايه) ج ٢ ص ٢٤٨ عن وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٨١.

٢- وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٨٠.

٣- الدر المنثور ج ٢ ص ٢١٤ عن ابن أبي شيبه، و ابن جرير، و راجع جامع البيان، ج ٥ ص ١٥٦.

٤- الدر المنثور ج ٢ ص ٢١٤ عن أحمد. و مسند أحمد ج ٣ ص ٣٤٨.

(فإنها نزلت لما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الحديبيه، يريد مكة، فلما وقع الخبر إلى قريش بعثوا خالد بن الوليد في ماء تى فارس كميناً يستقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [فكان يعارض رسول الله] على الجبال.

فلما كان في بعض الطريق، و حضرت صلاة الظهر، فأذن بلال، فصلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالناس.

فقال خالد بن الوليد: لو كنا حملنا عليهم، و هم في الصلاة لأصبناهم، فإنهم لا يقطعون صلاتهم، و لكن تجيء لهم الآن صلاة أخرى هي أحب إليهم من ضياء أبصارهم، فإذا دخلوا في الصلاة أغرنا عليهم.

فنزله جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بصلاة الخوف في قوله: (و إذا كنت فيهم الآية ..) (١).

ولا يعارض ذلك ما رواه ابن بابويه في الفقيه بسند صحيح إلى عبد الرحمان بن أبي عبد الله: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد صلى بأصحابه صلاة الخوف في ذات الرقاع؛ فإن هذه الرواية ليس فيها: أن جبرئيل قد نزل بصلاة الخوف آنئذ، و لا أن الآية قد نزلت أيضاً في غزوه ذات الرقاع. و إن كان الإمام عليه السلام بعد أن ذكر كيفية صلاته صلى الله عليه وآله وسلم بأصحابه صلاة الخوف، قد أورد الآية، مظهراً بذلك موافقه فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمضمونها، فراجع (٢).

فتشريع صلاة الخوف قد كان في الحديبيه التي كانت في سنة ست ثم صلاها صلى الله عليه وآله وسلم مره أخرى بأصحابه في غزوه ذات الرقاع، التي كانت في السنة السابعة حسبما قدمنا.

١- البرهان في تفسير القرآن ج ١ ص ٤١١.

٢- البرهان في تفسير القرآن ج ١ ص ٤١١ و من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٤٦٠ ط جماعه المدرسين.

كيفية صلاة الخوف:**إشارة**

قد اختلفت رواياتهم في كيفية صلاة الخوف التي صلاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مغازيه، حتى ليقول البعض:

(قد رويت صلاة الخوف على ستة عشر صوره كلها سائغ فعله) (١).

وقال آخر: (و رواء ذلك من الكيفيات المتباينات، و الخلافات المتعددهات بحسب اختلاف الروايات، ما يطول ذكره، و يعز حصره) (٢).

و قد أغنانا ذلك عن ذكر التناقضات الكثيره و الاختلافات الفاحشه بين الروايات المختلفه.

و الحل الأمثل هو الرجوع إلى أهل بيت النبوه، و معدن الرساله، فإنهم هم أحد الثقلين اللذين لن يضل من تمسك بهما، و هم سفينه نوح، من ركبها نجا، و من تخلف عنها غرق و هوى. و قد ذكروا أن صلاة الخوف في ذات الرقاع كانت قصرا (٣).

صلاة الخوف في غزوه الخندق:

و قد زعم البعض: أن صلاة الخوف لم تكن شرعت في غزوه الخندق، و إلا- لكان صلاها حينئذ، لأنهم حبسوه عن صلاة الظهرين و العشاءين فصلاهن جميعا. و ذلك قبل نزول صلاة الخوف (٤). ٧.

١- سيره مغلطاي ص ٥٣ / ٥٤ و راجع: الروض الأنف ج ٣ ص ٢٥٣ و شرح بهجه المحافل ج ١ ص ٢٣٤ و راجع: التنبيه و الإشراف ص ٢١٤ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٢٢٧.

٢- بهجه المحافل ج ١ ص ٢٣٣.

٣- البرهان في تفسير القرآن ج ١ ص ٤١١.

٤- راجع: زاد المعاد ج ٢ ص ١١١ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٠ و راجع: فتح الباري ج ٧ ص ٣٢٧.

و نقول:

إن هذا الاستدلال لا يصح، إذ لعل العدو كان في جهه القبلة فصلاها المسلمون إيماء أو كان الوضع الحربى لا يسمح بالصلاه جماعه بسبب تلاحم المقاتلين، و المناوشه بينهم، حيث يكفى فى هذه الحاله التهليل و التسبيح، و التحميد، و الدعاء، كما حدث فى صفيين ليله الهرير (١).

و سيأتى عدم صحه ما يذكرون حول هذا الأمر فى موضعه إن شاء الله تعالى ..

صلاه الخوف لما ذا؟!:

و لربما يراود ذهن البعض سؤال عن السبب فى الإصرار على الصلاه جماعه حتى فى حال الحرب، مع أن بالإمكان أن يصلى المسلمون فرادى متفرقين، مع الاحتفاظ بمواجهه العدو بالكثيره العديده فى ساحه القتال.

خصوصا مع اتساع الوقت لأداء الصلاه بصوره متواليه من العناصر، بحيث لا يخل ذلك بالحاله التى يتخذونها تجاه العدو بهدف إرهاقه. أو دفع شره.

و للإجابة على هذا السؤال لا بد لنا من الإشارة إلى أن هذا أمر مقصود لله عز و جل، لأنه يمثل مطلباً أساسياً فى أكثر من اتجاه.

فهو من جهه يمثل إصرار المسلمين على الجهر بمعتقداتهم، و ممارسه حقهم بحريه التعبير عنها، و حريه ممارسه شعائرهم الدينيه.

رضى الناس ذلك أم غضبوا.

كما أنه يمثل إظهاراً للالتزام بالقياده المثلى، و الاقتداء بها.

و التلاقى عليها و معها لتكون رمز وحده الأمه، من خلال وحده الهدف، ثم ٢.

وحده الموقف، و انتهاء بوحدہ المصير.

و من جهه أخرى، فإن هذا المظهر العبادى الوجودى التنظيمى و وحده الشعار، لا بد أن يثير لدى الأعداء أكثر من سؤال يرتبط بالموقف السياسى و العسكرى، الذى يتخذ ذلك العدو، و يتحرك و يتعامل معهم على أساسه و من خلاله، حتى إذا ما راجع حساباته فى هذا السبيل، فسوف يجد أنه لم يكن منطقيا، و لا منصفاً فى عدائه لهم، و لا فى موافقه منهم، التى اتخذها انطلاقاً من عدم قناعته بما اقتنعوا به، أو فقل: من عدم قبوله بما هم عليه. فهل عدم اقتناع شخص بأفكار، و معتقدات، و قناعات شخص آخر، يعطيه الحق فى تدمير ذلك الشخص و استئصاله من الوجود؟! ..

و هل إذا قال هؤلاء: ربنا الله، و ليس الصنم الفلانى، يستحقون أن يواجهوا بالحرب و بالحرمان و بالقطيعه، و بجميع أشكال الاضطهاد و التنكيل؟! ..

إن صلاه الخوف هذه لسوف تقنع هذا العدو بالذات أن ما يحاربهم من أجله، و يصرون هم عليه، إنما يعينهم هم أولاً و بالذات، و ليس له هو حق فى اتخاذ أى موقف سلبى منهم لأجل أمر يخصهم و يرجع إليهم. ف (لا إكراه فى الدين) فإن الدين يقوم على أساس القناعات، و على أساس المشاعر، و عقد القلب، و إحساسه بالأمن، و استشعاره الإيمان.

و لا يمكن أن يفرض هذا على أحد. و لا يتحقق الإكراه فيه.

و لا يملك أحد أن يصادر حريه الآخرين فى أن يعتقدوا ما شاؤا.

و لا يمكنه أن يمنعهم من ممارسه كثير مما يريدون ممارسته.

بل إن هذا يخضع للمنطق و للبرهان و للدليل أولاً. مع إعطاء دور رئيس لتكوّن عامل الثقه، و الصراحه و الصدق و الانصاف، و الحريه، و غير ذلك مما هو ضرورى فى مجال التحرك الواعى و المسؤول فى مجال

الدعوه لتحقيق الإستجابة الحقيقه و الواعيه و المسؤوله.

فصلاه الخوف شعار، و موقف. و بلاغ. و دعوه. و تصميم، و وحده.

و خلوص. و التفاف حول القياده. و تربيته، و تعليم. و تحدّ، ثم هي حرب نفسيه. و سلاح قاطع.

و ليس ثمه رساله أبلغ منها للعدو، ليعرف أن هؤلاء الناس، قد بلغوا من إصرارهم على مواقفهم، و تمسكهم بمبادئهم، و فنائهم فيها، حدا يجعلهم يرون قضيتهم، و دينهم و دعوتهم، هي الأهم من كل شىء، و أن حياتهم، و كل شىء يملكونه لا بد أن يكون لها و من أجلها، و فى سبيلها.

و هم يمارسون ذلك عملا، و يقدمون على البذل و العطاء فى سبيله، بكل رضا و محبه، و صفاء و سخاء.

و من جهه ثانيه: إن ذلك يؤكد للإنسان المسلم مدى أهميه الصلاه، حتى إنها لا تترك بحال، حتى للغريق المشرف على التلغ، و حتى للمقاتل الذى يواجه الأخطار الكبرى على حياته و وجوده ..

و تأتى الصلاه فى هذه الحال بالذات- حال الخوف- لتربط الإنسان بمصدر الأمن، و السلام، و الطمأنينه للقلوب، و انسجام المشاعر و تلاقيها، ليعيش الإنسان فى الآفاق الملكوتيه روح الطهر و الخلوص. ليصبح قادرا على التخلص مما يربطه بهذه الدنيا، و يشده إلى الأرض ليخلد إليها، و يحجبه ذلك عن مصدر القدره، و عن الانطلاق فى رحابه، و فى آفاق ملكوته، و معانيه آلائه، و تلمسها، و التصديق بها.

قصر الصلاه:

و قالوا: إن الصلاه قد قصرت فى غزوه ذات الرقاع (١) حيث نزل.

١- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٤ و اكتفى فى السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٨ بالقول: بأن قصر الصلاه كان فى الرابعه.

قوله تعالى: و إذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة، إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا، إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا (١).

و نقول:

إن الكلام هنا فى عده جهات، نذكر منها ما يلى:

١- تاريخ قصر الصلاة:

إن القول: بأن ذلك كان فى غزوه ذات الرقاع، يقابله الروايه التى تقول: إن ذلك قد كان فى غزوه عسفان.

فقد روى (عن مجاهد، فى قوله: ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة، قال: أنزلت يوم كان النبى، و المشركون بضجنان، فتوافقوا فصلى النبى صلى الله عليه و آله وسلم بأصحابه صلاة الظهر أربعاء، ركوعهم و سجودهم، و قيامهم معا جمعا. فهم به المشركون أن يغيروا على أمتعتهم، و أثقالهم، فأنزل الله: فلتقم طائفه منهم معك.

فصلى العصر، فصف أصحابه صفين ثم كبر بهم جميعا، ثم سجد الأولون لسجوده، و الآخرون قيام لم يسجدوا حتى قام النبى صلى الله عليه و آله وسلم ثم كبر بهم و ركعوا جميعا، فتقدم الصف الآخر، و استأخر الصف المقدم، فتعاقبوا السجود كما فعلوا أول مره، و قصر العصر إلى ركعتين (٢).

و نقول:

إن هذه الروايه صريحه فى أن آيه قصر الصلاة قد نزلت بعد أو حين تشريع صلاة الخوف، و ثمة روايات أخرى يظهر منها أنهم يتحدثون عن ٤.

١- النساء / ١٠١.

٢- الدر المنثور ج ٢ ص ٢١٠ عن عبد الرزاق، و ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم و جامع البيان ج ٥ ص ١٥٦ و المصنف ج ٢ ص ٥٠٤.

آيه القصر و يقصدون منها صلاه الخوف فقط (١)، و لعل هذا قد نشأ عن كونهما قد نزلتا في زمان واحد.

و قد تقدم أن صلاه الخوف قد شرعت في الحديبيه، ثم صلاها النبي صلى الله عليه و آله وسلم في ذات الرقاع، التي كانت بعدها، فمعنى ذلك: أن قصر الصلاه قد شرع في الحديبيه أيضا. أو بعدها. و ذلك واضح لا يحتاج إلى بيان ..

لكن ثمه روايه تقول: إن نزول الآيه، و تشريع صلاه القصر قد كان قبل نزول آيه صلاه الخوف بسنه؛ فشرع القصر على لسان رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم، حين سأله تجار يضربون في الأرض عن كيفية صلاتهم، فراجع (٢).

فيكون تشريع القصر، قبل غزوه الحديبيه بسنه!

القصر في حالتى الأمن و الخوف:

و من الأمور التي تساءل بعض الناس عنها هو: أن آيه القصر إنما تتحدث عن إيجاب القصر بشرط خوف الفتنة من قبل الذين كفروا، مع أن القصر ثابت مع خوف الفتنة و بدونه.

و قد حاول البعض الهروب من هذا الإشكال بدعوى: أن القصر لم يذكر في القرآن أصلا (٣). ١:

١- راجع الدر المنثور ج ٢ ص ٢١٠ عن عبد الرزاق عن طاووس، و ابن جرير، و ابن أبي حاتم عن السدى و المصنف ج ٢ ص ٥١٧ و غيرها و جامع البيان ج ٥ ص ١٥٤.

٢- الدر المنثور ج ٢ ص ٢٠٩ و جامع البيان ج ٥ ص ١٥٥ عن على عليه السلام، و بهجه المحافل ج ١ ص ٢٢٨.

٣- سنن النسائي ج ٣ ص ١١٧ و سنن البيهقي ج ٣ ص ١٣٦ و سنن ابن ماجه ج ١:

و بعض آخر، كعائشه، و سعد بن أبى وقاص، ادعوا: أن الواجب هو القصر فى حال الخوف فقط، أما فى حال الأمن، فكانا يتمان فى السفر (١). و روى عن عائشه خلاف ذلك أيضا (٢).

و قد يحلو للبعض أن يدعى: أن القرآن قد نسخ بالسنة، حيث إن القرآن نص على القصر فى حاله الخوف، ثم نسخ ذلك بقول النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، حيث جعله صلى الله عليه و آله فى مطلق السفر (٣).

إلى غير ذلك مما لا مجال لتتبعه.

و نقول:

إن مجرد كون القرآن قد نص على القصر فى مورد خوف الفتنه، ثم جاء تعميم ذلك إلى مطلق السفر على لسان النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، لا يوجب اعتبار ذلك من قبيل نسخ القرآن بالسنة، إذ قد يكون القرآن قد ذكر لهم ما كان محلا لابتلائهم، أو أورد ذلك مورد الغالب؛ فإذا كان القرآن قد بين قسما.

١- راجع: الدر المنثور ج ٢ ص ١١٠ عن ابن جرير، و ابن أبى حاتم، و عبد الرزاق، و نصب الرايه ج ٢ ص ١١٨ و ١٨٩ و نيل الأوطار ج ٣ ص ٢٤٩ و راجع: الجامع الصحيح ج ٢ ص ٤٣٠ و عن عائشه فى المصنف للصنعانى ج ٢ ص ٥١٥ و راجع أيضا: الأم ج ١ ص ١٥٩.

٢- راجع: الأم ج ١ ص ١٥٩ و صحيح مسلم ج ٢ ص ١٤٢ و ١٤٣ و المصنف للصنعانى ج ٢ ص ٥١٥. و الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان ج ٦ ص ٤٤٦ و ٤٤٧ و الدر المنثور ج ٢ ص ٢١٠ عن بعض من تقدم و عن البخارى، و مالك، و عبد بن حميد، و أحمد، و البيهقى فى سننه.

٣- راجع: بهجه المحافل ج ١ ص ٢٢٧ و ٢٢٨.

مما يجب فيه القصر، ثم بينت السنه باقى الموارد، فليس ذلك من قبيل النسخ، بل هو إما من باب إلقاء الخصوصيه، أو من باب التعميم، و التميم، إذ ليس فيه إلغاء للحكم الثابت بالقرآن.

وقد أشارت الروايات إلى ذلك أيضا، فقد روى: أن يعلى بن أميه قال لعمر بن الخطاب: ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاه إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا، وقد أمن الناس.

فقال له عمر: عجبت مما عجبت منه، فسألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك؛ فقال: صدقه تصدق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته (١).

و عن أبى العالیه، قال: سافرت إلى مكه، فكنت أصلى بين مكه و المدينه، ركعتين، فلقينى قراء أهل هذه الناحيه، فقالوا: كيف تصلى؟! قلت: ركعتين.

قالوا: أسنه، أو قرآن؟! قلت: كل، سنه، و قرآن. صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ركعتين.

قالوا: إنه كان فى حرب.

قلت: قال الله: لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق، لتدخلن ٩.

١- الدر المنثور ج ٢ ص ٢٠٩ عن ابن أبى شيبه، و عبد بن حميد، و أحمد و مسلم و النسائى و أبى داود، و الترمذى، و ابن ماجه، و ابن الجارود، و ابن خزيمه، و الطحاوى، و ابن جرير ج ٥ ص ١٥٤ و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم، و النحاس فى ناسخه، و الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان ج ٦ ص ٤٤٨ و ٤٥٠ و نصب الرايه ج ٢ ص ١٩٠ و صحيح مسلم- باب صلاه المسافر ج ٢ ص ١٤٣ و سنن أبى داود ج ٢ ص ٣ و سنن ابن ماجه ج ١ ص ١٧٦ و مسند أحمد ج ١ ص ٢٥ و ٣٦ و سنن النسائى ج ٣ ص ١١٦ و ١١٧ و الجامع الصحيح (كتاب التفسير) ج ٥ ص ٢٤٢/٢٤٣. و بهجه المحافل ج ١ ص ٢٢٧ و ٢٢٨ و سنن البيهقى ج ٣ ص ١٣٤ و ١٤٠ و ١٤١ و سنن الدارمى ج ١ ص ٣٥٤ و مصابيح السنه ج ١ ص ٤٦٠ و شرح معانى الآثار ج ١ ص ٤١٥ و المصنف ج ٢ ص ٥١٧ و الأم ج ١ ص ١٥٩.

المسجد الحرام، إن شاء الله آمين، محلقيين رؤوسكم، و مقصرين، لا تخافون.

وقال: و إذا ضربتم فى الأرض، فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة. فقرأ حتى بلغ: فإذا اطمأننتم (١).

إتمام عثمان للصلاة فى منى و عرفات:

و من الأمور التى طعن بها الصحابه و المسلمون على عثمان بن عفان (٢): أنه أتم الصلاة بمنى و بعرفات، فخالف بذلك رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم، الذى قصر الصلاة فيهما. و كذلك أبو بكر و عمر، و عثمان نفسه عدة سنوات أيام خلافته (٣).

الصامدون، و المتزلفون:

- ١- جامع البيان ج ٥ ص ١٥٥ و الدر المنثور ج ٢ ص ٢٠٩ عنه و الأم ج ١ ص ١٥٩ و نيل الأوطار ج ٣ ص ٢٤٧.
- ٢- تاريخ الأمم و الملوك ج ٣ ص ٣٢٢ و أنساب الأشراف ج ٥ ص ٣٩ و أحكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ٢٥٤.
- ٣- راجع: صحيح البخارى ج ١ ص ١٢٦ و ١٨٩ و صحيح مسلم ج ٢ ص ١٤٥ و ١٤٦ و الموطأ (مطبوع مع تنوير الحوالك) ج ١ ص ٣١٤ و الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٠٣ و نصب الراية ج ٢ ص ١٩٢ و ١٨٧ و سنن النسائي ج ٣ ص ١٢٠ و ١١٨ و مسند أحمد ج ١ ص ٣٧٨ و ج ٢ ص ١٤٨ و المصنف للصنعاني ج ٢ ص ٥١٦ و ٥١٨ و سنن البيهقي ج ٣ ص ١٣٦ و ١٢٦ و ١٤٤ و ١٥٣ و سنن أبى داود ج ٢ ص ١٩٩ و الأم ج ٧ ص ١٧٥ و ج ١ ص ١٥٩ و نيل الأوطار ج ٣ ص ٢٤٩ و المحلى ج ٤ ص ٢٧٠ و الجامع الصحيح ج ٢ ص ٢٢٨ و ٢٣٠ و ج ٣ ص ٢٢٩ و كنز العمال ج ٨ ص ١٥١ و ١٥٢ و البدايه و النهايه ج ٧ ص ١٥٤ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٣ ص ٣٢٢ و سنن الدارمي ج ١ ص ٣٥٤ و ج ٢ ص ٥٥ و ٥٦ و أنساب الأشراف ج ٥ ص ٣٩، و الكامل فى التاريخ ج ٣ ص ١٠٣ و الغدير ج ٨ ص ٩٩ فما بعدها.

و قد كان ابن عمر بعد أن يتم خلف عثمان، يعيد صلاته بعد أن يرجع إلى بيته (١) أما ابن مسعود الذى اعترض على عثمان، لفعله ذاك، فإنه عاد فصار يصلى أربعاً، بحجه أن الخلاف شر (٢) و كذلك تماماً كان من عبد الرحمان بن عوف، فإنه ناقش عثمان أولاً، ثم تابعه و عمل بعمله أخيراً (٣).

و لكن عليا أمير المؤمنين عليه السلام وحده الذى أصر على الرفض، فقد روى عن جعفر بن محمد عن أبيه قال:

اعتل عثمان و هو بمنى، فأتى على، فقبل له: صل بالناس.

فقال: إن شئتم صليت لكم صلاه رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم، يعنى ركعتين.

قالوا: لا، إلا صلاه أمير المؤمنين - يعنون عثمان - أربعاً. فأبى (٤).

معاويه و الأمويون، و سنه عثمان:

و لكن معاويه حين قدم حاجا صلى الظهر ركعتين، فجاءه مروان بن الحكم، و عمرو بن عثمان فقالا له: ما عاب أحد ابن عمك بأقبح مما عبت به.

فقال لهما: و ما ذاك؟! .

-
- ١- المحلى ج ٤ ص ٢٧٠ و الموطأ (مطبوع مع تنوير الحوالك) ج ١ ص ١٦٤.
 - ٢- الأم ج ١ ص ١٥٩ و ج ٧ ص ١٧٥ و سنن البيهقى ج ٣ ص ١٤٤ و الغدير ٨ ص ١٠٠ عنهم و صحيح البخارى ج ١ ص ١٢٦ و البدايه و النهايه ج ٧ ص ١٥٤ و المصنف ج ٢ ص ٥١٦ و الكامل فى التاريخ ج ٣ ص ١٠٤.
 - ٣- تاريخ الأمم و الملوك ج ٣ ص ٣٠٢ و أنساب الأشراف ج ٥ ص ٣٩ و الكامل فى التاريخ ج ٣ ص ١٠٣ و البدايه و النهايه ج ٧ ص ١٥٤ و راجع: العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ٢ قسم ٢ ص ١٤٠ و الغدير ج ٨ ص ٩٨-١٠٢ عنهم.
 - ٤- المحلى ج ٤ ص ٢٧٠ و حاشيه ابن التركمانى على سنن البيهقى مطبوعه بهامش السنن ج ٣ ص ١٤٤. و الغدير ج ٨ ص ١٠٠.

قال: فقال له: ألم تعلم أنه أتم الصلاه بمكه.

قال: فقال لهما: و يحكما، و هل كان غير ما صنعت. قد صليتهما مع رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم ، و مع أبي بكر، و عمر رضى الله عنهما.

قالا: فإن ابن عمك قد أتمها. و إن خلافاك إياه له عيب.

قال: فخرج معاويه إلى العصر، فصلاها بنا أربعا (١).

و قال ابن عباس، بعد أن ذكر صلاه عثمان شطرا من خلافته قصرا، (ثم صلاها أربعا، ثم أخذ بها بنو أميه) (٢).

أعدار لا تصح:

قد ذكروا أعدارا كثيره للخليفه، و نحن نختار منها نموذجا، و نحيل القارىء فى الباقي إلى المصادر فنقول:

١- لقد اعتذر الخليفه نفسه بأنه إنما فعل ذلك لأنه تأهل بمكه لما قدمها (٣).

و قال العسقلاني: (هذا الحديث لا يصح لأنه منقطع، و فى رواته من لا يحتج به، و يرده إلخ ..) (٤).٠

١- مسند أحمد ج ٤ ص ٩٤ و مجمع الزوائد ج ٢ ص ١٥٦ و عن أحمد و الطبراني، و قال: رجال أحمد موثقون.

٢- الغدير ج ٨ ص ١٠١ كنز العمال ج ٨ ص ١٥٤ عن عبد الرزاق و الدارقطني.

٣- فتح البارى ج ٢ ص ٤٧٠ عن أحمد و البيهقي و مسند أحمد ج ١ ص ٦٢ و أنساب الأشراف ج ٥ / ٣٩ و مجمع الزوائد ج ٢

ص ١٥٦ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٣ ص ٣٢٢ و البدايه و النهايه ج ٧ ص ١٥٤ و الكامل فى التاريخ ج ٣ ص ١٠٣ و زاد

المعاد ج ١ ص ١٢٩ و فيه أنه كان قد تأهل بمنى و أحكام القرآن ج ٢ ص ٢٥٤.

٤- فتح البارى ج ٢ ص ٤٧٠.

و يردده أيضا: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يسافر بزوجاته، و يقصر (١).

و قال العلامة الأميني: (ما المسوغ له ذلك، و قد دخل مكة محرما؟

و كيف يشيع المنكر، و يقول: تأهلت بمكة مذ قدمت؟ و لم يكن متمتعا بالعمرة- لأنه لم يكن يبيح ذلك أخذا برأى من حرمةها كما يأتي تفصيله- حتى يقال: إنه تأهل بين الإحرامين، بعد قضاء نسك العمرة، فهو لم يزل كان محرما من مسجد الشجرة، حتى أحل بعد تمام النسك بمنى) .. إلى أن قال:

(و قد صح من طريق عثمان نفسه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قوله: (لا ينكح المحرم، و لا ينكح، و لا يخطب) (٢). ثم ذكر رحمه الله نصوصا أخرى حول عدم جواز التزوج حال الإحرام فلتراجع (٣).

هذا بالإضافة إلى أنه لا معنى للحكم بالإتمام للمسافر إذا تزوج امرأة في بلد ما لأن المرأة هي التابعة للرجل و ليس العكس.

و لو كان حكم عثمان بالإتمام لأنه تزوج امرأة هناك، فلماذا يتم سائر الناس الذين يأتون به؟! و لماذا يصر على عليه السلام بالإتمام حينما أراد على الصلاة مكانه؟!

و لماذا يصر على معاوية بالعمل بسنة عثمان، ثم يستمر بنو أمية على ذلك؟! ٥١.

١- راجع المصدر السابق.

٢- ذكر في الغدير ج ٨ ص ١٠٤، المصادر التالية: الموطأ ج ١ ص ٣٢١ و في طبعه أخرى ٢٥٤ و الأم ج ٥ ص ١٦٠ و مسند أحمد ج ١ ص ٥٧ و ٦٤ و ٦٥ و ٦٨ و ٧٣ و صحيح مسلم ج ١ ص ٩٣٥ و سنن الدارمي ج ٢ ص ٣٨ و سنن أبي داود ج ١ ص ٢٩٠ و سنن ابن ماجه ج ١ ص ٦٠٦ و سنن النسائي ج ٥ ص ١٩٢ و سنن البيهقي ج ٥ ص ٦٥ و ٦٦.

٣- الغدير ج ٨ ص ١٠٤ و ١٠٥.

و لماذا يصلى ابن مسعود و عبد الرحمان بن عوف بأصحابه تماما- لأن الخلاف شر؟!
و لماذا؟! و لماذا؟! ...

٢- و ثمة عذر آخر، و هو أنه إنما أتم فى منى و عرفه، لأنه كان له مال بالطائف (١).

و هو اعتذار لا يصح أيضا، لأن وجود ملك أو دار فى مكة فضلا عن الطائف لا يوجب الإتمام. و قد قصر الصحابه الذين حجوا مع رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم، و لم يأمرهم النبي صلى الله عليه و آله وسلم بالإتمام، و لا أتموا بعد رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم (٢).

هذا بالإضافة إلى أن الذين ائتموا به لم يكن كلهم له أملاك هناك.

و لماذا يصبر هو على على (ع)، و يصبر بنو أميه على الإتمام بعد ذلك. و لماذا؟! و لماذا!؟

٣- و اعتذر أيضا بأنه خاف أن يظن أهل اليمن و الأعراب المقيمون:

أن الصلاة للمقيم ركعتان (٣).

و لكن هذا العذر غير مقبول أيضا، إذ قد كان يمكن تعليم الناس ٨.

١- أنساب الأشراف ج ٥ ص ٣٩ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٣ ص ٣٢٢ و الكامل فى التاريخ ج ٣ ص ١٠٣ و البدايه و النهايه ج ٧ ص ١٥٤ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ٢ قسم ٢ ص ١٤٠ و سنن أبى داود ج ٢ ص ١٩٩.

٢- الأم ج ١ ص ١٦٥ و سنن البيهقى ج ٣ ص ١٥٣.

٣- راجع: أنساب الأشراف ج ٥ ص ٣٩ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٣ ص ٣٢٢ و زاد المعاد ج ١ ص ١٢٩ و البدايه و النهايه ج ٧ ص ١٥٤ و الكامل فى التاريخ ج ٣ ص ١٠٣ و سنن أبى داود ج ٢ ص ٢٠٠ و سنن البيهقى ج ٣ ص ١٤٤ و نيل الأوطار ج ٢ ص ٢٦٠ و كنز العمال ج ٨ ص ١٥٢ عن البيهقى و ابن عساكر و الغدير ج ٨ ص ١٠٠ و المصنف ج ٢ ص ٥١٨.

على الحكم الشرعى بأسلوب آخر ..

كما أن هذا الفعل قد يوجب أن يظن أهل اليمن. و الأعراب: أن الصلاة فى السفر أربع ركعات.

أضف إلى ذلك: أن رسول الله لم يفكر فى تعليم الناس بهذه الطريقه، مع أنه كان يوجد فى زمنه أعراب، و كان أهل اليمن يحجون فى عهد أسلاف عثمان أيضا.

و قد قال رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم لأهل مكه، بعد أن صلى ركعتين: (أتموا الصلاة يا أهل مكه فإننا سفره أو قال: يا أهل البلد صلوا أربعا فإننا سفر) (١).

و روى أن عمر أيضا كان يفعل، و يقول ذلك فراجع (٢).

٤- إن منى أصبحت قريه و صار فيها منازل، فتأول عثمان أن القصر إنما هو فى حال السفر (٣).

و نقول:

معنى هذا أن عثمان كان لا يعرف حكم القصر، و أنه كان يظن أن القصر إنما يجب فى حال المشى فى الصحراء فقط، فإذا بلغ المسافر قريه و نزل فيها، فإنه يتم حينئذ، مع أن النبى صلى الله عليه و آله وسلم قد قصر فى مكه نفسها، و قد كانت مكه بلدا كبيرا و معمورا أكثر من منى و عرفات بمراتب.

٥- إنه أقام بها ثلاثا و المقيم يتم (٤). ٩.

١- سنن البيهقى ج ٣ ص ١٣٦ و ١٥٧ و أحكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ٢٥٤.

٢- سنن البيهقى ج ٣ ص ١٢٦ و المحلى ج ٥ ص ١٨ و الموطأ ج ١ ص ١٦٤ و فتح البارى ج ٢ ص ٤٧٠.

٣- زاد المعاد ج ١ ص ١٢٩.

٤- زاد المعاد ج ١ ص ١٢٩.

و هو عذر واه، إذ أن النبي صلى الله عليه و آله وسلم قد أقام فى مكة ما يقرب من عشرة أيام، و لم يزل يصلى فيها قصرا (١).

٦- إنه كان قد نوى الإقامة بعد الحج، و الاستيطان بمنى و اتخاذها دار الخلافة ثم بداله بعد ذلك (٢).

و على حسب نص آخر: إنه قد نوى الإقامة بعد الحج (٣).

و الجواب عن ذلك:

أولاً: ما قاله العسقلانى من أن سنده مرسل.

و ثانياً: إن الإقامة فى مكة على المهاجرين حرام (٤).

و ثالثاً: و لو صح ذلك أيضاً، فلماذا يتم سائر الناس؟

و لماذا يقتدى به الأمويون؟

و لماذا يصر هو على على (ع)، بالإتمام؟! و لماذا كان قصر معاوية عيباً له، و لماذا؟! و لماذا!!

٧- إن الإمام حيث نزل فهو عمله و محل ولايته، فكأنه وطنه (٥).

و الأسئلة الآنفه الذكر آتية هنا. هذا بالإضافة إلى أن النبي صلى الله عليه و آله وسلم كان إمام الخلائق، فلماذا لم يتم (٦) و قد

قصر أبو بكر و عمر، و عثمان نفسه شطراً من ولايته.٩.

١- راجع: الغدير ج ٨ ص ١٠٨ و ١٠٩.

٢- الغدير ج ٨ ص ١٠٩ و زاد المعاد ج ١ ص ١٢٩.

٣- راجع: فتح البارى ج ٢ ص ٤٧٠ و نيل الأوطار ج ٣ ص ٢٦٠ و زاد المعاد ج ٢ ص ٢٥. و المصنف ج ٢ ص ٥١٦ و سنن أبى

داود ج ٢ ص ١٩٩.

٤- راجع المصادر فى الهامش الآنف الذكر.

٥- راجع: الغدير ج ٨ ص ١٠٩ و فتح البارى ج ٢ ص ٤٧٠ و زاد المعاد ج ١ ص ١٢٩.

٦- فتح البارى ج ٢ ص ٤٧٩ و زاد المعاد ج ١ ص ١٢٩.

٨- إن التقصير فى السفر رخصه لا عزيمه (١) كما اعتذر به المحب الطبرى.

و نقول:

أولاً: إن ذلك لا يصح، بسبب ورود أحاديث كثيره داله على أن التقصير فى السفر حكم إلزامى، و لا يجوز الإتمام عنه، بل لا بد من إعادته الصلاه لو صلى تماماً فى موضع القصر عمداً (٢).

و ثانياً: لو كان ذلك رخصه فلماذا يصبر عثمان على الإتمام، حينما طلب من على أمير المؤمنين أن يصلى بالناس؟! و لماذا يصبر الأمويون بعد ذلك على العمل بسنه عثمان، و ترك سنه رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم؟!.

و ثالثاً: لماذا يصبر عثمان على الإتمام فى هذا المورد بالذات، دون سائر الأسفار؟.

و لماذا ينكر عليه الصحابه ذلك، و يعترضون عليه فيه.

و لماذا لم يعتذر هو بهذا العذر لهم بالذات ليسكتهم عنه. بل اعتذر عن ذلك بأنه رأى رآه (٣).

التقصير رخصه أم عزيمه:

قد تخيل البعض أن القصر فى السفر رخصه، و لعل منشأ فهمهم هذا هو أن الآية قد قررت ذلك بعبارته: (ليس عليكم جناح أن تقصروا).

قال العامرى: ٤.

١- الرياض النضرة ج ٣ ص ١٠٠.

٢- راجع: الغدير ج ٨ ص ١١٠-١١٦.

٣- راجع: تاريخ الأمم و الملوك ج ٣ ص ٣٢٢ و الغدير ج ٨ ص ١٠١ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ٢ قسم ٢ ص ١٤٠ و البدايه و النهايه ج ٧ ص ١٥٤ و الكامل فى التاريخ ج ٣ ص ١٠٣ و ١٠٤.

(ظاهاها يدل على أن رخصته مشروطه بالخوف، و دلت السنه على الترخيص مطلقا ... إلى أن قال:

ثم لا يبعد أن يبيح الله الشىء فى كتابه بشرط، ثم يبيحه على لسان نبيه بانحلال ذلك الشرط، الخ) (١).

و قد قال بعض الفقهاء بأن التقصير رخصه، فراجع (٢).

و لكن هذا التخيل مردود.

أولا: للأخبار الكثيره الداله على أن التقصير فى السفر عظيمه، و ليس رخصه. و كلام الرسول مفسر للقرآن، و مبين لمعناه، و قد

ذكر علامه الأمينى رحمه الله طائفه منها (٣).

و ثانيا: لقد كان من الواضح: أن الكثيرين سوف لن تطيب نفوسهم بترك ركعتين من الصلاه، و يرون فى هذا الأمر تضييعا

للأهداف الإلهيه، و تساهلا فى امتثال أوامره تعالى. فجاء التعبير بلا جناح ليدفع هذا الوهم، و ليطمئنهم إلى أنه لا غضاضه عليهم،

لو فعلوا ذلك، و لا نقص و لا حرج فيه.

نزول آيه التيمم:

و قالوا: فى هذه الغزوه نزلت آيه التيمم (٤). ٨.

١- بهجه المحافل ج ١ ص ٢٢٧.

٢- راجع كنز العرفان ج ١ باب صلاه الخوف، و القصر فى السفر، و غير ذلك من كتب الفقه.

٣- راجع كتاب: الغدير ج ٨. تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٤ و راجع: السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٥ و ٢٧٨ و شذرات الذهب ج ١

ص ١١.

٤- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٨.

وقيل: بل شرع التيمم في غزوه بني المصطلق. وقيل: في غزوه أخرى (١).

و نحن نرجى ء الحديث عن ذلك إلى غزوه بني المصطلق؛ فإلى هناك. ٨.

١- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٨.

الفصل الثالث: عظمات و كرامات أو سياسات إلهيه

اشاره

ماذا فى هذا الفصل!؟:

و هذا الفصل يتعلق ببعض ما يقال: إنه حصل فى ذات الرقاع، و هى الأمور التاليه:

- ١- إلقاء الأضواء على قضيه شراء النبى صلى الله عليه و آله وسلم جملا من جابر بن عبد الله الأنصارى، و ذلك فى طريق العوده من هذه الغزوه، و ظهور كرامه للنبي صلى الله عليه و آله وسلم بالنسبه لاستعادته ذلك الجمل قوته، بعد أن كان فى آخر الركب. ثم سَوَّغ صلى الله عليه و آله وسلم جابرا الجمل و ثمنه. بالإضافة إلى حديث جرى بين النبي صلى الله عليه و آله وسلم و جابر فى طريق العوده إلى المدينه .. ثم إلقاء الأضواء على القيمه الحقيقيه لهذين الحدثين بالمقدار الذى يسمح لنا به المجال.
- ٢- ثم نتحدث عن قضيه أخرى لجابر مع النبي صلى الله عليه و آله وسلم، ترتبط بقضاء دين كان على عبد الله والد جابر، و هى قضيه مثيره و قد تحدثنا عن بعض دلالاتها الهامه بصوره موجزه أيضا.
- ٣- و نذكر أيضا ما قاله النبي صلى الله عليه و آله وسلم فى هذه الغزوه، حينما جاء رجل بفرخ طائر، فأقبل أحد أبويه حتى طرح نفسه بين يدي الذى أخذ فرخه، و ألقينا الأضواء على هذه الحادثه حسبما اقتضته المناسبه.
- ٤- ثم تكلمنا عن قصه أخرى يقال: إنها حدثت فى هذه الغزوه

حيث جاءت أعرابيه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بابن لها، ليعالجه، فاستجاب صلى الله عليه وآله وسلم لطلبها، مع الماحه إلى بعض دلالات هذه القضية بصوره موجزه أيضا ..

٥- ثم نشير إلى قصه أخرى فى هذه الغزوه ظهرت فيها كرامه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، حيث أكل أصحابه من ثلاث بيضات نعام، و شبعوا. و البيض فى القصعه كما هو. مع إشاره موجزه إلى بعض ما يستفاد من هذا الحدث.

٦- و ينتهى بنا المطاف إلى الحديث عن قضيه أخرى يقال: إنها قد حدثت فى هذه الغزوه، و هى قصه ذلك الجمل الذى جاء يستعدى على صاحبه، فبادر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى تفريج كربه، و حل مشكلته.

٧- ثم استطردهنا إلى الحديث عن الكرامات و المعجزات و عن لزوم معرفه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بلغات البشر، و ظهر لنا: أن ذلك كله و سواه من التصرفات المتميزه و الملفته إنما هى مقتضيات طبيعیه لقيادته صلى الله عليه وآله وسلم - و كذلك الإمام عليه السلام- لمسيره البشريه نحو كمالها المنشود، و نحو تحقيق الأهداف الإلهيه من الخلق كله ..

و قد اقتضى ذلك أن نشير بصوره موجزه إلى جهات أخرى ترتبط بهذا البحث أو تنتهى إليه. فإلى ما يلى من مطالب.

و من الله نستمد العون، و القوه، و هو الهادى إلى سواء السبيل.

جمل جابر:

يقول المؤرخون: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم و هو فى طريقه إلى المدينه اشترى من جابر جملا بأوقيه، و اشترط له ظهره إلى المدينه، و استغفر له فى الطريق خمسا و عشرين مره. و فى الترمذى سبعين مره. زاد ابن سعد:

و سأله عن دين أبيه فأخبره به (١). ١.

و تفصيل ذلك:

أن جابرا كان على جمل ثقال فى سفر، فى آخر القوم؛ فمر به النبى صلى الله عليه و آله وسلم . فقال: من هذا؟

فقلت: جابر بن عبد الله.

قال: فمالك؟

قلت: إنى على جمل ثقال.

قال: أمعك قضيب؟

قلت: نعم.

قال: أعطنيه، فضربه، فزجره؛ فكان من ذلك المكان من أول القوم.

قال: بعينه.

قلت: بل هو لك يا رسول الله.

قال: بل بعينه؛ فقد أخذته بأربعة دنانير، و لك ظهره إلى المدينة.

فلما قدمت المدينة. قال: يا بلال، اقضه و زده. فأعطاه أربعة دنانير و زاده قيراطا.

قال جابر رضى الله عنه: و أعطانى الجمل و سهمى مع القوم (١).

و فى لفظ عن جابر قال: دخل النبى صلى الله عليه و آله وسلم المسجد، فدخلت إليه، فعلفت الجمل فى ناحيه البلاط، فقلت: يا

رسول الله، هذا جملك. ٦.

١- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٣ و راجع دلائل النبوه لأبى نعيم ص ٣٧٥ و ٣٧٦ و راجع: الثقات ج ١ ص ٢٥٨ و ٢٥٩ و راجع السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢١٨ و أشار الذهبى إلى قصه الجمل فى تاريخ الإسلام. و راجع: نهايه الإرب ج ١٧ ص ١٦٠ و ١٦١ و راجع: المواهب اللدنيه ج ١ ص ١٠٧ و راجع: السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٦٦ و لا بأس بمراجعته صحيح مسلم ج ٤ ص ١٧٦.

فخرج صلى الله عليه وآله وسلم فجعل يطوف بالجمل، قال: الثمن و الجمل لك (١).

و حسب نص آخر، قال جابر: (و تحدثت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال لى: أتبيعنى جملك هذا يا جابر؟

قال: قلت: يا رسول الله، بل أهبه لك.

قال: لا، و لكن بعنيه.

قال: قلت: فسمنيه يا رسول الله.

قال: قد أخذته بدرهم.

قال: قلت: لا، إذن تغبننى يا رسول الله.

قال: فبدرهمين.

قال: قلت: لا.

قال: فلم يزل يرفع لى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى ثمنه، حتى بلغ الأوقيه.

قال: قلت: فقد رضيت يا رسول الله؟

قال: نعم.

قلت: فهو لك.

قال: قد أخذته.

ثم قال: يا جابر، هل تزوجت بعد؟ (٢).

قال: قلت: نعم، يا رسول الله.

قال: أثيبا أو بكرًا؟!

قلت: لا بل ثيبا.

قال: أفلا جاريه تلاعبها و تلاعبك.

قال: قلت: يا رسول الله، إن أباي أصيب يوم أحد، و ترك بنات لهه.

١- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٣.

٢- فى الواقدي ذكر هذه المحادثه بعد قصه شرائه الجمل منه.

سبعا (١)؛ فنكحت امرأه جامعه تجمع رؤوسهن، و تقوم عليهن.

قال: أصبت إن شاء الله. أما إنا لو قد جئنا صرارا (موضع على ثلاثة أميال من المدينة) أمرنا بجزور؛ فنحرت، و أقمنا عليها يومنا ذاك، و سمعت بنا، فنفضت نمارقها.

قال: قلت: و الله يا رسول الله ما لنا من نمارق.

قال: إنها ستكون؛ فإذا أنت قدمت فاعمل عملا كيسا.

قال: فلما جئنا صرارا أمر رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم بجزور فنحرت، و أقمنا عليها ذلك اليوم. فلما أمسى رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم دخل و دخلنا.

قال: فحدثت المرأه الحديث، و ما قال لى رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم . قالت:

فدونك فسمع و طاعه.

قال: فلما أصبحت أخذت برأس الجممل، فأقبلت به حتى أنخته على باب رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم . قال: ثم جلست فى المسجد قريبا منه.

قال: و خرج رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم فرأى الجممل، فقال: ما هذا.

قالوا: يا رسول الله، هذا جممل جابر جاء به.

قال: فأين جابر؟

قال: فدعيت له. قال: يا ابن أخى، خذ برأس جمملك فهو لك.

و دعا بلالا فقال له: إذهب بجابر فأعطه أوقيه.

قال: فذهبت معه فأعطاني أوقيه، و زادنى شيئا يسيرا. قال: فواللهه.

١- فى الواقدي: تسع بنات. و فى صحيح مسلم ج ٤ ص ١٧٦: و ترك تسع بنات أو سبع و فى شرح بهجه المحافل ج ١ ص ٢٣٨ تسعا أو ستا و جمع بين هاتين الروايتين بأن منهن ثلاث متزوجات، لم يعدهن فى روايه الستة و دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٣٨١ / ٣٨٢ و ٣٨٣ و راجع صحيح مسلم ج ٤ ص ١٧٧ و ١٧٦ و راجع صحيح البخارى ج ٢ ص ٧ و راجع: بهجه المحافل ج ١ ص ٢٣٨ و شرحه بهامش نفس الجزء و الصفحه.

ما زال ينمى عندى، و يرى مكانه من بيتنا، حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا. يعنى يوم الحره (١).

و فى نص آخر: (ثم قدم رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم قبلى، و قدمت بالغداه؛ فجئت المسجد فوجدته على باب المسجد، فقال: الآن حين قدمت؟

قلت: نعم.

قال: فدع جملك، و ادخل فصل ركعتين.

قال: فدخلت فصليت ركعتين الخ) (٢).

ثم ذكر هبه النبى صلى الله عليه و آله وسلم الجمل، و ثمنه له.

و فى بعض روايات مسلم عن جابر: أن هذه القضية قد حصلت له، و هم مقبلون من مكه إلى المدينه. (٣).

اختلافات الروايه فى مقدار ثمن الجمل:

إن المراجع لنصوص هذه الروايه يجد: أن فيها العديد من موارد الاختلاف، و التناقض، خصوصا فيما يرتبط بقيمه جمل جابر.

ف قيل: اشتراه منه بأوقيه (٤) و هى أربعة دنانير. الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج ٨ ٣٣٢ اختلافات الروايه فى مقدار ثمن الجمل: ص : ٣٣٩.

١- السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢١٧ و ٢١٨ و راجع المغازى للواقدى ج ١ ص ٣٩٩-٤٠١ و نهايه الإرب ج ١٧ ص ١٦١ و

١٦٢ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٦٦ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٨٦ و ٨٧.

٢- دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٣٨٢ و صحيح مسلم ج ٤ ص ١٧٧ و صحيح البخارى ج ٢ ص ٧ و بهجه المحافل ج ١ ص

٢٣٨ و ٢٣٩.

٣- بهجه المحافل ج ١ ص ٢٣٧.

٤- راجع: السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٣ و الثقات ج ١ ص ٢٥٩ و الروض الأنف ج ٣ ص ٣٥٥ و بهجه المحافل ج ١ ص ٢٣٩.

(الشعبي) (١).

و قيل: بأوقيتين (٢) و قيل: بثلاث (٣) و قيل: بأربع (٤)، و قيل:

بخمس (٥)، و قيل: بست أواق (٦).

و قيل: بثمان مئه درهم (٧).

و قيل: بخمسه دنانير (٨).

و قيل: بدينارين و درهمين (٩).

و قيل بعشرين ديناراً (١٠).

و حملها البعض على أنها كانت دنانير صغاراً؟! (١١).

و قيل: بأربعة دنانير، بعد أن أعطاه درهما مماًزحاً له (١٢).

و هذا القول الأخير لا ينافي القول بأنه اشتراه بأوقيه، لأن ذلك في معنى الأوقيه (١٣) ٥.

١- شرح بهجه المحافل ج ١ ص ٢٣٩.

٢- راجع: بهجه المحافل ج ١ ص ٢٣٩.

٣- راجع المصدر السابق.

٤- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٣ و الروض الأنف ج ٣ ص ٣٥٥ و بهجه المحافل ج ١ ص ٢٣٩.

٥- راجع: المصادر الثلاثه المتقدمه.

٦- بهجه المحافل ج ١ ص ٢٣٩.

٧- المصدر السابق.

٨- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٣ و الروض الأنف ج ٣ ص ٣٥٥.

٩- الروض الأنف ج ٣ ص ٣٥٥ عن صحيح مسلم.

١٠- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٤ و بهجه المحافل ج ٢ ص ٢٣٧.

١١- شرح بهجه المحافل ج ١ ص ٢٣٩.

١٢- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٣ و الروض الأنف ج ٣ ص ٣٥٥.

١٣- راجع: الروض الأنف ج ٣ ص ٣٥٥.

الزياده المباركه:

و الروايات تصرح بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم زاد جابرا على ثمن جملة.

و تصرح بعض الروايات بأنه قد زاده قيراطا.

(فقال جابر: لا- تفارقنى زياده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ فحفظه حتى أصيب منه يوم الحرة. ففيه التبرك بأثار الصالحين) (١).

تاريخ قصه جمل جابر:

قيل: إن قصه جمل جابر قد كانت فى غزوه ذات الرقاع حسبما تقدم.

و بعض الروايات تقتصر على القول بأنها كانت فى رجوعه من مكه إلى المدينه (٢).

و قيل: كانت فى رجوعه من غزوه تبوك (٣)، و هى متأخره عن غزوه ذات الرقاع.

و قد يناقش فى ذلك بأن سؤال النبي صلى الله عليه وآله وسلم له عن كونه قد تزوج أو، لا. و اعتذاره لتزوجه ثيبا بأنه قد لاحظ حال أخواته، اللواتى تركهن له أبوه المستشهد فى أحد، يدل على أنه إنما تزوج بعد مقتل أبيه فى أحد، و لم يؤخر ذلك إلى غزوه تبوك.

إلا أن يقال: إنه قد يكون تزوج أكثر من مره، و تكون مشكله أخواته موجوده فى المرتين. أو يكون قد تأخر زواجه طيله هذه المده، و إن كان ذلك بعيدا.١.

١- بهجه المحافظ ج ١ ص ٢٤٠.

٢- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٣ و بهجه المحافظ ج ١ ص ٢٣٧.

٣- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٣ و زاد المعاد ج ٢ ص ١١١.

القيمه الحقيقيه لهذا الحدث:

و إننا حين نراجع قصه جمل جابر، فإننا نجد فيها:

١- ملامح غنيه من الخلق الرفيع لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لما انطوت عليه من لطف ورقه، و محبه و أريحيه ظاهره، تظهر لنا:

أن علاقاته صلى الله عليه وآله وسلم بأصحابه إنما كانت من منطلق الحب و العطف و الصفاء و الموده، مع إجلال منهم له و إكبار، و تقديس.

٢- إننا نجد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في هذه القصة- كما هو في غيرها- يعيش آلام الآخرين، و يشاركهم الشعور بها، و قد كان والد جابر بن عبد الله قد استشهد في حرب أحد، و أصبح جابر هو المسؤول عن الأسره بعد أبيه، و كان عليه أن يختار للزواج امرأه تستوعب و تتفهم الواقع الذى استجد نتيجة لذلك، و تشاركه في معالجه بأحسن وجه و أتمه.

و قد ظهرت رقه حال جابر، من الجبهه الماليه و المعيشيه فى أن الجمل الذى أعده لهذه الأسفار البعيده و الشاقه كان من الضعف بحيث أصبح فى آخر الركب.

و لم يكن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالذى يغفل عن تفقد حال أصحابه، و الوقوف عليها عن كذب ليشاركهم حياتهم حلوها و مرها.

و ها هو يجد جابرا على جملة الضعيف المكدود فى آخر الركب.

٣- إن من الملاحظ: أن الرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يسير مع الناس، و فى أواخرهم أحيانا، فيعرف حال أصحابه فى مسيرهم ذاك بصوره أتم و أوفى، و لم يكن ليقصر على حملة الأخبار إليه صلى الله عليه وآله وسلم، فكان يندفع للتعرف على الأمور بنفسه، و من دون أية وسائل. ربما تؤثر التوجهات السياسيه و الارتباطات الاجتماعيه و غيرها

على مستوى دقتهم، و استيعابهم لسائر الخصوصيات التي يكون الوقوف عليها مفيدا بل و ضروريا في كثير من الأحيان.

هذا كله لو فرض أن هؤلاء النقلة على درجه من الحيظه الدينيه و الورع و الصفاء، و الوفاء. و قد لا يكون الكثيرون منهم كذلك بالفعل.

٤- قد لا حظنا: أن النبي الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم قد دخل مع جابر بأسلوب رضى و سليم- إلى حياته الخاصه، بل و إلى أعماقها، فعرف السر الذى لأجله أقدم جابر على التزوج بامرأه ثيب.

و عرف ما يعانى منه جابر من ضغط الظروف، و ما يتحمله من مسؤوليه نجمت عن فقد أبيه و وجود أخواته السبع.

ثم عرف أيضا: أن جابرا لا يملك شيئا من النمارق، أو غيرها مما يتنعم به المتنعمون.

ثم إنه صلى الله عليه و آله و سلم لم يترك توصيه جابر بأن يعمل عملا كيسا، يتسم بالعقلانيه و التدبير.

كما أنه قد أفسح فى آماله، و طموحاته حينما أخبره: أن حالته لسوف تتغير، و تتحسن من الناحيه المعيشيه، و لسوف يملك حتى النمارق فى المستقبل، و ما عليه من أجل الحصول على ذلك، و الوصول إليه إلا أن يعمل عملا كيسا.

٥- إن عرض النبي على جابر شراء بعيه بطريقه فيها نوع من المداعبه له، ليفتح قلبه، و ليسقط حواجز الرهبه لديه، إنما أراد أن يجعل منه ذريعه لإيصال مال إليه، يستعين به على مصاعب الحياه، و على إحداث تغير أساسى فيها- و لكن بطريقه لا تبقى مجالا للتساؤل و لا للإعتراض من أحد. بخلاف ما لو بادر إلى تقديم هذا المال إلى جابر دون مبرر ظاهر.

٦- ولا نريد أن نترك الحديث عن هذه القضية دون الإلماح إلى أن ذلك يعطينا درسا دقيقا و رائعا عن طبيعه العلاقات التى تربط بين القائد و الزعيه؛ فهى ليست علاقات السيد و المسود، و الأمير و المأمور، أو القوى و الضعيف، أو ما إلى ذلك.

و إنما هى علاقات الإنسان بالإنسان من خلال الإحساس بالمسؤوليه، و الواجب الإلهى و الإنسانى.

و نزيد ذلك توضيحا حين نقول: إن سلوكك النبى صلى الله عليه و آله وسلم هذا من جهه ذاته ليس تواضعا منه و لا هو إحسان و تفضل فقط. و إنما هو مقتضى إنسانيته الكامله، و هو عمل بواجبه الإلهى، و الإنسانى.

و إن كان من جهه قياسه بما هو خارج عن مقام ذاته يعد من التواضع و الإحسان و التفضل فى أعلى درجاتها، و أوضح تجلياتها.

وفقنا الله للسير على هدى النبوه، و التأسى برسوله الأكرم الأعظم صلى الله عليه و آله وسلم.

كرامه، و تكريم:

قال الواقدى: و حدثنى إسماعيل بن عطيه بن عبد الله بن أنيس، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله، قال:

لما انصرفنا راجعين (١)؛ فكنا بالشَّقره، قال لى رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم : يا جابر، ما فعل دين أبيك؟!

فقلت: عليه، انتظرت يا رسول الله أن يجذَّ نخله.

قال رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم : إذا جذذت فأحضرنى.

قال: قلت: نعم.ع.

ثم قال: من صاحب دين أبيك؟

فقلت: أبو الشحم اليهودي له على أبي سقه (جمع وسق) تمر.

فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: فمتى تجذها؟

قلت: غدا.

قال: يا جابر، فإذا جذذتها فاعزل العجوه على حدتها، و الوان التمر على حدتها.

قال: ففعلت، فجعلت الصيحاني على حده، و أمهات الجرادين على حده، و العجوه على حده، ثم عمدت إلى جماع من التمر، مثل نخبه، و قرن، و شقحه و غيرها من الأنواع، و هو أقل التمر، و جعلته جبلا واحدا، ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخبرتة. فانطلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و معه عليه أصحابه، فدخلوا الحائط، و حضر أبو الشحم.

قال: فلما نظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى التمر مصنفا قال: اللهم بارك له.

ثم انتهى إلى العجوه؛ فمسها بيده و أصناف التمر، ثم جلس وسطها، ثم قال: ادع غريمك. فجاء أبو الشحم.

فقال: اكنل.

فاكتال حقه كله من حبل واحد و هو العجوه، و بقيه التمر كما هو.

ثم قال: يا جابر، هل بقي على أبيك شىء؟

قال: قلت: لا.

قال: و بقي سائر التمر؛ فأكلنا منه دهرا، و بعنا، حتى أدركت الثمره من قابل. و لقد كنت أقول: لو بعث أصلها ما بلغت ما كان على أبي من الدين .. الخ (١). ٢.

مع الحدث فى دلالاته، و خصوصياته:

و فى وقفه قصيره مع هذا الحدث نلمح باختصار شديد إلى النقاط التاليه:

١- إن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لا ينسى أولئك الصفوه الأبرار، الذين استشهدوا فى سبيل الله سبحانه، فىسعى لحل العقد و المشكلات التى ربما تكون لا تزال عالقه، و بحاجه إلى حل.

فها هو يريد إبراء ذمهم من حقوق الناس و ديونهم ما وجد إلى ذلك سبيلا، لكى تطيب سمعتهم و يذكرهم الناس بالإجلال و الإكبار، و من دون أى حرازه أو غضاظه.

ثم لتطيب نفوس أبناءهم، و أقاربهم، و يزول شعورهم بالحرج أمام الناس، و فى أنفسهم، حين يواجهون انفراجا فى حالتهم المعيشيه، التى تتسم بشىء من الضيق و الصعوبه.

٢- رغم أن ذلك الدائن لعبد الله والد جابر، كان رجلا من اليهود، إلا أننا لم نجد ترددا من النبى صلى الله عليه و آله و سلم فى أمر إرجاع المال إليه، و لا أخذ بنظر الاعتبار مواقف اليهود الحاقده على الإسلام و على المسلمين، و مؤامراتهم و كيدهم، و التى كان و لا يزال هو و المسلمون يعانون منها.

و قد يكون من أسباب ذلك، بالإضافة إلى أن هذا هو حكم الإسلام، و هذه هى أخلاقياته، حتى مع أعدى أعدائه، و هو ينطلق فى ذلك مما يملكه من قيم و مبادئ إنسانيه و إلهيه ساميه و مقدسه هو:

أنه يريد بذلك: أن يقيم حركه التعامل فى ما بين الناس على أسس و ضوابط ثابتة، يمكن للناس أن يعتمدوا عليها، و يرجعوا إليها و أن يطمثوا إلى هذا الثبات فيها، ليتمكنهم التحرك الفاعل و المؤثر بالفعل، و التخطيط

لبناء الحياه فى المستقبل. إذ بدون هذا الثبات، و من دون وضوح ضوابط التعامل، فإن الحياه تصبح قلقه، و غير مشجعه للقيام بمبادرات ذات طابع حيوى و شمولى.

٣- إن والد جابر قد استشهد فى حرب أحد. و كانت هذه القضيه قد جرت حين رجوع النبى صلى الله عليه و آله وسلم من غزوه ذات الرقاع التى كانت بعد الحديبيه، حسبما أثبتناه فيما سبق.

و معنى ذلك هو أنه قد مضت عده سنوات، و لم يستطع جابر أن يقضى دين أبيه، و لعله قد قضى شطرا من ذلك الدين فى السنوات و المواسم السابقه.

نعم تمضى عده سنوات، و لا ينسى النبى صلى الله عليه و آله وسلم ذلك الدين، الذى لم يستطع جابر أن يتخلص منه، و لم تسنح الفرصه بعد لرسول الله صلى الله عليه و آله وسلم أيضا للمبادره إلى ذلك!

٤- إن النبى صلى الله عليه و آله وسلم قد قبل أن يكون وفاء دين عبد الله من نفس النخلات التى كانت له، و لم يبادر إلى تقديم أيه ضمانه فى أن يتم وفاؤها من بيت مال المسلمين. إذ أن عبد الله كان قد استفاد من ذلك المال، ولديه ما يمكن الاعتماد عليه فى وفاء ذلك الدين. و استشهاده لا ينقل هذا الحق عن ماله ليصبح حقا على بيت مال المسلمين.

٥- إن طريقه وفاء دين عبد الله قد أخذت صفه الكرامه الإلهيه من الله لرسوله صلى الله عليه و آله وسلم، حينما ظهرت البركه فى التمر، حتى ليقول جابر، بعد أن استوفى ذلك اليهودى حقه من خصوص العجوه التى هى أفضل أنواع التمر:

(و بقى سائر التمر؛ فأكلنا منه دهرا، و بعنا، حتى أدركت الثمره من قابل، و لقد كنت أقول: لو بعت أصلها ما بلغت ما كان على أبى من الدين).

٦- و نلفت النظر هنا إلى أن طريقه تعامل النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع هذه القضية تشير إلى أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يخطط لإظهار هذا الأمر، بطريقه تجسيد الواقع.

حيث نجد أنه صلى الله عليه وآله وسلم قد خطط ليكون الحدث في البستان نفسه، و لم يقنع بأن يؤتى بالثمره إلى البيت.
ثم هو يأمره بتقسيم التمر كل قسم على حده.

ثم هو يلمس العجوه بيده الشريفه، و كذا سائر الأنواع.

ثم يجلس في وسط التمر ..

بالإضافه إلى أنه لا يأتى وحده، بل يأتى و معه عليه أصحابه، و ليس خصوص الأشخاص العاديين منهم. ثم يشهد الجميع هذا التكريم لجابر، و يشهدون هذه الكرامه الإلهيه التى أظهرها الله على يد رسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

إلى غير ذلك من دروس و عبر يمكن استفادتها من هذا الحدث.

فصلى الله على رسوله و على الأئمه الميامين من آله و سلم تسليما كثيرا.

رحمه الله بعباده:

و فى هذه الغزوه أيضا جاء رجل بفرخ طائر، فأقبل أحد أبويه، حتى طرح نفسه بين يدي الذى أخذ فرخه، فعجب الناس من ذلك.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : أتعجبون من هذا الطائر؟ أخذتم فرخه، فطرح نفسه رحمه لفرخه. و الله، لربكم أرحم بكم من هذا الطائر بفرخه (١).٩.

١- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٤ و المغازى للواقدي ج ١ ص ٣٩٨ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٦٥ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٨٦ و دلائل النبوه للبيهقي ج ٣ ص ٣٧٩.

و ما يلفت فى هذه الروايه- على تقدير صحتها، و لا نرى داعيا للوضع فيها- هو أننا نجد صلى الله عليه و آله وسلم يستفيد حتى من مناسبة كهذه ليقوم بدوره فى تعريف أصحابه على أمر يلزمهم أن يعرفوه بعمق و صفاء. و ذلك من خلال الاستفادة من أسلوب التجسيد الظاهر للحقيقه التى يراد اطلاعهم عليها، و إقناعهم بها. حيث يكون ذلك أوقع فى النفس مما لو اكتفى بأسلوب التعليم النظرى و المجرد خصوصا إذا أدركنا: أن هذا التجسيد قد ترك أثره النفسى فيهم، و أثار فيهم انفعالات ظهرت على شكل تعجب من رحمه ذلك الطائر بولده. فكان لا بد من الاستفادة من هذه الحاله النفسيه و توظيفها لصالح الإدراك الشعورى بالحقيقه التى يراد لهم لمسها، بروحهم و بمشاعرهم بالدرجه الأولى. ثم بعقلهم فى مرحله لا حقه.

النبي يعالج ابن الاعرابيه:

و روى: أنه فى هذه الغزوه جاءت امرأه بدويه بابنها إلى النبي صلى الله عليه و آله وسلم ، فقالت له: يا رسول الله، هذا ابنى قد غلبنى عليه الشيطان.

ففتح فاه فبزق فيه، و قال: إخسأ عدو الله، أنا رسول الله.

ثم قال رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم لها: شأنك بابنك، لن يعود إليه شىء مما كان يصيبه. فكان كذلك (١).

و ذكرت هذه القصة فى غزوه المريسيع أيضا (٢) التى ستأتى فى حوادث السنه السادسه.

و نقول:

١- إن هذه الأعرابيه قد جاءت بولدها إلى النبي صلى الله عليه و آله وسلم ليداويه لها.

منساقه فى ذلك بدافع من إحساسها الفطرى بما لرسول الله صلى الله عليه و آله وسلم من ٢.

١- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٤.

٢- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٩٢.

قداسه و طهر، و كرامه على الله سبحانه، و بأنه مصدر للبركات و الكرامات.

و قد استجاب صلى الله عليه و آله وسلم لها، و عالج ولدها بطريقه تكرر هذا الشعور لديها، و لدى كل من حضر و عاين ما يجرى، حيث تفل في فم ولدها، و أخبرها بالنتيجه بصوره قطعيه.

و ذلك يكذب ما يريد البعض أن يدعيه من أنه صلى الله عليه و آله، مجرد طارش و رسول، أبلغ الناس رساله و انتهى، و لا شىء سوى ذلك.

ثم يقولون: إن القداسه إنما هي لرسالته و ليست له. فلا داعى للغلو فيه، و لا للتبرك بآثاره.

٢- إن ذلك يشير أيضا إلى أن على الناس أن يعوا: أن للأمور المعنويه و الروحيه، دورها فى دفع البلايا التى يتعرض لها الإنسان. كما أن عليهم أن يؤمنوا بأن ما يعترى الإنسان من أعراض و أمراض، ليس كله ناشئا عن تحولات ماديه فيه، و لا يمكن تفسيره كله على هذا الأساس.

فإن هناك قوى خفيه تشارك أيضا فى التأثير فى حياه الإنسان و فى سلامته.

و إن معالجه آثار تصرفاتها لا تكون من خلال الوسائل الماديه فى أحيان كثيره. بل لا بد من وسائل أخرى قد لا يؤمن بها كثير من الماديين.

كرامه أخرى لرسول الله صلى الله عليه و آله وسلم :

و يذكر المؤرخون فى حوادث هذه الغزوه: أن رجلا جاء للنبي صلى الله عليه و آله وسلم بثلاث بيضات من بيض النعام، فقال صلى الله عليه و آله وسلم لجابر: دونك يا جابر، فاعمل هذه البيضات.

قال جابر: فعملتهن، ثم جئت بهن فى قصعه، فجعلنا نطلب خبزا، فلم نجد، فجعل صلى الله عليه و آله وسلم و أصحابه يأكلون من ذلك البيض بغير خبز، حتى انتهى كل إلى حاجته. أى إلى الشبع. و البيض فى القصعه كما

هو (١).

و ذكرت هذه القصة فى غزوه المرسيح (٢).

و نقول:

و فيها أيضا كرامه ظاهره لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

و ربما يكون ظهور هذه الكرامات ضروريا من أجل أن لا يغتر المسلمون بأنفسهم، فيرون: أن ما يحققونه من انتصارات على أعدائهم، ثم ما يحصلون عليه من مكاسب، ماديه، و معنويه، و شوكة، و نفوذ، على مستوى المنطقه بأسرها. إنما كان بالدرجه الأولى بسبب هذه الألفاف الإلهيه، التى يشملهم الله بها. و ليس التأثير مقتصرًا على قدراتهم الذاتيه، و حسن تدبيرهم فى الاستفاده منها فى الوقت المناسب، و فى المحيط المناسب.

و من جهه ثانيه، فإن من الواضح: أن وجود النبى صلى الله عليه و آله و سلم بين ظهرانيهم، لا ينبغى أن يؤثر على نوع و مستوى العلاقه التى يجب أن تحكم نظرهم إليه صلى الله عليه و آله و سلم.

فلا يجوز أن يعتادوا عليه، إلى درجه أن يصبح رجلا عاديا فيما بينهم، بل لا بد من الاحتفاظ بذلك الشعور العفوى لديهم و الذى يؤكد على ارتباطه صلى الله عليه و آله و سلم بالغيب، بالمصدر الأول جلاً و علا ..

فتأتى هذه الكرامات لتحدث التصحيح فى مسار تعاملهم معه و نظرهم إليه؛ لأن هذا التصحيح ضرورى، و لا بد منه، إذا أريد لكل كلمه و موقف منه صلى الله عليه و آله و سلم أن يحدث الأثر العميق و الدقيق فى روح الإنسان، و فى مشاعره، و فى سلوكه، فضلا عن أن يحدث التغيير ٢.

١- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٤ و المغازى للواقدي ج ١ ص ٣٩٩.

٢- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٩٢.

الجذرى فى تكوينه الفكرى و العقيدى بصوره عامه ..

و لأجل ذلك قلنا: إن ظهور هذه الكرامات كان ضروريا من فتره لأخرى حسب ما تقتضيه المصلحه الإيمانيه و الإسلاميه فى مختلف المجالات، و على جميع المستويات.

و هذا واضح لا يكاد يخفى على أحد.

جمل يستعدى على صاحبه

و فى هذه الغزوه أيضا- كما يقولون- جاء جمل حتى وقف عنده صلى الله عليه و آله وسلم و ارغا. فأخبر النبى صلى الله عليه و آله وسلم أصحابه بأن هذا الجمل يستعيديه على سيده، (يزعم: أنه كان يحرق عليه منذ سنين، و أنه أراد أن ينحره.

إذهب يا جابر إلى صاحبه، فأت به.

قال جابر (رض): فقلت: لا أعرفه.

قال: إنه سيدلك عليه.

قال جابر: فخرج بين يدي حتى وقف على صاحبه، فجننته به، فكلمه صلى الله عليه و آله وسلم فى شأن الجمل (١).

و نقول:

قد ذكرت هذه القصة أيضا فى غزوه بنى المصطلق (المريسيه) (٢).

و نحن نسجل هنا النقاط التاليه:

١- قد ذكرت هذه الروايه: أن الناس كانوا يحرقون على الإبل فى ذلك الزمان و لا ندرى مدى صحه ذلك.

٢- إن هذه الروايه تؤكد ما ورد فى الروايات المتواتره، التى قد تعد ٢.

١- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٣ و راجع: بصائر الدرجات ص ٣٤٨ و ٣٥٠ / ٣٥١ و ٣٥٢.

٢- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٩٢.

بالمئات، و تؤكد على ما للحيوانات من حقوق يلزم مراعاتها، و الالتزام بها، و قد ألفت سماحه العلامة الحجه الشيخ على الأحمدي كتابا قيما جمع فيه هذه الروايات، نسال الله سبحانه أن يوفقه لتقديمه إلى المطبعة ليستفيد منه طلاب العلم و رواده.

معرفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بلغات البشر، و الحيوان و الجماد، و الشجر:

٣- قد أوضحت هذه الرواية: و دلت الروايات الكثيره غيرها على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يعرف ألسنه الحيوانات عموما، و قد فهم ما قاله الجمل، الذي جاء إليه صلى الله عليه وآله وسلم ليشتكى سيده الذي كان يحرق عليه منذ سنين، و الآن يريد أن ينحره إلخ ..

و نجد في كتب الحديث و التاريخ الشىء الكثير مما يتحدث عن كرامات لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، منذ ما قبل بعثته، و حتى وفاته، مثل تسليم الحجر و الشجر عليه صلى الله عليه وآله، و تسبيح الحصى فى كفيه.

و كذلك امثال الشجر أوامره، و شهادته له. و مجىء الشجره إليه لتظله، و تسلّم عليه، و تأمين اسكفه الباب، و حوائط البيت على دعائه، و تسبيح الطعام بين أصابعه.

و إخبار الشاه له بأنها مسمومه. و شكوى البعير له قله العلف، و كثره العمل.

و شكوى بعض الطيور له صلى الله عليه وآله وسلم أخذ يبيضه أو فراخه، و سجد البعير و الغنم له، و تكليم الحمار له، و شهاده الجمل عنده: أنه لصاحبه الأعرابي دون من ادّعاه، و سؤال الظبيه أن يخلصها لترضع ولدها و تعود، و غير ذلك (١).

١- هذه الكرامات و سواها موجوده فى كتب الحديث و السيره فراجع على سبيل المثال: السيره الحلبيه ج ٣ ص ٢٨٣ و ٢٨٤ و السيره النبويه لدحلان (بها مش الحلبيه ج ٣ ص ١٢٨ فما بعدها).

و من جهه ثانيه، فقد دلت النصوص الكثيره على أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يعرف لغات البشر أيضا، وقد تكلم بعدد منها في مناسبات عديده (١).

سؤالان يحتاجان إلى جواب:

١- السؤال الأول:

و السؤال الذى يواجهنا بآدى ء ذى بدء هو:

هل إن هذه القضايا و كثيرا غيرها مما زخرت به المجاميع الحديثه و التاريخيه، و غيرها، لا بد من تصنيفها فى عداد الكرامات و المعجزات، و خوارق العادات، التى تهدف إلى مواجهه الإنسان المكابر، أو الشاك بالصدمة، التى توصلد أمامه كل أبواب التملص و التخلص، و التجاهل للواقع، و دلائله الظاهره، و أعلامه الباهره، و حججه القاهره؟!

أم أن الأمر يتعدى ذلك ليصب فى خانه تجلّى السنن و النواميس الحقيقيه التى تحكم المسار العام فيما يرتبط بتبلور الشخسيه القياديه الواقعيه فى نطاق هيمنه هذه القيادة على المسار الواقعي العام، من خلال تلك النواميس، و على أساسها؟!

علما بأن ذلك لا يقلل من قيمه تلك الكرامات و المعجزات، بل هو يجعلها بصفتها ضروره حياتيه فى نطاق الهدايه الإلهيه التامه على أساس نواميس الواقع و مقتضياته.

٢- السؤال الثانى:

و ثمه سؤال آخر نعرض له هنا، و هو أنه إذا كان النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يعرف جميع اللغات؛ فلماذا يصبر على مراسله عظيم ٦.

١- راجع: مكاتيب الرسول ج ١ ص ١٥ و ١٦.

فارس، و عظيم الروم، و ملك الحبشه، و المقوقس، و غيرهم بخصوص اللغه العربيه؟!!

و هل ثمة خلفيات سياسيه، أو تشريعيه دينيه أو غيرها وراء هذا التمسك باللغه العربيه؟!!

و أكثر من ذلك: إننا نجد الإسلام لا يرضى فى عباداته، و فى موارد معينه أخرى بغير اللغه العربيه، فلا تصح الصلاه مثلا باللغات الأخرى، من أى كان من الناس: العربى، و الرومى، و الحبشى، و الفارسى، و غيرهم. فما هو السر، و الدافع إلى هذا الإلزام و الالتزام، يا ترى؟!!

الإجابة و التوضيح:

و نحن فى مقام الإجابة على هذين السؤالين، نقدم الحديث و الإجابة على ثانيهما؛ فنقول:

١- الإجابة على السؤال الثانى:

إنه يفترض فى كل حضاره تستهدف إحداث تغييرات حقيقيه و جذريه فى المجالات الحياتيه المتنوعه من سياسيه و اقتصاديه، و اجتماعيه، و فكريه، و غيرها و حتى فى بناء الشخصيه الإنسانيه، و التأثير و التغيير فى مشاعر الإنسان، و أحاسيسه، و عواطفه، فضلا عن خصائصه و مزاياه، و كل وجوده.

نعم، إنه يفترض فى هكذا حضاره أن تفرض على الشعوب و الأمم التى تريد أن تحيا فى ظلها هيمنه فكرها، و ثقافتها، و أن تزرع فيها مصطلحاتها و تعابيرها الخاصه بها، ذات الإيحاءات و المداليل المعينه و الهادفه، و تنفذ من خلال هذه المصطلحات و على أساس ذلك الفكر، و بروافد من تلك الثقافه إلى مناطق اللاوعى فى الأحاسيس و المشاعر، و فى القلوب و الضمائر لتلك الأمم و الشعوب. و تتغلغل فى أعماقها،

لتصبح جزءا لا يتجزأ من وجودها، و من شخصيتها، و من كيانها العتيد. بل لقد رأينا أنه حتى الدول لا تألو جهدا فى فرض لغتها، و عاداتها، و مفاهيمها على الشعوب التى تهيمن عليها.

و إذا كان الله سبحانه قد أرسل نبيه إلى جميع الأمم فلا بد- و الحاله هذه- من أن تهيمن لغه القرآن، و ثقافه الإسلام و الإيمان على العالم بأسره، لأن القرآن كتاب العالم، و دستور البشرىه جمعاء، و لعل هذا هو الذى يفسر لنا بعض ما ورد فى الحث على تعلم اللغه العربيه، و تعليمها فراجع.

الإجابة على السؤال الآخر:

أما الإجابة على السؤال الآخر، و هو أول السؤالين المتقدمين، فإننا نقول:

هناك معجزات و كرامات فى اتجاهات ثلاثه:

الأول: من الواضح: أن هناك معجزات قد ظهرت للنبي الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم و للأنبياء السابقين، و كذلك للأوصياء، حينما كانوا يواجهون التحدى الوقح من أهل الشرك و العناد؛ بحيث لو لم تظهر المعجزه، أو الكرامه لاستطاع أولئك الشياطين أن يثيروا الشبهات المضعفه للدعوه؛ و الموجه لزعره درجه الطمأنينه و الوثوق لدى كثير ممن آمن بها و اطمأن إليها، أو يحدث نفسه بذلك.

فتأتى المعجزه لتثبت أولئك، و تشجع هؤلاء، و لتسحق أيضا كبرياء المستبكرين، و تكسر شوكتهم. و يكون بها خزي المعاند، و بوار كيد الماكر و الحاقد.

الثانى: و ثمه معجزات و كرامات، و خوارق عادات أكرم الله بها أنبياءه و أوليائه تشريفا لهم، و تجلّه و تكريما، و إعازا لجانبهم. و قد يستفيد

منها المؤمن القوى سموا و رسوخ قدم فى الإيمان، و يتثبت بها ضعيف الإيمان، فيزداد بصيره فى الأمر، و تسكن نفسه، و يطمئن قلبه، على قاعده قوله تعالى:

(قال: أو لم تؤمن؟ قال: بلى، و لكن ليطمئن قلبى) (١).

و على قاعده: (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله، لنريه من آياتنا) (٢).

الثالث: ذلك القسم الذى ظهر فيه: أنه يتعامل فيه مع المخلوقات من موقع المدبر، و الراعى، و الحافظ لها، من موقع أنها جزء من التركيبة العامه، حيث لا بد من التعامل معها على هذا الأساس.

و هذا القسم الأخير هو الذى يعيننا البحث عنه هنا.

فنقول:

إن الله سبحانه قد أراد لهذا الإنسان أن يدخل إلى هذا الوجود، ليقوم بدور هام فيه. و قد اختار الله له هذه الأرض ليتحرك عليها، و ينطلق فيها و منها.

و كان عليه أن يستفيد مما خوله الله إياه من طاقات و إمكانات لا عمارها، و بث الحياه فيها، بل و الهيمنه و التسلط على كل ما فى هذا الكون، و تسخيره، و الاستفاده مما أودعه الله فيه من طاقات و قدرات، من خلال تفعيل نواميسه الطبيعيه، و إثارة دوائنه و كوامنه، و توظيفها فى مجالات البناء الإيجابى، و الصحيح، الذى يسهم فى إسعاد هذا الإنسان، و فى تكامله، و نموه المطرد فى مختلف جهات وجوده، حتى فى جوانبه النفسيه و الروحيه، و الفكريه، و العقيديه، فضلا عن النواحي الأخرى، من اجتماعيه و اقتصاديه و غيرها. ١.

١- سورة البقره، الآيه / ٢٦٠.

٢- سورة الإسراء، الآيه / ١.

كل ذلك وفقا للخطة المرسومة فى نطاق الترييه الربانيه، و الاعداد و المواكبه المستمره لهذا الإنسان فى تحركه نحو الأهداف الإنسانيه.

و الإلهيه الساميه و النبيله العليا، و هو دائب الكدح إلى الله، و من أجله و فى سبيله، لا غير، و ليس إلا.

(يا أيها الإنسان، إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه) (١).

و لكى يتضح ما نرمى إليه بصوره أوفى و أصفى، نذكر هنا آيات قرآنيه أشارت إلى أن جميع ما فى هذا الكون مسخر للبشر.

و آيات أخرى، تتحدث عن وجود درجه من الشعور و الإدراك لدى المخلوقات، من حيوانات و غيرها.

بالإضافه إلى نماذج من التعامل الإيجابى، و آفاقه. و ما يترتب على ذلك، فنقول:

تسخير المخلوقات للإنسان فى الآيات القرآنيه:

لقد أشارت الآيات القرآنيه إلى تسخير الموجودات للإنسان، و يتضح ذلك. بالتأمل فى الآيات التاليه:

هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَ اسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا (٢).

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَّا فِي الْأَرْضِ، وَ اسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَ بَاطِنَةً؟! (٣).

وَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ (٤).٣.

١- سورة الانشقاق، الآية / ٦.

٢- سورة هود، الآية / ٦١.

٣- سورة لقمان، الآية / ٢٠.

٤- سورة الجاثيه، الآية / ١٣.

وَ سَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ، وَ سَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ. وَ سَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ دَائِبَيْنِ، وَ سَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ. وَ آتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ، وَ إِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا (١).

وَ هُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا، وَ تَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا (٢).

الشعور و الإدراك لدى المخلوقات:

ثم إن الإنسان يريد أن يتعامل مع كون ليس جمادا بقول مطلق، و إنما كل الموجودات فيه تمتلك درجة من الشعور و الإدراك، و إن كنا لا نعرف كنهه، و لا حدوده.

و قد تحدث القرآن عن السماوات، و الأرض، و الجبال و الطير و كل الموجودات، بطريقة تركز هذا المعنى، و تدفع أى تشكيك أو ترديد فيه.

فلنقرأ معا الآيات التالية:

قال تعالى مخاطبا نبيه موسى عليه السلام: قَالَ لَنْ تَرَانِي، وَ لَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ، فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، فَسَوْفَ تَرَانِي؛ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا (٣).

و قال تعالى: إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ، وَ الْأَرْضِ، وَ الْجِبَالِ، فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا، وَ حَمَلَهَا الْإِنْسَانُ، إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (٤). ٢.

١- سورة ابراهيم: الآيات / ٣٢-٣٤.

٢- سورة النحل من آيه ١٤ حتى آيه ١٨.

٣- سورة الأعراف، الآيه / ١٤٣.

٤- سورة الأحزاب، الآيه / ٧٢.

وقال سبحانه عن داود: إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ. وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ (١). وقال في آية أخرى عن داود أيضا: يا جِبَالَ أُوْبِي مَعَهُ، وَالطَّيْرَ (٢).

و المراد بالتأويب ترجيع التسييح على ما يظهر.

وقال تعالى: وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ (٣).

وقال: وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (٤).

وقال تعالى: تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ، وَالْأَرْضُ، وَمَنْ فِيهِنَّ، وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ، وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ، إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٥).

و تسييح ما في السماوات و الأرض، مذكور في عدة آيات (٦).

وقال سبحانه: لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا، مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ (٧).

وقال تعالى: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، وَالنُّجُومُ، وَالْجِبَالُ، وَالشَّجَرُ، وَالدَّوَابُّ، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ (٨). ٨.

١- سورة ص، الآيتان / ١٨ و ١٩.

٢- سورة سبأ، الآية / ١٠.

٣- سورة الرعد، الآية / ١٣.

٤- سورة الرحمن: الآية ٦.

٥- سورة الإسراء، الآية / ٤٤.

٦- راجع: سورة الحشر، الآيات / ١ و ٢٤ و التغابن / ١ و الصف / ١ و الجمعة / ١ و الحديد / ١.

٧- سورة الحشر، الآية / ٢١.

٨- سورة الحج، الآية / ١٨.

و قال جَلَّ و علا: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالطَّيْرِ صَافَّاتٍ، كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَ تَسْبِيحَهُ (١)

فكل ما تقدم يشير بوضوح إلى أن هذه المخلوقات تملك حالة شعوريه و إدراكيه معينه، و ليست مجرد جمادات أو حيوانات خاويه من ذلك بصورة نهائيه.

و هذا ما يفسر لنا أننا نجد أن الله قد تعاطى معها بطريقه تكرر هذا الفهم، و ترسخه، و لا تبقى مجالاً لأى تشكيك أو ترديد فيه.

نماذج حيه من تسخير الموجودات العاقله:

فإذا كان الله سبحانه قد سخر المخلوقات لهذا الإنسان، و اتضح أن هذه المخلوقات تمتلك صفه الشعور و الإدراك، و لها أعمال عقلانيه و مرتبطه بالشعور و مستنده إليه فإننا نذكر هنا نموذجاً قرآنياً حياً، و واقعياً لهذا التسخير تجلّت فيه طريقته، و أبعاده و مجالاته بصورة ظاهره. حيث ذكرت الآيات أن الله سبحانه قد سخر الريح، و الطير، و الجبال، و الجن، و سليمان، و داود عليهما السلام. بالإضافة إلى هيمنتها بدرجة ما على نواميس الطبيعه التي تفيد الهيمنه عليها فى تحقيق الغايات التي يتم السعى لها، و التحرك باتجاهها، كما أشار إليه الله سبحانه حين تحدّث أنه تعالى قد ألان الحديد لداود.

فلنقرأ ذلك كله فى الآيات التاليه:

قال تعالى: وَ سَيَخْرُجُنَا مَعَ دَاوُدَ الْجَبَالَ يُسَبِّحُنَ، وَ الطَّيْرِ، وَ كُنَّا فَاعِلِينَ. وَ عَلَّمْنَاهُ صِنْعَهُ لَبُوسٍ لَكُمْ، لِيُخَصِّصَ نَكْمًا مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ. وَ لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا.

فِيهَا، وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ. وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يُغْوِصُونَ لَهُ، وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ (١).

إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ، وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ (٢).

وقال تعالى عن سليمان: فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ، وَالشَّيَاطِينِ كُلَّ بَنَاءٍ وَغَوَاصٍ، وَآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٣)

قصة سليمان و داود نموذج فذ:

و إذا راجعنا سورة النمل، فإننا نجد فيها نماذج فذة عن تعاطى سليمان و داود مع ما آتاهما الله سبحانه في هذا المجال. و أول ما يواجها في الحديث عنهما عليهما السلام، هو أنه تعالى، قد وفر لهما الأدوات الضرورية للتعامل مع هذه المخلوقات في نطاق رعايتها و هدايتها و توجيهها. فنجدها تبدأ الحديث بأن الله قد آتاهما علما. و علما منطلق الطير، و أوتيا من كل شيء، ثم ذكرت الآيات نماذج تطبيقية لهذا العلم، و للمعرفة بجميع الألسنة، ثم لتأثير ما آتاه الله سبحانه في إدارة الأمور، و توجيهها و رعايتها و الهيمنه عليها بصورة حيويه و بناءه و إيجابيه. لا تأتي إلا بالخير، و لا تؤدي إلا إلى الفلاح.

آيات من سورة النمل:

(.. وَ لَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ عِلْمًا، وَ قَالَا: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا).

١- سورة الأنبياء، الآيات / ٧٩-٨٢.

٢- سورة ص، الآيتان / ١٨ و ١٩.

٣- سورة ص، الآيات / ٣٦-٣٨.

عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ. وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ، وَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ، وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ. وَحَشَرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنِّ، وَالْإِنْسِ، وَالطَّيْرِ، فَهُمْ يُوزَعُونَ. حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ، قَالَتْ نَمْلَةٌ: يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ، لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ. فَتَّبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا (١).

ثم تحدثت الآيات عن قصته عليه السلام مع الهدهد، و الدور الذى قام به، ثم ما كان من الإتيان بعرش بلقيس، بواسطة ما كان لدى ذلك الآتى به من علم من الكتاب. و أن ذلك قد تم قبل أن يرتد طرف سليمان إليه.

مع آيات سورة النمل:

و قد أظهرت الآيات المتقدمه كيف تم توظيف كل القدرات الماديه و غيرها فى تحقيق رضا الله سبحانه، و بناء الحياه و تكاملها باتجاه الأهداف الإلهيه، و وفقا للخطة المعقوله و المقبوله له تعالى. بدءا من قصه تبسم سليمان من قول النمله، مرورا بقصه الهدهد، و الإتيان بعرش بلقيس بتلك الطريقه المشيره، ثم تنكير عرشها لها، و انتهاء بأمرها بدخول الصرح الذى حسبته لجه، مع أنه صرح ممرد من قوارير.

و قد تجسد ذلك كله من خلال حاكميه و إمامه سليمان عليه و على نبينا و آله الصلاه و السلام، و رعايته و هدايته التامه و الشامله.

و قد كانت هذه الهدايه و الرعايه مستنده إلى علم آتاه الله إياه، و إلى إمكانات ذات صفه شموليه: (وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ). فلم يكن ثمه أى ٩.

قصور فى القدرات الذاتيه، فقد علم سليمان منطق الطير، و أوتى من العلم ما يكفيه فى مهمته الكبيره و الخطيره.

كما أنه لم يكن ثمة نقص فى الإمكانيات الماديه، كما أشرنا. و كان أيضا سليمان يحظى برعايه الله تعالى له، و لطفه به، و تسديده و تأييده إلى درجه العصمه.

فلم يبق و حاله هذه إلا-المبادره إلى القيام بالدور المرصود له فى نطاق الاستفاده الواعيه و الإيجابيه و البناء من كل المخلوقات المسخره لهذا الإنسان، و توجيهها لتؤدى دورها فى الحياه كاملا غير منقوص ..

و هذا ما حصل بالفعل، فكانت المعجزه الكبرى، و كان الإنجاز العظيم، و هذا ما سوف يتحقق بصورة أكثر رسوخا و شموخا و عظمه فى عهد ولى الأمر قائم آل محمد عليهم الصلاه و السلام.

إعاده توضيح و بيان:

إنه ما دام أن المفروض بالإنسان هو أن يتعاطى مع جميع المخلوقات التى سخرها الله تعالى له، فقد كان لا بد من أن يخضع تعامله هذا و كذلك تعامله مع نفسه، و مع ربه، و مع كل شىء لضوابط تحفظه من الخطأ و من التقصير، أو التعدى.

و لقصور الإنسان الظاهر، فقد شاءت الإراده الإلهيه، من موقع اللطف و الرحمه أن تمد يد العون له، و هدايته فى مسيرته الطويله المحفوفه بالمزالق و الأخطار هدايه تامه تفضى به إلى نيل رضا الله سبحانه، و ثمر الوصول إلى تلك الأهداف الكبرى و الساميه و تحقيقها، و هى إعمار الكون وفق الخطه الإلهيه، التى تريد من خلال ذلك بناء إنسانيه الإنسان، و إيصاله إلى الله سبحانه، حيث يصبح جديرا بمقامات القرب منه تعالى، حيث الرضوان و الزلفى.

و إذا كان كذلك فإنه يصبح واضحاً: أن المثل القرآنى الذى يتمثل فى تجربه سليمان و داود عليهما السلام، إنما أراد أن يجسد و لو بصورة مصغره هذه الحقيقه بالذات ليتلمس هذا الإنسان الأهداف الإلهيه، و هى تتجسد واقعاً حياً، ملموساً، و ليس مجرد خيالات، أو شعارات، أو آمال و طموحات غير عقلانيه، و لا مسؤوله.

و هى أيضاً تجسد معنى القيادة المطلوبه و الصالحه لتحقيق هدف كهذا، حتى إن طائراً، و هو الهدهد يضطلع بدور حيوى و فى مستوى ملك بأسره، و أحد الحاضرين فى مجلس سليمان يأتى بعرش بلقيس - بواسطة العلم الذى عنده من الكتاب - قبل أن يترد الطرف.

كما أن هذه الشواهد القرآنيه، و تلك الكرامات و المعجزات النبويه، و منها قصه الجمل التى هى مورد البحث، قد رسخت هذه الحقيقه، سواء بالنسبه لدور الإنسان فى الكون، و تعاطيه معه.

أو بالنسبه إلى حقائق راهنه لا بد أن تأخذ دورها و حقها، و يحسب حسابها على مستوى التخطيط، و على مستوى الممارسه.

أو بالنسبه إلى الدور الذى لا بد لهذه القيادة أن تضطلع به، فى مقام الرعايه التامه، و الهدايه العامه. و ما يتطلبه ذلك من طاقات و من إمكانات، و مواصفات قياديه خاصه و متنوعه، لا - تحصل إلا - بالرعايه و التريه الإلهيه لها، و لا تكون إلا فى نبي أو فى وصى.

و تصبح معرفه لغات الحيوانات، و الوقوف على كثير من أسرار الخلقه، و نواميس الطبيعه ضروره لا بد منها لهذه القيادة، التى لا بد أن ترعى، و توازن، و تربي، و تحفظ لكل شىء حقه، و كيانه، و دوره فى الحياه. حيث لا بد لها من التدخل المباشر، فى أحيان كثيره لحسم الموقف، و لحفظ سلامه المسار. كما لا بد لها من توجيه الطاقات و الاستفاده منها فى الوقت المناسب و فى الموقع المناسب، بصورة قويمه

و سليمه، كما كان الحال بالنسبه لنبي الله داود، و نبي الله سليمان عليهما و على نبينا محمد و آله الصلاه و السلام.

النقاط على الحروف:

و بذلك يتضح: أنه لا بديل عن قياده المعصوم، إذ أن كل القيادات الأخرى إذا كانت عادله لن يكون لها أكثر من دور الشرطى الذى ينجح فى درء الفتنة حيناً، و يفشل أحياناً.

أما إذا كانت قياده منحرفه، فهناك الكارثة الكبرى، التى عبرت عنها الكلمه المنسوبه إلى أمير المؤمنين على عليه الصلاه و السلام، حيث يقول: (أسد حطوم، خير من سلطان ظلوم، و سلطان ظلوم، خير من فتنه تدوم) (١).

و قد اتضح أيضاً: أن وجود الإمام المعصوم فى كل عصر و زمان أمر حتمى و ضرورى حتى و لو كان غائباً و مستورا، لأن هذا الإمام لسوف يحفظ و يرفع كثيرا من المواقع و المواضع فى هذا الكون المسخر، للإنسان، التى لو لا حفظها و رعايتها لوقعت الكارثة و لساخت الأرض بأهلها.

و بذلك نعرف السر فى أن الروايات قد ذكرت: أنه لو بقيت الأرض بغير إمام، أو لو أن الإمام رفع من الأرض و لو ساعه لساخت بأهلها، و ماجت كما يموج البحر بأهله (٢).

و أصبح واضحا معنى الروايه التى تقول: و أما وجه انتفاع الناس بى ٨.

١- البحار ج ٧٥ ص ٣٥٩ عن كنز الفوائد للكرجكى، و راجع: دستور معالم الحكم ص ١٧٠ و غرر الحكم و درر الكلم ج ١ ص ٤٣٧ و ج ٢ ص ٧٨٤.

٢- راجع بصائر الدرجات ص ٤٨٨ و ٤٨٩ و الكافى ج ١ ص ١٧٩ و ١٩٨ و الغيبه للنعمانى ص ١٣٩ و ١٣٨.

فى غيبتى؛ فكالشمس إذا جللها عن الأنظار السحاب.

و اتضح أيضا سر معرفة الأئمة بعلوم الأنبياء، و بالسنة جميع البشر، و بألسنه أصناف الحيوان أيضا (١). إلى غير ذلك من خصائص و تفصيلات فى علومهم عليهم السلام و فى حدود ولايتهم و رعايتهم لهذا الإنسان فى هذا الكون الأرحب.ر.

١- راجع كتاب بصائر الدرجات ففیه تفاصيل واسعة حول علوم الأئمة عليهم السلام فى جميع المجالات، و راجع أيضا: البحار للعلامة المجلسى، و الكافى ج ١ و غير ذلك كثير.

ص: ٣٦١

الفصل الرابع: بدر الموعد

اشاره

بدايه الحديث عن بدر الموعد:

كانت حرب أحد قد تمخضت عن نتائج ماديه تختلف تماما عن نتائجها المعنويه و السياسيه.

فعلى صعيد الخسائر منى المسلمون بخسائر كبيره، حيث قتل منهم العشرات، حينما خالف الرماه الذين كانوا على فتحه الجبل أمر رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم لهم بالبقاء فى أماكنهم، فسنحت الفرصه للمشركين، و أوقعوا بالمسلمين، و قتلوا منهم عددا كبيرا من الناس.

و لكن هذه النتيجة لا تمثل كل الواقع، و لا يمكن اعتبارها معيارا تقاس عليه سائر النتائج، التى تمخضت عنها تلك الحرب، على صعيد الربح و الخساره و التأثير فى الواقع النفسى لكلا الفريقين، ثم فى الواقع السياسى و العسكرى.

حيث إن النتائج كانت فى هذه المجالات لصالح المسلمين، إذ انتهت المعركه بهزيمه حقيقه فاحشه منى بها المشركون فى الجهات الثلاث جميعا، أى من الناحيه العسكريه، و النفسيه، و على صعيد الحاله السياسيه فى المنطقه بصوره عامه.

غير أن أبا سفيان قد حاول أن يقوم بمبادره إعلاميه، جريئه تحفظ للمشركين بعض هيبتهم، و تعيد إليهم شيئا من معنوياتهم حيث أعلن: أن المعركه التاليه، و التى قد تكون هى الحاسمه، سوف تكون بعد عام من

تاريخ غزوه أحد.

و قد نسى أو تناسى: أن نفس هذا الإعلان ليس فى الحقيقه إلا إعلان فشلهم فى تحقيق الأهداف التى كانوا يسعون إلى تحقيقها من خلال خوضهم هذه الحرب.

ثم كانت حركة المسلمين السريعه فى مطاردتهم عقب انتهاء غزوه أحد، بمثابه فضيحه مخزيه للمشركين، لا سيما و أنه صلى الله عليه و آله وسلم قد قرر أن تكون هذه المطارده مقتصره على خصوص جرحى أحد، بقياده على أمير المؤمنين عليه السلام.

و بعد مرور نحو عام، و اقتراب الموعد الذى ضربه أبو سفیان كان لا بد من التحرك. و كانت نتيجة هذا التحرك، المزيد من الخزي لأبى سفیان، و كل معسكر الشرك و البغى، و المزيد من العزه و الشوكه للمسلمين، و للإسلام فى ظل قياده نبيه الأكرم صلى الله عليه و آله وسلم.

فما الذى جرى فى بدر الموعد؟! و ما الذى نتج عنه؟.

هذا ما سوف نتعرض له فى ما يلى من مطالب ..

تاريخ غزوه بدر الموعد:

يذكر المؤرخون: أن غزوه بدر الصغرى (الموعد) (الثالثه)، قد كانت فى هلال ذى القعدة فى السنه الرابعه. و قيل: فى شوال.

و قد غاب فيها رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم ست عشره ليله.

و المقصود هو بدر الصفراء، التى كانت سوقا للعرب فى الجاهليه، يجتمعون فيها فى كل عام لمدته ثمانيه أيام، ابتداء من أول ذى القعدة، ثم يتفرقون (١). ٥٣

١- راجع فى جميع ما ذكرناه، كلا أو بعضا: مغازى الواقدى ج ١ ص ٣٨٤ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٥ و السيره الحلبيه ج ٢

ص ٢٧٥ و سيره مغلطای ص ٥٣

و قد ربح المسلمون فيها فى تجاراتهم فى سوق بدر، فى هذه المناسبه بصوره ملفته، كما سئرى.

و أما قول موسى بن عقبه: إنها كانت فى شوال سنه ثلاث (١).

فلا يصح؛ لأنها كانت لأجل تنفيذ طلب أبى سفيان بعد انتهاء حرب أحد بأن يلتقوا للحرب فى بدر، بعد عام. و أحد إنما كانت فى السنه الثالثه كما هو معلوم (٢).

كما أن الأشبه: أنها قد كانت فى ذى القعدة، أو قبل ذلك لأن أحدا كانت فى ذى القعدة، و كان بينهما سنه (٣).

و الصحيح: أنها كانت فى شعبان كما سيأتى فى غزوه الخندق.

النص التاريخى لبدر الصغرى:

يذكر المؤرخون: أن أبى سفيان لما أراد أن ينصرف من أحد نادى:

يا محمد، الموعد بيننا و بينكم موسم بدر الصغرى لقابل، إن شئت نلتقى بها فنقتل.٤.

١- راجع: السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٥ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٧٢ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٨٩ و الدر المنثور ج ٢ ص ١٠١.

٢- أشار إلى ذلك أيضا فى السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٧٢ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٨٩.

٣- راجع: نهايه الإرب ج ١٧ ص ١٥٤.

و عن مجاهد- كما فى الوفاء- أنه قال: يا محمد، موعدكم بدر، حيث قتلتم أصحابنا.

فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم لعمر بن الخطاب: قل: نعم، إن شاء الله.

فافترق الناس على ذلك.

ثم يذكر المؤرخون وقائع غزوه بدر الموعد.

و نحن من أجل أن نلّم بأكثر الخصوصيات التى قيلت فى هذه الغزوه و عنها، نجمع شتات كلمات الرواه و المحدثين، و نقله الأخبار و المؤرخين، و نؤلف بينها، ثم نشير فى نهايه ذلك إلى المصادر التى قد يكون فيها أكثر الذى ذكرناه، أو بعضه.

ف نقول:

لما مضى على أحد ما يقرب من عام، و قرب الموعد الذى ضربه أبو سفیان، كره الخروج و خاف من عواقبه، ثم قرّ رأيه بعد المشاوره على الخروج شيئاً يسيراً، ثم يعود، فخرج فى أهل مكه، حتى نزل مجنّه، من ناحيه الظهران. و يقال: عسفان. و كان فى ألفى رجل، و معهم خمسون فرسا.

و يقول البعض: إنه بعد أن خرج إلى عسفان أو مجنّه ألقى الله الرعب فى قلبه، فبدا له فى الرجوع.

فلقى نعيم بن مسعود الأشجعى، و قد قدم معتمراً؛ فطلب منه: أن يلحق بالمدينه، و يثبط المسلمين. و يعلمهم: أن أبا سفیان فى جمع كثير، و لا طاقه لهم بهم، و وعده أن يعطيه عشره- و عند الواقدى: عشرين- من الإبل، يضعها على يدى سهيل بن عمرو، و يضمناها سهيل له. و حملة على بعير.

و مما قاله له، بعد أن ذكر له: أن هذا عام جذب: (قد بدا لي أن لا أخرج إليها. و أكره أن يخرج محمد و لا أخرج؛ فيزيدهم ذلك جراه؛ فلأن يكون الخلف من قبلهم أحب إلى من أن يكون من قبلي).

و بعد ضمان سهيل بن عمرو الإبل لنعيم، خرج مسرعا، حتى أتى المدينة؛ فوجد الناس يتجهزون لميعاد أبي سفيان، فسألهم فأخبروه بما يريدون، فقال لهم:

(بئس الرأي رأيتم، أتوكم في دياركم و قراركم، فلم يفلت منكم إلا- الشريد، فتريدون أن تخرجوا و قد جمعوا لكم عند الموسم؟! و الله، لا يفلت منكم أحد).

و جعل يطوف بهذا القول في أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم .

فكره أصحاب رسول الله الخروج. و زاد الواقدي قوله: (حتى نطقوا بتصديق قول نعيم، أو من نطق منهم. و استبشر بذلك المنافقون و اليهود، و قالوا: محمد لا يفلت من هذا الجمع).

حتى بلغ رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم ذلك، و تظاهرت به الأخبار عنده، حتى خاف رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم أن لا يخرج معه أحد. فجاء أبو بكر بن أبي قحافة (رض)، و عمر بن الخطاب (رض)، و قد سمعا ما سمعا، فقالا: يا رسول الله، إن الله مظهر دينه، و معز نبيه. و قد وعدنا القوم موعدا، و نحن لا نحب أن نتخلف عن القوم، فيرون أن هذا جبن منا عنهم؛ فسر لموعدهم؛ فوالله، إن في ذلك لخير.

فسر رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم بذلك، ثم قال: (و الذي نفسى بيده، لأخرجن و لو وحدي) (قال عثمان: لقد رأيتنا و قد قذف الرعب في قلوبنا فما أرى أحدا له نيه في الخروج).

فأما الجبان، فإنه رجع، و تاهب الشجاع للقتال، و قالوا: حسبنا الله و نعم الوكيل.

و استخلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على المدينة عبد الله بن رواحه [أو عبد الله بن أبي بن سلول (١)] و حمل لواءه الأعظم على بن أبي طالب، فى ألف و خمس مئه رجل. و الخيل عشره أفراس.

قال الواقدى (٢) (فرس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، و فرس لأبى بكر، و فرس لعمر، و فرس لأبى قتاده، و فرس لسعيد بن زيد، و فرس للمقداد، و فرس للحباب، و فرس للزبير، و فرس لعباد بن بشر).

و خرجوا ببضائع لهم و تجارات. و قالوا: إن لقينا أبا سفيان فهو الذى خرجنا له، و إن لم نلقه ابتعنا ببضائعنا فجعلوا يلقون المشركين، و يسألون عن قريش، فيقولون: قد جمعوا لكم، يريدون أن يرهبوا المسلمين.

فيقول المؤمنون: حسبنا الله و نعم الوكيل.

و فى نص آخر: قال لهم المنافقون: قد قتلوكم عند بيوتكم، فكيف إذا أتيتموهم فى بلادهم، و قد جمعوا لكم، و الله لا ترجعون أبدا.

و مهما يكن من أمر، فإنهم لما قربوا من بدر قالوا لهم: إنها امتلأت من الذين جمعهم أبو سفيان، يربعونهم و يرهبونهم، و نزلت آية: الذين قال لهم الناس: إن الناس قد جمعوا لكم إلخ ..

فلما بلغوا بدرا وجدوا أسواقا لا ينازعهم فيها أحد [و فى الحلبيه (٣) فأنزل الله: الذين قال لهم الناس: إلخ] ..

و قال مجاهد و عكرمه: فى هذه الغزوه نزل قوله تعالى: الَّذِينَ ۚ

١- هذا القيل ذكره فى السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٥ و العبر، و ديوان المبتدأ و الخبر ج ٢ قسم ٢ ص ٢٩ و لم يذكر غيره، و كذا فى السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢٢٠ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٦٩ و البدآيه و النهايه ج ٤ ص ٨٧.

٢- المغازى ج ١ ص ٣٨٧.

٣- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٦.

اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ.

و عند أكثر المفسرين نزلت هذه الآية في غزوه حمراء الأسد.

و بلغ المسلمون بدرًا ليله هلال ذي القعدة. و الصحيح في شعبان.

و قد أقام النبي صلى الله عليه و آله وسلم بها ثمانيه أيام، ينتظر أبا سفيان.

و باع المسلمون تجارتهم و بضائعهم في سوق بدر، و أصابوا بالدرهم درهمين.

و قد سمع الناس بمسيرهم، و ذهب صيت جيشهم إلى كل جانب، فكبت الله بذلك عدوهم.

و انصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين.

أما المشركون فرأى لهم أبو سفيان أن يخرجوا، فيسيروا ليله أو ليلتين، ثم يرجعون؛ فإن كان محمد قد خرج احتجاجوا بأن السنه كانت سنه جدب، و إن لم يخرج كانت هذه لهم عليه.

فخرجوا، و هم ألفان، و معهم خمسون فرسا، حتى انتهوا إلى مجنّه، و هو سوق معروف بناحية الظهران، و قيل: إلى عسفان. ثم رجعوا.

و في نص آخر: أن ابن حمام قدم على قريش، فأخبرهم بمسير المسلمين إلى بدر، فأرعب أبو سفيان، و رجع إلى مكه. فسماهم أهل مكه: جيش السويق. أى خرجوا يشربون السويق.

و بلغ المشركين خروج المسلمين إلى بدر و كثرتهم، و أنهم كانوا أصحاب الموسم، فقال صفوان بن أميه لأبى سفيان: نهيتك أن تعد القوم، و لم تسمع كلامى. قد اجترؤا علينا، و رأوا: أنا قد أخلفناهم.

ثم أخذوا بالكيد و التهيؤ لغزوه الخندق.

كانت تلك صورته مأخوذه من نصوص ذكرت هنا و هناك في المصادر

المختلفه (١) أوردناها فى سياق واحد، لتكون الصوره التى يرسمها لنا المؤرخون أكثر انسجاما، و استجماعا للملامح الضروريه التى يريدون توجيه الأنظار إليها.

و قد ذكروا أيضا: أن عبد الله بن رواحه، أو حسان بن ثابت قد قال فى جملة أبيات له:

وعدنا أبا سفيان وعدا لم نجد لميعاده صدقا و قد كان وافيا (٢) و لنا هنا مناقشات و شكوك فى بعض ما ذكره، كما أن لنا بعض الإيضاحات و التحليلات التى ربما تكون مفيده هنا، و نحن نذكر ذلك فيما يلى من مطالب، فنقول: .٠

١- راجع فى جميع ما تقدم، كله أو بعضه: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٥ و ٤٦٦ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٥-٢٧٧ و حبيب السير ج ١ ص ٣٥٦ و زاد المعاد ج ٢ ص ١١٢ و الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٥٩ و ٦٠ و تاريخ يعقوبى ج ٢ ص ٦٧ و سيره مغلطاي ص ٥٣ و حياه محمد لهيكل ص ٢٧٩ و ٢٨٠ و مغازى الواقدى ج ١ ص ٤٨٤-٤٩٠ و السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢٢٠ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ٢٠٣ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ٢ قسم ٢ ص ٢٩ و الوفاء ص ٦٩٠ و الكامل فى التاريخ ج ٢ ص ١٧٥ و نهايه الإرب ج ١٧ ص ١٥٤ و ١٥٥ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١٠٨ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٢٢٩ و ٢٣٠ و تاريخ ابن الوردى ج ١ ص ١٦٠ و أنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٠ و الثقات ج ١ ص ٢٤٤/٢٤٥ و التنبيه و الإشراف ص ٢١٤ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٦٩ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٨٧-٨٩ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٥ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٣٨٤-٣٨٨ و الدر المنثور ج ٢ ص ١٠١ و ١٠٣ و ١٠٤ عن عبد بن حميد، و ابن أبى حاتم و سعيد بن منصور، و ابن جرير، و ابن المنذر.

٢- راجع: البدء و التاريخ ج ٤ ص ٢١٤ و أنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٠ و السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢٢١ و مغازى الواقدى ج ١ ص ٣٨٩ و نهايه الإرب ج ١٧ ص ١٥٦ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٧٠.

آيات سورة آل عمران:

قد تقدم قولهم: إن آيه: الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ، مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ، لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ. الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ: إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ، فَاخْشَوْهُمْ، فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ إِلَّا الْخ (١) ..

قد نزلت في مناسبة بدر الموعد؛ لأن المسلمين قالوا ذلك.

ولكننا لا نستطيع قبول ذلك؛ فعدا عن تناقض الروايات في مكان نزولها: في المدينة، أو في الطريق إلى بدر، أو في بدر نفسها، كما تقدم، نسجل الأمور التالية:

الأول: قال العسقلاني، بالنسبة لآيه: الذين استجابوا لله:

(و الصحيح: أن هذه الآية نزلت في شأن حمراء الأسد، كما نص عليه العماد ابن كثير) (٢).

وقد روى المحدثون و المؤرخون، و المفسرون: أنها نزلت في حمراء الأسد، فراجع ما رووه عن: ابن عباس، و الحسن، و ابن جريج، و عائشه، و أبي السائب، و السدي، و قتاده، و أنس. و من طريق العوفي.

و عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم (٣) ه.

١- سورة آل عمران، الآية / ١٧٢-١٧٤.

٢- المواهب اللدنية ج ١ ص ١٠٨ و راجع: السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٥.

٣- تجد هذه الروايات كلها في الدر المنثور ج ٢ ص ١٠١-١٠٣ و قد نقلها بدوره بصوره متنوعه عن المصادر التاليه: ابن إسحاق، و ابن جرير، و البخارى، و مسلم، و أحمد، و سعيد بن منصور، و ابن أبي شيبه، و ابن المنذر، و الحاكم، و ابن أبي حاتم، و البيهقي في الدلائل، و ابن ماجه، و النسائي و الطبراني، و عبد بن حميد، و الخطيب، و ابن مردويه.

و روى أيضا عن أبى رافع بطرق كثيره، و كذا عن أبى مريم.

و عن جابر، عن الإمام الباقر عليه السلام: أنها نزلت فى على عليه السلام فى حمراء الأسد (١).

الثانى: إن سياق الآيات لا يتلاءم مع غزوه بدر الصغرى، فهى تمدح الذين استجابوا لله و الرسول من بعد ما أصابهم القرح. و ذلك إنما يناسب غزوه حمراء الأسد؛ حيث إن الذين قاموا بها هم خصوص أولئك الذين جرحوا فى حرب أحد.

أما فى بدر الصغرى، فكان قد مضى عام بكامله على تلك الجراح. و لم يكن فى بدر الصغرى نفسها حرب و لا جراح.

الثالث: إن هذه الآيات تتمدح أولئك الذين قال لهم الناس: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، فزادهم إيماناً. مع أن الروايات التى تتحدث عن قصه بدر الصغرى، قد صرح كثير منها بأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم قد كرهوا الخروج إلى بدر الموعد، حتى نطقوا بتصديق قول نعيم بن مسعود، الذى كان يخذلهم و يخوفهم، و استبشر المنافقون و اليهود، حتى بلغ رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم ذلك، و تظاهرت به الأخبار عنده، حتى خاف رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم أن لا يخرج منهم أحد. حتى قال صلى الله عليه و آله وسلم: و الذى نفسى بيده، لأخرجن و لو وحدى. و قال عثمان بن عفان: لقد رأيتنا و قد قذف الرعب فى قلوبنا، فما أرى أحدا له نيه فى الخروج..م.

١- تفسير البرهان ج ١ ص ٣٢٦ و الدر المنثور ج ٢ ص ١٠٣ عن ابن مردويه. و قد يكون ثمه مبرر لاحتقال أن يكون ثمه تعمد لدعوى نزول الآيات فى بدر الموعد، من أجل إبعاد هذا الأمر عن أن يكون فيه تكريم لعلى عليه السلام، و إشاده بمواقفه الرسالية و الجهادية. و قد تعودنا من هؤلاء الشىء الكثير الذى يصب فى هذا الإتجاه، كما هو معلوم.

مواقف لأبد من التأكد من صحتها:

و يذكر البعض: أن نعيم بن مسعود قدم المدينة: (و أرجف بكثرة جموع أبي سفيان. أى و صار يطوف فيهم، حتى قذف الرعب فى قلوب المسلمين، و لم يبق لهم نيه فى الخروج، و استبشر المنافقون، و اليهود، و قالوا: محمد لا يفلت من هذا الجمع.

فجاء أبو بكر، و عمر رضى الله عنهما، إلى النبي صلى الله عليه و آله وسلم ، و قد سمعا ما أرجف به المسلمون، و قال له: يا رسول الله، إن الله مظهر نبيه، و معز دينه. و قد وعدنا القوم موعدا لا نحب أن نتخلف عنه، فيرون أن هذا جبن. فسر لموعدهم، فو الله إن فى ذلك لخيره.

فسر رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم بذلك ثم قال: و الذى نفسى بيده، لأخرجن، و إن لم يخرج معى أحد، فأذهب الله عنهم ما كانوا يجدون.

و حمل لواء رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم على بن أبى طالب الخ (١).

و نقول:

إن ما يذكر هنا من موقف لأبى بكر و عمر لا يتلاءم مع سائر مواقفهما فى مناسبات كهذه. فراجع موقفهما فى غزوه بدر مثلا. ثم موقفهما فى الأ-حزاب، و خيبر، و غيرها بالإضافة إلى فرارهما فى المواطن، و منها غزوه أحد، و هى الغزوه التى ضرب فيها الموعد لبدر الصغرى هذه!!

و قد تقدم: أن المسلمين كرهوا الخروج، و تظاهرت بذلك الأخبار عند رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم حتى خاف أن لا يخرج معه أحد، و قال: و الذى نفسى بيده لأخرجن، و لو لوحدى.

و قال عثمان بن عفان: لقد رأيتنا، و قد قذف الرعب فى قلوبنا فما أرى أحدا له نيه فى الخروج. فكلام عثمان نكره فى سياق النفى يشمل ٥.

حتى عمر و أبا بكر، فلا يتلاءم مع ما يذكر من موقفهما هنا.

فإن صح ما نقل عن الشيخين هنا، و لا أراه يصح، فإننا نجد أنفسنا أمام احتمالين، لا بد أن يكون أحدهما هو السبب و نرجح ثانيهما، و هما:

الأول: أن يكونا قد رأيا تصميم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم على المسير، إلى درجه عرفا أنه صلى الله عليه و آله و سلم لن يتراجع عن قراره بأى ثمن كان، و لو كان وحده. فموقفهما هذا لن يكون له أثر فى ذلك، و لسوف يكون مفيدا فى تسجيل موقف إيجابى لهما، يمكن أن يكون مفيدا لهما فى تحسين موقعهما عند النبى صلى الله عليه و آله و سلم و المسلمين، و لا سيما بعد فرارهما فى أحد، و بعد مشورتها المتخاذله فى بدر.

الثانى: إنهما ربما يكونان قد وقفا من نعيم بن مسعود، أو من غيره على حقيقه أمر أهل مكه، و أنهم خائفون من مواجهه النبى صلى الله عليه و آله و سلم و المسلمين بالحرب، لا سيما مع ما نلمحه من وجود قدر من التفاهم و الانسجام فى المواقف أحيانا، كما تقدم فى غزوه بدر، حول الاستشاره فى الحرب، ثم فى قصه الأسرى، و بعد ذلك فى غزوه أحد حينما وضعنا بعض علامات الاستفهام حول تحركات الخليفه الثانى.

و الخلاصه: انهما إذا كانا قد علما بحقيقه أمر المشركين، فهما يعلمان مسبقا: أن خروج النبى صلى الله عليه و آله و سلم و المسلمين إلى بدر الموعد لن يشكل أى خطر على مشركى قريش، إلا من الناحيه الإعلاميه، و السياسيه و النفسيه. كما أنهما أنفسهما سوف لا يواجهون أى خطر يخشونه، و لو فى ضمن زحمه المعركه، كما قد حصل فى أحد.

الأفراج و الأتراج:

إننا- و إن كنا نقدر الواقدي فى حدود معينه، و نراه منصفًا شيئًا ما، و هو من حيث نقله ينقل سيره النبى الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم،

بصوره أفضل و أدق مما ينقلها البعض، و لكننا نعتب عليه أحيانا، ليس لأجل إيراده ما ثبت بالدليل القاطع زيفه، أو التزيد فيه من الرواه، فإن ذلك أمر مألوف و معروف، و لم ينج منه مؤلف فى قضايا التاريخ و غيرها ..

بل لأجل وقوعه أحيانا- كغيره- فى المتناقضات، أو فريسه لأصحاب الأهواء، و أهل الزيغ من الحاقدين و الموتورين، و قد وقع هنا فى هذا الخطأ بالذات، حين صورّ لنا أن المشركين كانوا يعيشون أفراح التأهب لحرب بدر الموعد، و كان المسلمون يعيشون الأتراح، و يهيمن عليهم الرعب و الخوف و الجبن، فهو يقول عن المشركين:

(و تهبأوا للخروج، و أجلبوا. و كان هذا عندهم أعظم الأيام، لأنهم رجعوا من أحد، و الدوله لهم، طمعوا فى بدر الموعد أيضا بمثل ذلك من الظفر) (١).

و يقول عن المسلمين: (فيقدم القادم على أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم ، فيراهم على تجهز، فيقول: تركت أبا سفيان قد جمع الجموع، و سار فى العرب ليسير إليكم لموعدكم. فيكره ذلك المسلمون، و يهيبهم ذلك) (٢).

و نقول:

قد ذكرنا فى بدايه الحديث: أن المشركين لم ينتصروا فى أحد، بل انهزموا هزيمة نكراء. و قد اتضح لديهم: أن ما جرى على المسلمين آنئذ لن يتكرر فى المستقبل، لأن ذلك إنما نشأ عن عدم الانضباطيه لدى الرماه، الذين كانوا يحرسون فى الجبل، و لم يكن بسبب ضعف فى القدرات الحرييه، و لا لجبن فى المقاتلين، أو خور فى عزائمهم، و لا ٥.

١- المغازى للواقدي ج ١ ص ٣٨٤.

٢- المغازى للواقدي ج ١ ص ٣٨٥.

بسبب تفرّق الأهواء، و لا- لأجل نقص في كفاءه القيادة. و إنما هو مجرد خطأ شخصى أعقبته حركة قتاليه فريده، تجلّت فيها كفاءات لا يمكن مواجهتها، فى أى زمان، أو مكان و لا سيما من على أمير المؤمنين عليه السلام، ثم بعض من لحقه من الصحابه الأختيار.

فلا معنى إذن لابتهاج المشركين بحرب، لو كانت تشبه حرب أحد، فذلك يعنى الدمار الكامل و الشامل لهم.

و أما بالنسبه لحاله المسلمين، التى تحدث عنها الواقدى، فنحن لا نوافق المؤرخين، و لا المحدثين على ما ذكروه من خوف شامل فى المسلمين من مواجهه المشركين فى بدر الموعد؛ إذ لم يكن ثمه مبرر لذلك، لا- سيما بعد أن حقق المسلمون انتصارات رائعه و مثيره على المشركين فى بدر و أحد، رغم خطأ الرماه الذى تسبب بحدوث كارته.

ثم إنهم بجهود على عليه السلام تلافوا الخطأ و هزموا عدوهم.

هذا بالإضافة إلى انتصاراتهم على اليهود، ثم تحركهم فى المنطقه بصوره زادت من هيمنتهم و نفوذهم، و جعلتهم أكثر قوه و شوكة و ثقه بالمستقبل.

و لنا أن نتساءل: إذا كان المسلمون قد ارتعبوا حتى خاف النبى صلى الله عليه و آله وسلم أن لا يخرج معه أحد، فكيف ارتفع هذا الخوف عنهم، حتى خرج من الشجعان معه ألف و خمس مئه رجل، مع أن الذين خرجوا معه إلى أحد. ليدافعوا عن بلدهم المدينه كانوا ألف رجل (رجع منهم ثلاث مئه مع ابن أبى)؟! مع الإشارة إلى أن عدد المسلمين لم يكن يزيد عن الخارجين معه إلا يسيرا.

و هل يمكن أن يذكر لنا التاريخ اسم واحد من أولئك الذين تخلفوا عن الخروج خوفا و جبنًا؟!

أما مشركوا مكه فقد تقلص نفوذهم فى المنطقه بدرجة كبيره،

و تشكك كثير من الناس فى قدرتهم على تحقيق نصر حاسم على المسلمين بسهولة، لا سيما بعد الهزائم سياسيا و عسكريا التى لحقت بهم حسبما أشرنا إليه، ثم ما تتعرض له قوافلهم التجاربه، و عدم قدرتهم على توفير الأمن لها، بالإضافة إلى توسع منطقته نفوذ المسلمين و تحالفاتهم، على حساب ما كان لهم من نفوذ و تحالفات.

و لعل ما يقال عن رعب فى المسلمين و تلكؤ قد أريد له أن يجسد المصداق للآيات التى تتحدث عن تخويف الناس لهم. مع أن الآيات تذكر تكذبا لهذه الشائعه، و أن هذا التخويف قد زاد المسلمين إيمانا و تصميمًا، و مع أن الآيات إنما نزلت فى غزوه حمراء الأسد.

و لعله قد أريد ترتيب أجواء مناسبة ليقدم أبو بكر و عمر مشورتهم بلزوم المواجهه، لتظهر شجاعتهم دون سائر المسلمين، و ليعوضهما ذلك بعض ما كانا قد فقدها فى حالات سابقه.

و لعل فيما ذكرناه كفايه لمن أراد الرشد و الهدايه.

المجتمع المفتوح:

و قد قرأنا فيما تقدم: أن نعيم بن مسعود الأشجعي، قد ذهب إلى المدينه بهدف تخذيل المسلمين عن الخروج إلى بدر الموعد. و لعل تردد المشركين إلى المدينه بتجاراتهم، و متابعه شؤونهم و مصالحهم، هو من الأمور الواضحه و البديهيه تاريخيا.

و ربما يحمل ذلك بعض السليات للمسلمين أحيانا، كما لوحظ فى هذه المره، التى قام فيها نعيم بدور مخرب، و مضر جدا.

و لكن من الواضح: أن الإسلام و هو يريد للآخرين، الذين يناوؤونه أن يعيدوا النظر فى مواقفهم، فتره بعد أخرى، فكان بعيدا عن أجواء التشنج يفسح لهم المجال للتعامل مع المسلمين بصورة مباشره، ليتلمسوا

بأنفسهم و بصوره عمليه و ميدانيه محاسن الإسلام، و آدابه، و سياساته، و كل آفاقه بحريه تامه. و من دون الاعتماد على الشائعات، و لا- على الإعلام الموجه الذى قد يتحفظ الكثيرون تجاهه، لأنهم قد يتخيلونه غير قادر على أن يعكس بعض الوقعيات بدقه و أمانه.

ثم إن هذا التعامل الطبيعى و الحر من شأنه أن يزيل عقدا كثيره ربما لا يمكن إزالتها بدونه، بل هى قد تزيد رسوخا و تجذرا، و تتراكم حولها و فيها الأدران إلى درجه كبيره و خطيره، إذا كانت الأبواب موصده أمامهم، و لا يعرفون عن الإسلام و المسلمين إلا نتفا قد تتسرب- لسبب أو لآخر-، فتصل إليهم سليمه أو مشوهه، حسب الظروف.

و بعد، فإن الإسلام واثق من كل ما لديه، و ليس ثمه شىء محرج له على الاطلاق، لا فى المجال العقيدى، و لا التشريعى، و لا السلوكى، و لا فى دائره الدوافع و النوايا، و لا فى محيط المرامى و الأهداف. و لا فى غير ذلك من مجالات.

و أما ما ينشأ عن التعامل مع المشركين من سلبيات أحيانا، فإنه يمكن تلافيه، و لا أقل يمكن التقليل من آثاره و أخطاره من خلال تحصين الأمه بالوعى، و بالإيمان، و بالتربيه الصالحه فى مختلف المجالات.

بالإضافه إلى الدور الأساسى و المحورى، الذى تقوم به القياده المؤهله- وحدها- لأن تهدى الأمه، و تقودها إلى الفلاح، و السداد و النجاح، و هى قياده الأنبياء، و الأئمه المعصومين عليهم الصلاه و السلام.

استخلاف ابن أبى على المدينه:

و قد ذكر فى ما تقدم: أن هناك من يقول: إن النبى صلى الله عليه و آله وسلم قد استخلف عبد الله بن أبى بن سلول على المدينه، حين سار إلى بدر الموعد.

و نحن نشك في صحه ذلك، و نرجح أن يكون ابن رواحه هو المستخلف عليها، كما ذكرته نصوص كثيره أخرى؛ إذ من البعيد أن يستخلف النبي صلى الله عليه و آله وسلم رأس النفاق، ذلك الرجل الذى كان يميل إلى المشركين و اليهود أكثر مما كان يميل إلى المسلمين، و لم تزل تظهر منه فلتات و كلمات خطيره، لو أراد النبي صلى الله عليه و آله وسلم أن يجازيه عليها، لم يكن جزاؤه أقل من القتل؛ و إنما استخلف صلى الله عليه و آله وسلم عليا (ع) فى غزوه تبوك خوفا من تحرك المنافقين فيها كما سنرى إن شاء الله.

إلا أن يقال: إن من الممكن أن يكون النبي صلى الله عليه و آله وسلم يريد أن يتألفه بذلك، كما كان يتألف غيره بإسناد بعض المهام إليهم.

قوه الاسلام:

قال الواقدي: (و أقبل رجل من بنى ضميره، يقال له: مخشى بن عمرو- و هو الذى حالف رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم على قومه، حين غزا رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم و دآن فى المره الأولى- فقام- و الناس مجتمعون فى سوقهم، و أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم أكثر أهل ذلك الموسم- فقال:

يا محمد، قد أخبرنا: أنه لم يبق منكم أحد؛ فما أعلمكم إلا أهل الموسم!

فقال رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم؛ ليرفع ذلك إلى عدوه من قريش: ما أخرجنا إلا موعداً أبى سفيان، و قتال عدونا. و إن شئت مع ذلك- نبذنا إليك، و إلى قومك العهد، ثم جالداكم قبل أن نبرح من منزلنا هذا.

فقال الضمري: بل نكف أيدينا عنكم، و نتمسك بحلفك.

و سمع بذلك معبد بن أبى معبد الخزاعى، فانطلق سريعا، و كان مقيما ثمانية أيام، و قد رأى أهل الموسم، و رأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم، و سمع كلام مخشى؛ فانطلق حتى قدم مكة؛ فكان أول من قدم بخبر

موسم بدر. فسألوه فأخبرهم بكثره أصحاب محمد، وأنهم أهل ذلك الموسم، و ما سمع من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للضمري.

وقال: محمد في ألفين من أصحابه إلخ .. قال البيهقي: فافزعهم ذلك. ثم يذكر ملامه صفوان بن أمية لأبي سفيان (١).

وقد يستشف البعض من هذه القضية: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أحس من مخشى بن عمرو: أنه قد قال ذلك على سبيل الاستهزاء والسخرية؛ فقابله النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهذا الأسلوب (٢).

ومن الواضح: أنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن لينقض العهد، ولا يباشر حرباً مع أحد إلا إذا اضطرت الظروف (و كان مع ذلك لين الطبع كريم النفس، قد بلغ الغاية من النبل والأخلاق الكريمه، حتى أنزل الله فيه:

و إنك لعلى خلق عظيم (٣) و بعبارة أخرى: إنه إنما اتخذ هذا الموقف من أجل أن يعيد إلى ذلك الرجل توازنه، و ليفهمه: أن الأمور أعمق و أخطر من أن يتلاعب و يستخف بها قاصروا النظر، الذين لا يشعرون بالمسؤولية، و لا يحسنون فهم الأمور.

و نقول:

إن كلام مخشى بن عمرو لا- يوحى بأنه كان في مقام الاستهزاء، غير أن من الواضح: أن هذا الرجل، كان يسعده أن يرى المسلمين و قد أيّدت خضراؤهم، و قتلت رجالهم، و سيّت نساؤهم، و لعله صدق ما بلغه من ٥.

١- مغازى الواقدي ج ١ ص ٣٨٨ و راجع السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٦٩ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٨٨ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٢٢٩ / ٢٣٠ و راجع: السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٣٢٠ و راجع: تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ٢٠٣ و ٢٠٤ و دلائل النبوه للبيهقي ج ٣ ص ٣٨٥ و ٣٨٧.

٢- سيره المصطفى ص ٤٥٥.

٣- سيره المصطفى ص ٤٥٥.

ذلك، ثم فوجىء بعكس ما كان يتوقعه. وسمع به. فجاء ليعرف السر في ذلك. و كأنه كان على قناعه بأن مشركى مكة قادرون على ذلك، و أن المسلمين على درجه كبيره من الضعف و الوهن فى قبال المشركين.

و ربما يكون ما جرى فى أحد، الذى لم ينقل إليه، و إلى سائر الناس فى صورته الحقيقيه قد عزز هذه القناعه لديه، لأنه إنما وقف على نتائج حرب أحد، و لم يعرف ملبساتها، و أنها لم تكن نتيجة ضعف حقيقى فى عزمه المسلمين، و لا لتخاذل منهم فى ساحه الحرب و الجهاد، و بذل المهج، و خوض اللجج فى سبيل الله سبحانه. كما أنه لم يكن لأجل قوه متميزه فى جانب عدوهم. جعلته ينتزع النصر انتزاعا استنادا إلى قوه السيف، و السنان، و ثبات فى العزمه، و شجاعه فى الجنان. كما ربما يحاول القرشيون أن يشيعوه.

فأراد رسول الله الأعظم: أن يبدد هذه الغشاوه عن بصره و بصر كل من يسمعون، أو سوف يبلغهم هذا القول. و يواجهه بالحقيقه الناصعه، و يقول له: إنه صلى الله عليه و آله وسلم ليس فقط قادرا على سحق قريش بكل ما لديها من حشد و عتاد و قوه، و إنما هو على استعداد لمواجهتها و معها كل من يلتقون معها و يشاركونها الموقف و الرأى، و البغى على الإسلام و المسلمين.

و قد أساءت قريش لنفسها حينما صورت للناس ضآله أمر المسلمين، و ضعفهم، فها قد انكشفت للناس أكاذيبها، و رأى الناس حتى القادمون من تجار و غيرهم بأم أعينهم قوه المسلمين، و عزتهم.

فإذا كان مخشى، و قومه، بل و كذلك سائر القبائل التى حضرت ذلك الموسم التجارى الواسع قد تحركت فى نفوسهم نوازع خيانيه، أو خالجتهم أحاسيس حول ضعف المسلمين، أو شعروا: أن لقريش بعض القوه بسبب ما جرى فى أحد، فإن عليهم أن يتأكدوا من صحه تصوراتهم و معلوماتهم قبل أن يقدموا على أى عمل، أو يتخذوا أى قرار. فهناك أمور

قد خفيت عليهم حتما و جزما. و ما جرى فى أحد لا يمكن أن يكون معيارا و ميزانا، و لا يفيدهم شيئا فى حسابات الربح و الخساره، و النصر و الهزيمه، و القوه و الضعف.

فقولهم: إنه صلى الله عليه و آله وسلم إنما أراد بذلك مقابله حاله الاستهزاء و السخرية، بالتهديد بنقض العهد لا يصح. فإن جوابه صلى الله عليه و آله وسلم لا يتلاءم و هذا الأمر؛ و ذلك لأنه صلى الله عليه و آله وسلم: قد أعطى لمخشى و قومه حريه التصرف فى هذا الاتجاه، و اكتفى هو بالاحتفاظ لنفسه بحق المقابله بالموقف الحازم و الحاسم لو نقض الآخرون عهدهم. و ذلك ظاهر لا يخفى.

لابد من الندم:

إن من الواضح: أن ما أقدم عليه أبو سفيان فى نهايه حرب أحد، حيث قطع على نفسه وعدا بقاء المسلمين بعد عام فى بدر الصغرى، كان خطأ فاحشا، و رأيا فظيرا، تعوزه البصيره بالأمر، و الواقعيه فى النظره و فى الموقف.

و ذلك لأن المسلمين بعد ما جرى فى أحد، قد أصبحوا أكثر تصميميا على توجيه ضربه موجعه و قويه لكبرياء قريش، بعد أن وترتهم فى حرب أحد، التى لا بد أن يكون المسلمون قد استفادوا منها الدروس و العبر، و لن يسمحوا أبدا بتكرار الخطأ الذى وقعوا فيه فيها، مهما كان الثمن.

و قد أدرك أبو سفيان خطأه الكبير ذاك، و لكن بعد فوات الأوان، و كان صفوان بن أميه قد نبهه إلى ذلك فلم يلتفت إليه.

و ذلك لأن المشركين، و إن كانوا قد فاجأوا المسلمين فى بلادهم، و لم يجدوا الفرصه للإعداد و الاستعداد، و لكن المشركين لم يحققوا ما حققوه فى تلك الحرب نتيجة لتنامى قدراتهم القتاليه، و لا لأجل ضعف

فى المسلمىن. و ذلك لأن القوى و إن لم تكن متكافئه بين الفريقين من حيث العدد و العده، إلا أن حرب بدر قد أثبتت للجميع: أن ذلك ليس هو الفيصل فى الحرب، و ليس هو الذى يقرر نتائجها.

هذا بالإضافة إلى أن حرب أحد نفسها قد أثبتت للمشركين: أن نتائج هذه الحرب- لو استمرت- لن تكون أفضل من نتائج حرب بدر، لو لا الخطأ الذى ارتكبه الرماه على الجبل حيث جعلهم النبى صلى الله عليه و آله وسلم هناك ليمنعوا من حصول أى تسلل محتمل للعدو فتركوا مراكزهم، من أجل الحصول على بعض الغنائم ثم تسلل المشركون من ذلك الموضع بالذات، و أوقعوا بالمسلمين الذين كانوا قد انصرفوا عن الحرب إلى جمع الغنائم- حسبما أوضحناه فى غزوه أحد فى جزء سابق.

و حتى بعد أن بدأ المسلمون يستعيدون وضعهم القتالى، فإن المشركين أحسوا بالخطر الدايم، فأثروا ترك ساحه القتال و الانصراف إلى مكه.

فلو كان بإمكانهم تسجيل نصر حاسم، فلن يجدوا المسلمين فى حاله أضعف من حاله التى هم عليها الآن، و قد كان يهيمهم جدا إنهاء أمر المسلمين، و القضاء عليهم نهائيا. و إلى الأبد.

و حتى حينما كان أبو سفيان يطلق و عوده باللقاء فى بدر من العام المقبل، متبجحا بما تحقق لهم فى معركة أحد، فإنه لم يكن فى موقع يمكنه من حسم الأمر لصالحه و لصالح المشركين آنئذ.

و قد أدرك فى وقت متأخر: أن الخطأ الذى وقع فيه المسلمون فى أحد ربما لن يتكرر فى المستقبل. مع إدراكه: أن أى حرب سيخوضها ضد المسلمين، سوف يكون المسلمون فيها أكثر استبسالاً، و أعظم بلاء من ذى قبل.

كما أنهم سوف يكونون أكثر التزاماً بأوامر قيادتهم الإلهيه، بعد أن

صح لهم أن تلك القيادة لا تنقصها الحكمة و لا الشجاعه، و لا التدبير، و قد لمسوا صوابيه مواقفها، و بعد نظرتها إلى الأمور، و دفعوا ثمن التساهل في الالتزام بأوامرها غاليا، و غاليا جدا.

و من هنا، فإننا لا نفاجأ إذا رأينا المسلمين يصرون على الاحتفاظ بزمام المبادرة، و على الهيمنه العسكريه على المنطقه.

و كان لا بد لأبي سفيان من الاحتفاظ بماء الوجه، و لو شكليا و لكنه فشل في ذلك، حتى اضطر إلى أن يتراجع، و يخلف في وعده، متذرعاً بما لا يخفى على أحد و هنه و عدم واقعيته. حتى إن أهالي مکه أنفسهم كانوا يتندرون بما حدث، و يسمون جيشهم المهزوم روحيا و نفسيا، بأنهم جيش السويق، أى أنهم خرجوا لشرب السويق في الطريق، لا للحرب، و القتال.

و لو كان العام عام جذب فعلا- فلماذا خرج أبو سفيان بهذا الجيش الكثيف من مکه، ألم يكن يدري حين جهز جيشه بهذا الجذب الذى زعمه، ثم اكتشفه بعد أن قطع مسافه من الطريق، و بلغ إلى مجنّه من ناحيه مّر الظهران؟!.

الانتظار ثمانيه أيام:

و إذا كانت بدر تستضيف الكثيرين الذين يأتونها من مناطق مختلفه، لأجل السوق؛ فإن حضور المسلمين في هذه السوق على هذه الصوره الملفته و المثيره، لسوف يكون له تأثيره القوى على الناس الذين يعيشون في المناطق على اختلافها. خصوصا إذا لاحظ الناس هذا الإصرار من المسلمين على لقاء عدوهم، حتى إنهم لينتظرون ثمانيه أيام، ثم يتخلف عدوهم عن الحضور، رغم أنه كان هو الطالب و الراغب بمناجزه المسلمين و قتالهم في هذا الموضع.

و إذا كان هذا العدو هو مشركوا مكة؛ بمالها من هيبه، و نفوذ، و ليس عدوا عاديا من سائر القبائل، فإن القضييه سوف تصبح أكثر حساسيه بالنسبه لأولئك الناس، و لسوف يكون لها أكثر من مغزى عميق و دقيق، و أكثر من أثر سلبي و إيجابى على مشاعرهم و أحاسيسهم، و على نظرتهم إلى المستقبل، بصوره عامه.

و هكذا، فإن الكل سوف يدرك أن ما جرى فى أحد لم يؤثر و لم يغير فى المعادله شيئا، إن لم نقل: إنه قد كانت له آثار سلبيه على المشركين، و إيجابيه على المسلمين كما هو ظاهر.

الاتجار فى بدر الموعد:

اشاره

إن البعض قد رأى: أنه من غير المعقول أن يحمل المسلمون معهم إلى بدر بضائع للتجاره، ما داموا ذاهبين إلى القتال. و إلى منطقته يجتمع فيه خلائق من الناس الذين يلتقون مع قريش فى أهدافها، و فى عقائدها، و موافقها تجاه الإسلام و المسلمين.

إذن فموضع لقاء المسلمين بالمشركين ليس هو بدر التى هى سوق للعرب.

كما أنهم قد ذهبوا إلى الحرب بلا بضائع. و ليس لأجل البيع و الشراء (١).

و نقول:

إننا لا نستطيع أن نوافق هذا الباحث على رأيه المشار إليه، و ذلك لأن سوق بدر لم يكن المجتمعون فيه مستعدين لخوض حرب تحتاج إلى تجهيزات كثيره و متنوعه، من خيول و دروع و أعتده مختلفه. كما أن سيطره ٤.

١- راجع: سيره المصطفى ص ٤٥٤.

الجيش الإسلامى على الموقف سوف تمنحه الفرصه للتعامل مع الآخرين و عقد الصفقات التجاربه بكل طمأنينه و ثقه.

أضف إلى ذلك: أن جهاز الاستخبارات الإسلامى كان من القوه بحيث أنه كان يرصد أى تحرك يحصل فى مختلف أنحاء الجزيره العربيه على اتساعها و ترامى أطرافها، و ينهيه إلى الرسول الأكرم فى الموقع المناسب، و يدل على ذلك: أنا نجد النبى صلى الله عليه و آله وسلم يفاجىء أعداءه، الذين يتآمرون، و يتأهبون لقتاله، و هم غارون، و قبل أن تصدر منهم أيه بادره، أو أن يجدوا الفرصه لأى تحرك و التفاف، و لو من خلال إعاده تنظيم أمرهم، و لم شعثهم.

فجهاز الاستخبارات هذا لا يعجز عن رصد حاله الناس فى تلك السوق. كما أنه لا يعجز عن موافاه النبى صلى الله عليه و آله وسلم فى الوقت المناسب بحقيقه نوايا قريش، و ما أزمعت عليه من كيد و مكر إعلامى فاشل.

و من الجبهه الأخرى، فإن المسلمين كانوا و ما زالوا رغم حروبهم مع أعدائهم منفتحين حتى على أولئك الأعداء فى النواحي التجاربه و الإنمائيه.

حتى إننا لنجد تجار المشركين لا يزالون يترددون على المدينه بتجاراتهم المختلفه. و يحدثنا التاريخ: أن النبى صلى الله عليه و آله وسلم نفسه كان يشجع هذا التوجه بصوره عامه. كما أوضحناه فى كتابنا: السوق فى ظل الدوله الإسلاميه، فراجع.

و يكفى أن نذكر: أنه صلى الله عليه و آله وسلم قد أطلق الصناع و أصحاب الحرف فى خير لينتفع بهم المسلمون، كما سيأتى حين الحديث عن غزوه خيبر.

فالجيش الإسلامى إذن لا بد أن يقدم نموذجا من الوفاء و التضحيه و الانضباطيه أولا. كما أنه فى نفس الوقت يقيم علاقات تجاربه مع الآخرين، و يتعامل معهم بطريقه سليمه و عفويه، و بريئه. من خلال

إحساسه بالثقه و بالقوه و الثبات.

أضف إلى ذلك: أن المسلمين كانوا يشكون في وفاء أبي سفيان بالوعد، قال: موسى بن عقبه: (و خرجوا ببضائعهم. و قالوا: إن لقينا أبا سفيان فهو الذي خرجنا له، و إن لم نلقه ابتعنا ببضائعنا). (١)

و من يدري فلعل النبي صلى الله عليه و آله وسلم نفسه قد طلب من المسلمين ذلك، من أجل خدمه تلك العلاقات و الروابط بالذات، و من أجل أهداف تدخل في نطاق الحرب الإعلاميه و النفسيه للأعداء، و إعطاء فرص إيجابيه إلى أولئك الآخرين الذين كانوا ينتفعون من هذه الفرص لتركيز قناعاتهم، و تبلور مفاهيمهم عن الإسلام و المسلمين، الأمر الذي ستكون له إيجابياته في المستقبل. الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج ٣٨٧٨ غزوه دومه الجندل: ص: ٣٨٧

إيضاحات:

١- دومه الجندل: مدينه بينها و بين دمشق خمس ليال، و تبعد عن المدينه خمس عشره أو ست عشره ليله. و هى بقرب تبوك (٢).

و قيل: دومه الجندل: اسم حصن (٣).

٢- صاحب دومه الجندل هو أكيدر بن عبد الملك الكندى، و هو ٩.

١- تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ٢٠٣ و راجع: السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٧١ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٨٩ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٣٨٥.

٢- راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٩ عن ابن سعد، و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٧ و سيره مغلطاي ص ٥٤ و نهايه الإرب ج ١٧ ص ١٦٣ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١٠٨ و زاد المعاد ج ٢ ص ١١٢ و طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٦٢ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ٢٣ و التنبيه و الإشراف ص ٢١٤ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٦.

٣- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٩.

يدين بالنصرانيه، و هو فى طاعه هرقل ملك الروم (١).

٣- هذه الغزوه أول غزوات النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى الروم (٢).

٤- قال المقدسى عن سنه خمس من الهجره: (وهى سنه الزلازل) (٣).

تاريخ هذه الغزوه:

صرح البعض بأن دومه الجندل كانت فى أواخر السنه الرابعه (٤).

وقال بعض آخر: إنها كانت بعد غزوه ذات الرقاع بشهرين و أربعة أيام (٥).

و ثالث يقول: إن الخندق كانت فى السنه الرابعه، و دومه الجندل بعدها فى الخامسه (٦).

و الأكثرون على أنها كانت فى السنه الخامسه فى شهر ربيع الأول منها (٧) ١١.

١- التنبيه و الإشراف ص ٢١٥ و حبيب السير ج ١ ص ٣٥٧.

٢- البدء و التاريخ ج ٤ ص ٢١٤.

٣- التنبيه و الإشراف ص ٢١٥.

٤- راجع: السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٧.

٥- نقله فى تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٩.

٦- تاريخ مختصر الدول ص ٩٥.

٧- راجع ما يلى: السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٧٧ و ١٧٨ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٩٢ و نقل عن الواقدي: أنها فى ربيع

الآخر. و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٩ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٧ و الجامع للقيروانى ص ٢٨١ و سيره مغلطاي ص ٥٤ و العبر

و ديوان المبتدأ و الخبر ج ٢ قسم ٢ ص ٢٩ و شذرات الذهب ج ١ ص ١١

و عند ابن سعد: فى شهر ربيع الأول على رأس تسعه و أربعين شهرا من مهاجره (١).

هذه الغزوه:

قال البعض: (أراد رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم أن يدنو إلى أدنى الشام. و قيل له: إنها طرف من أفواه الشام؛ فلو دنوت لها كان ذلك مما يفزع قيصر الخ) (٢).

و قال بعض آخر: إنهم كانوا يعترضون المسافرين إلى المدينة و تجارهم (٣).

غير أن جمعا آخر المؤرخين يقولون: إنه صلى الله عليه و آله وسلم سمع أن جمعا من قضاة و غسان تجمعوا بكثرة فى دومه الجندل. و كان بها سوق عظيم، و تجار، بلغ رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم: أنهم يظلمون من مربهم.

و أنهم يريدون أن يدنوا من المدينة.

فاستخلف صلى الله عليه و آله وسلم على المدينة سباع بن عرفطه الغفازى- و عند المسعودى: استخلف ابن أم مكتوم- و خرج لخمس ليال بقين من شهر ربيع الأول فى ألف من أصحابه. ٥.

١- الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ٦٢ و نهاية الإرب ج ١٧ ص ١٦٣ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١٠٨.

٢- مغازى الواقدى ج ١ ص ٤٠٣ و راجع: السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٧٧ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٩٢ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٣٩٠.

٣- التنبيه و الإشراف ص ٢١٥.

فكان يسير الليل و يكمن النهار، و معه دليل من بنى عذره يقال له مذكور. و قد نكب عن طريقهم، فلما كان بينه و بين دومه يوم قال الدليل:

يا رسول الله، إن سوائهم ترعى عندك؛ فأقم حتى انظر.

و سار مذكور حتى وجد آثار النعم؛ فرجع و قد عرف مواضعهم؛ فهجم بالنبي صلى الله عليه و آله وسلم على ماشيتهم؛ فأصاب من أصاب، و هرب من هرب فى كل وجه.

و جاء الخبر إلى دومه الجندل، فتفرقوا. و رجع النبي صلى الله عليه و آله وسلم .

و فى نص آخر: و نذر به القوم، فتفرقوا؛ فلم يجد إلا النعم و الشاء، فهجم على ماشيتهم و رعائهم فأصاب من أصاب، و هرب من هرب فى كل وجه. و جاء الخبر أهل دومه، فتفرقوا.

و نزل صلى الله عليه و آله وسلم بساحتهم، فلم يلق بها أحدا؛ فأقام بها أياما، و بث السرايا، و فرّقها؛ فرجعوا، و لم يصادفوا منهم أحدا، و ترجع السريه بالقطعه من الإبل.

فرجع صلى الله عليه و آله وسلم ، و دخل المدينة فى العشرين من ربيع الآخر. فكانت غيبته خمسا و عشرين ليله (١) و قال المقدسى: (إن التجار و السابله شكوا).

١- راجع ما تقدم كله أو بعضه فى المصادر التالية: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٩ و طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٦٢ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٧ و أنساب الاشراف ج ١ ص ٣٤١ و سيره مغلطاي ص ٥٤ و حياه محمد لهيكل ص ٢٨١. و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ٢ قسم ٢ ص ٢٩ و الوفاء ص ٦٩١ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٢٣٢ و الثقات ج ١ ص ٢٦٠ و التنبيه و الاشراف ص ٢١٥ و حبيب السير ج ١ ص ٣٥٧ و زاد المعاد ج ٢ ص ١١٢ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ٢١٢ و المغازى للواقدي ج ١ ص ٤٠٣ و نهايه الإرب ج ١٧ ص ١٦٣، و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١٠٨ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٩٢ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٧٧ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٦ و دلائل النبوه لليهقي ج ٣ ص ٣٩٠ و ٣٩١.

أكيدر الكندي عامل هرقل عليها، فسار إليها في ألف رجل، يسير الليل، و يكمن النهار، و أحس بذلك أكيدر، فهرب، و احتمل الرحل، و خلى السوق، و تفرق أهلها، فلم يجد رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم أحدا، فرجع (١).

كانت تلك صورته عما يقوله المؤرخون عن هذه الغزوة، قد جمعنا شتاتها، و ألفنا بين متفرقاتها و مختلفاتها، فراجع المصادر التي في الهوامش.

و قبل أن نواصل الحديث نتوقف قليلا لنسجل بعض الملاحظات و التحفظات. فنقول:

مدته غيبته صلى الله عليه و آله وسلم عن المدينة:

قولهم: إن مدته غيبته صلى الله عليه و آله وسلم عن المدينة في هذه الغزوة كانت خمسا و عشرين ليلة لا يصح.

لأنهم يقولون: إن دومه الجنديل تبعد عن المدينة مسافة خمس عشرة أو ست عشرة ليلة (٢)، فالذهاب و الإياب منها و إليها لسوف يستغرق أكثر من شهر، يضاف إلى ذلك: أنه كان يسير الليل و يكمن النهار، فقد يحتاج المسير إليها و الحاله هذه إلى أكثر من ذلك أيضا.

هذا بالإضافة إلى أنهم يقولون: إنه أقام بها أياما بيث سرايا فكيف تكون مدته غيبته عن المدينة خمسا و عشرين ليلة فقط؟!.

رجوع النبي صلى الله عليه و آله وسلم قبل بلوغ دومه!!

١- البدء و التاريخ ج ٤ ص ٢١٤ و أشار إليه الذهبي في تاريخ الإسلام (المغازي) ص ٢١٢.

٢- تقدمت مصادر ذلك في أول هذا الفصل تحت عنوان: إيضاحات.

قد ادعى البعض، كابن هشام: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجع قبل أن يصل إلى دومه الجندل (١).

وقد يكون لنا الحق في أن نشك في صحة هذا القول، ما دام أنه يعطى انطبعا سلبيا عن حاله المسلمين، فإن الرجوع لابد أن يكون لأحد سبيين، أو كليهما، و كلاهما مرفوض.

وهما:

الأول: إنه خاف من التعرض لقيصر، فإنه قد راجع حساباته في الطريق؛ فأدرك أن هذا في غير صالحه؛ فأثر الرجوع، و لو تسبب ذلك بنوع من الشعور بالضعف لدى المسلمين، و سوف يؤكد ذلك هيبه ملك الروم في نفوسهم. و هذا مما لا يمكن قبوله في حق النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

الثاني: إنه قد أحس بأن المدينة تتعرض لخطر من نوع ميا في حال غيابه عنها، سواء من داخلها، من قبل المنافقين و اليهود و غيرهم ممن لم يسلم حتى الآن، أو من خارجها، من قبل قريش و من معها من المشركين المتربصين حول المدينة، و في سائر المناطق.

و هذه أيضا نقطه ضعف أخرى، كان من المفروض أن يكون صلى الله عليه وآله وسلم قد حسب حسابها، و أعدّ العده لمواجهتها، قبل أن يخرج من المدينة. فلا يمكن أيضا قبول هذا السبب لما يتضمنه من نسبه القصور أو التقصير- و العياذ بالله- إلى ساحه قدس النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

التوجيه الأقرب:

و إذا صح أنه رجع و لم يبلغها، فالأظهر أنه قد بلغه أن أهلها قد عرفوا.

١- راجع: السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢٢٤ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٩ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٧٧ عن ابن إسحاق. و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٩٢ و دلائل النبوه ج ٣ ص ٣٩٠.

بمسيره إليهم، ففتحوا عنها إلى جهه غير معلومه، بحيث لم يعد ثمة فائده من المسير إليهم.

لكن الذى يعترض طريق قبول ذلك هو تلك التفاصيل الكثيره و الدقيقه التى يذكرها المؤرخون مما كان قد حصل فى غزوه دومه الجندل.

ولا سيما مع تصريحهم، بأنه لما كان بينه و بين دومه الجندل يوم قال الدليل: يا رسول الله إلخ .. و تصريحهم بأنه أقام أياما بيث السرايا فى النواحي.

فالأقرب أن يقال: إن هؤلاء الذين ادعوا: أنه قد رجع قبل أن يبلغها قد غلطوا فى ذلك و ليس الغلط من مثل هؤلاء بعزیز.

و نسجل هنا ما يلي:

ألف: إننا نلاحظ: أن النبى صلى الله عليه و آله وسلم يختار المسير ليلا و الكمون نهارا، ليمكن له مفاجأه العدو، و أخذه على حين غره. فيحقق بذلك الغرض من دون أن يتكبد المسلمون خسائر كبيره، لو أن المشركين كانوا مستعدين للحرب، عارفين بمسير المسلمين إليهم.

و يكون بذلك قد قدم لنا أيضا مثلا فى التدبير الحربى السليم، الذى يوفر مزيدا من الفرص لتسجيل النصر الحاسم، من خلال الاستفاده من عنصر التخفى فى التحرك نحو الهدف المطلوب.

ب: إن تحرك النبى صلى الله عليه و آله وسلم و المسلمين، كان بهدف الحفاظ على حريه حركه الناس، و ضرب مصدر المتاعب حينما أصبحت طرق المواصلات و الإمدادات و التموين، الذى يأتى عن طريق التجاره مع المناطق الشماليه كسوريه و ما والاها- إنه صلى الله عليه و آله وسلم قد تحرك، ليصبح طريق الناس آمنا، و ليمكنهم من أن يتواصلوا و ينفع بعضهم بعضا من خلال نقل التجارب

و المعارف، و نقل المنتجات، و غير ذلك، و هذا يشير إلى أن حق الحرية هذا مقدس، و لا يمكن المساس به من أى كان، و أنه لا يمكن للحاكم العادل أن يقف تجاه انعدام الأمن موقف اللامبالاه، و يعتبر أن ذلك لا يعنيه، و إنما هو مسؤوليه غيره. بل عليه أن يبادر إلى تحمل مسؤوليه حمايه حريه الناس فى تحركاتهم، و ترددهم بتجاراتهم و غيرها. رغم أن ذلك يحمل فى طياته خطر الاصطدام بعامل هرقل عظيم الروم، ثم بهرقل ذاته من بعده.

ج: يضاف إلى ما تقدم: أن ما جرى فى بدر الموعد، قد أعطى المسلمين المزيد من النشاط، و جعلهم يتحركون بصورة أكثر حيويه و فاعليه، حينما توجهوا إلى شمال الجزيره- بعد أن توطدت هيبتهم فى الجنوب بسبب ما جرى فى غزوتى بدر الموعد، و حمراء الأسد، و غير هما.

و معنى ذلك هو أنهم قد عطفوا نظرهم إلى منطقه يعتبر قيصر الروم فيها هو الأقوى، و الأعظم نفوذا. و لا يتوقع القيصر أن تنشأ فى جزيره العرب حركه تجترى عليه، أو تسمح لنفسها بالتفكير بالتطاول على هيبته و سلطانه.

د: و الأ-كثر وقعا و تأثيرا فى هذه الغزوه: أن نجد النبى صلى الله عليه و آله وسلم حينما وصل إلى دومه الجندل، و فرّ أولئك الأشرار منها، قد بقى بيت سرايا و البعوث عده أيام فى مختلف الاتجاهات، بحثا عن أولئك الأشرار الهاربين.

و معنى ذلك هو أن هذا الهجوم قد كان مدروسا بعنايه، و هدوء، و يراد له أن يترك أثاره فى المنطقه كلها. و لم يكن ثمة تسرع فى اتخاذ القرار فيه، و لا كان ناشئا عن اندفاع عاطفى، أو ما أشبه ذلك.

ه: إن سرعه تحرك جيش بهذه الكثافه إلى بلد يبعد عنه مسيره أيام

كثيره و ثقته بنفسه، و اطمئنانه إلى عدم جرأه أحد على العبث بالأمن فى بلده من بعده، ليدل على مدى ثقته هذا الجيش بنفسه و بقدراته، و على أنه قادر على تسديد ضربته لكل من تسوّل له نفسه أن يتآمر أو يشارك فى التآمر ضده، و عليه أن يحسب ألف حساب قبل أن يقدم على التحالف مع أعدائه، و مناوئيه.

و إذا كان المسلمون أقوياء، فلسوف تتشوف نفوس الكثيرين للتحالف معهم، و الوقوف إلى جانبهم، و العيش فى كنفهم.

و لا- أقل من أنهم سوف يسعون لإقامه علاقات طبيعیه معهم. أما التحالف مع الأعداء، و مشاركتهم فى مناوأة المسلمين، فإنه يصبح أكثر صعوبه خصوصا من القبائل التى لا تتوفر لديها أعداد ضخمه و كافیه لحمايه نفسها من قوه لها هذا النشاط، و بهذا الحجم و المستوى.

و هذا من شأنه أن يضعف أمر قريش، و يقلل من الفرص المتاحة لجمع الحشود، و تحزيب الأحزاب لمواجهة المد الإسلامى العارم.

و: إن النبى صلى الله عليه و آله وسلم و المسلمين و هم يحاولون أن يقللوا من الخسائر البشريه ما أمكنهم، فإنهم يعتمدون طريقه الضغط السياسى، و الروحى، على الخصم، و كذلك إضعافه اقتصاديا بصوره رئيسه، باستيلائهم على مواشيهم و أموالهم، الأمر الذى يضعف مقاومتهم، و قدرتهم على تنظيم المؤامرات، و بذل الأموال لتجيش الجيوش لحرب المسلمين.

و ليس ذلك لأجل حب السلب و النهب، و جمع الأموال، و الشاهد على ذلك أننا نجد صلى الله عليه و آله وسلم يجعل فداء أسير من أسرى المشركين تعليم عشره أطفال من المسلمين القراءه و الكتابه، رغم شده حاجه المسلمين لأقل شىء من المال. و قد تقدم ذلك فى غزوه بدر.

كما أننا نراه صلى الله عليه و آله وسلم حين يرتكب خالد بن الوليد جريمه فى حق بعض القبائل، و ذلك حينما أرسل خالد لدعوه بنى جذيمه، فأمنهم، فلما

وضعوا السلاح أمر بهم فكتفوا، ثم عرضهم على السيف.

نراه صلى الله عليه وآله وسلم لما بلغه ذلك تبرأ من فعل خالد، ثم أرسل علياً فودى لهم الدماء، و ما أصيب لهم من الأموال، حتى إنه ليدى ميلغه الكلب (١).

دومه الجندل، حقيقه أم خيال!؟

قال العلامة الحسنی: (إن أخبار هذه الغزوه، أكثرها عن الواقدي، و أخباره في الغالب من نوع المراسيل، و من البعيد أن يترك النبي المدينة قرابه شهر كامل، كما يدعى المؤلفون في السيره إلى مكان بعيد مسافه تزيد عن خمسه عشر يوماً، و الأعراب من حولها لا يزالون على الشرك، و هم يترقبون المسلمين، و يستغلون الفرصه المناسبه للوقيعه بهم. و من ذا يمنعهم من المدينة إذا غاب عنها النبي مع ألف من أصحابه، و فيها من المنافقين ما لا يقل عددا عن المسلمين. و كانوا على اتصال دائم بقريش و أحلافها من المشركين.

من البعيد أن يتركها ليغزو أطراف الجزيره المتاخمه لحدود الشام في مثل هذه الظروف إلا أن يكون مأمورا بذلك من الله سبحانه (٢).

و نقول:

١- إننا لا نستطيع أن نوافق على ما ذكره العلامة الحسنی رحمه الله تعالى. لأن ذلك لو كان، لكان مانعا من التحرك نحو أى من المناطق الأخرى، قريبه كانت أو بعيدة، فإن كثيرا من الغزوات كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يغيب فيها أياما كثيره، فقد غاب في غزوه بدر الموعد ست ٧.

-
- ١- راجع: الغدير ج ٧ ص ١٦٩ عن سيره ابن هشام ج ٤ ص ٥٣-٥٧ و عن تاريخ أبي الفداء ج ١ ص ١٤٥ و عن أسد الغابه ج ٣ ص ١٠٢ و عن الإصابه ج ١ ص ٣١٨ و ج ٢ ص ٨١ و عن البخارى كتاب المغازى.
- ٢- سيره المصطفى ص ٤٥٧.

عشره ليله، منها ثمانية أيام أقامها في بدر، و الباقي في الطريق ذهابا و إيابا، و كانت غيبته في ذات الرقاع خمس عشره ليله. و كانت غيبته في غزوه بنى المصطلق ثمانية و عشرين يوما.

فقد كان بإمكان الأعداء أن يغتنموا فرصه غيابه للإغاره على المدينه، بصوره سريعه و خاطفه، أو احتلالها، لا سيما مع وجود اليهود و المنافقين، و المشركين فيها و حولها.

٢- و من جهه ثانيه، فإن سير الأحداث يعطى: أن الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم كان له أجهزه استخبارات قويه و فاعله لا يفوتها رصد أيه تحركات أو تجمعات مريبه، بل و حتى المؤامرات و النوايا أحيانا.

و قد كانت مبنوئه في مختلف الأنحاء و الأرجاء قريبه كانت أو بعيده كما المحنا إليه فيما سبق.

و من الواضح: أن مهاجمه المدينه في غياب الرسول يحتاج إلى جمع قوى كثيره من مختلف القبائل و لن يخفى ذلك على عيون الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم.

٣- أضف إلى ذلك: أن النبي كان قد عقد تحالفات و معاهدات كثيره في المنطقه، كما أنه قد عقد تحالفات مع سكان المدينه أنفسهم، يلزمهم فيها الدفاع و النصر، خصوصا إذا هوجم، فكيف إذا هوجموا.

٤- و حين يظعن النبي صلى الله عليه و آله و سلم عن المدينه، فإنه لا يخليها نهائيا. بحيث لا تبقى فيها أيه قوه عسكريه قادره على ضبط الوضع داخليا، و الدفاع ضد العدو الخارجى قدر الإمكان لو دهمهم أمر.

و إلى أن يأتي الرسول، و يمسك هو بزمام المبادره.

٥- مضافا إلى أن ضرب المدينه في غياب النبي لا يحسم الأمر، بل هو سوف يعرض من تسول له نفسه و يقدم على ذلك إلى العقاب الصارم، الذى لن يكون قادرا على دفعه عن نفسه، فإن الكل كانوا أصغر

من أن يجرؤا على ذلك، بعد أن عجزت قريش و فشلت ذلك الفشل الذريع. و لم يكن لأى من القبائل ما كان لقريش من قوه و شوكة، و نفوذ و منعه فى المنطقه بأسرها.

ذكريات أبى موسى الأشعري فى دومه الجندل:

و يذكر المؤرخون: أن تحكيم الحكمين قد كان بدومه الجندل (١).

(و فى كتاب الخوارج عن عبد الرحمان بن أبى ليلى قال: مررت مع أبى موسى بدومه الجندل، فقال:

حدثنى حبيبى صلى الله عليه و آله وسلم : أنه حكم فى بنى إسرائيل فى هذا الموضع حكمان بالجور، و إنه يحكم فى أمتى حكمان بالجور، و إنه يحكم فى أمتى حكمان بالجور فى هذا الموضع.

قال: فما ذهبت الأيام حتى حكم هو و عمرو بن العاص فيما حكماه. قال: فلقيته فقلت: يا أبا موسى قد حدثتنى عن رسول الله.

فقال: و الله المستعان. كذا أورده المجد (٢).

موادعه عينه بن حصن الغادر:

و يذكر المؤرخون: أنه لما رجع النبى صلى الله عليه و آله و سلم من ٩.

١- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٩ و صفين ٥٣٨ و ٥٤٠ و ٥٣٥ و شرح نهج البلاغه للمعتزلى الشافعى ج ٢ ص ٢٤٨ و راجع: مروج الذهب ج ٢ ص ٣٥٢ و مصادر ذلك كثيره جدا فلتراجع كتب التاريخ، حين الحديث حول قضيه صفين، ثم التحكيم.

٢- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٩ و ذكر هذه القصة أيضا و إن لم يصرح بأن التحكيم كان و سيكون فى دومه الجندل كل من: المسعودى فى مروج الذهب ج ٢ ص ٣٩٢ و شرح نهج البلاغه للمعتزلى الشافعى ج ١٣ ص ٣١٥ و راجع ص ٣١٦ و راجع:

قاموس الرجال ج ٦ ص ١٠٨ / ١٠٩.

دومه الجندل وادع عينه بن حصن الذي كانت أرضه قد أجدبت: أن يرعى بتعلمين و ما والاه إلى المراض، و كان ما هناك قد أخصب، و هو موضع بينه و بين المدينة سته و ثلاثون ميلا على طريق الربذه (١).

و سيأتي: أنه لما سمن حافره، و انتقل إلى أرضه أغار على لقاح رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم بالغابه ..

حكومته القيم، أم حكومه المشاعر:

و غنى عن القول هنا: أن عينه بن حصن كان لا يزال هو و من معه على الشرك و الكفر، الذي كان يناوىء الدعوه الإسلاميه بكل الوسائل.

و لم يكن النبي صلى الله عليه و آله وسلم حين سمح له بما سمح يطمع في الحصول على أى نفع من قبله، فلم يكن يريد في مقابل ذلك مالا، و لا كان يريد منه أن ينصره على عدوه، و يتقوى به على مناوئيه، لا في مال، و لا رجال.

كما أن عينه لم يكن يملك قوه خارقه للعاده، بحيث يخشاه النبي صلى الله عليه و آله وسلم و ينصاع لما يطلبه منه.

كما أننا نلاحظ: أن النبي صلى الله عليه و آله وسلم لم يحاول استغلال حاجه عينه و من معه، ليفرض عليهم شروطا، و يحصل على امتيازات، سياسيه أو ماديه، أو غير ذلك. بل هو لم يطلب حتى السماح لدعاته بأن يطرحوا مع الناس هناك قضيه الإسلام و الإيمان، فضلا عما هو أبعد من ذلك.

بل تصرف النبي صلى الله عليه و آله وسلم على أساس ما لديه من مثل وقيم، و قناعات و منطلقات إيمانيه و إنسانيه، و من ثوابت أخلاقيه و دينيه.٢.

١- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٧ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ٦٣ و راجع: نهايه الإرب ج ١٧ ص ١٦٣ و سيره مغلطاي ص ٥٤ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ٢ قسم ٢ ص ٢٩، و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٢٣٢.

فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم يرى أن الحرب إنما تهدف إلى منع قوى الهيمنة والاستكبار من فرض إرادتها، و مصادره حريه الآخرين فى الفكر و فى الإيمان.

و إلى دفع غائله العدو الذى يريد سحق قوى الخير، و نسف قواعد الإيمان. و ليس للحرب أى دور حين تجرى الأمور بصوره طبيعیه، فإن السلاح الذى يعتمد عليه الإسلام هو الدليل القاطع و البرهان الساطع، و الدعوه إلى الله بالحكمه و الموعظه و الحسنه، و الجدل بالتي هي أحسن ..

بل إن كل الجرائم التى ارتكبتها مشركوا قريش فى حق الإسلام و المسلمين لم تمنع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من إرسال الأموال إلى مكه، حين علم أن أهلها يعانون من ضائقه كبيره بسبب الجذب.

و لم يكن منطلقه فى ذلك، و لا- فى موقفه هنا من عواطف ثائره، تتحرك بانسداد و بعنفوان بصوره غير واعيه و لا- متزنه فى الحالات الطارئه.

بل منطلقه صلى الله عليه وآله هو القيم و المثل العليا، و كل المعانى الإنسانيه الصافيه و النبيله، فليس ثمة تناقض بين الأحاسيس و المشاعر، و بين الموقف الرسالى و المبدأى. بل إن مشاعر صلى الله عليه وآله وسلم و أحاسيسه قد نمت و تربت فى ظل مبادئه و قيمه و من خلالها؛ فمنها تنطلق، و إليها تنتهى، و على أساسها تقوم و تدوم.

ص: ٤٠١

الفهارس

اشاره

١- الدليل الاجمالي للكتاب

الباب الثامن: غزوه بنى النضير ٥- ٢٦١

الفصل الأول: النصوص و الآثار ٧- ٣٢

الفصل الثاني: قبل أن تدق الطبول ٣٣- ٧٧

الفصل الثالث: القرار و الحصار ٧٩- ١٣٢

الفصل الرابع: الجزاء الأوفى ١٣٣- ١٨٩

الفصل الخامس: كى لا يكون دوله بين الأغنياء ١٩١- ٢١٩

الفصل السادس: أراضى بنى النضير و الكيد السياسى ٢٢١- ٢٦١

الباب التاسع: حتى الخندق ٢٦٣- ٤٠٠ الفصل الأول: غزوه ذات الرقاع: تاريخ و أحداث ٢٦٥- ٢٩٨

الفصل الثاني: حدث و تشريع ٢٩٩- ٣٢٤

الفصل الثالث: عظات و كرامات، أو سياسات إلهيه ٣٢٥- ٣٦٠

الفصل الرابع: بدر الموعد ٣٦١- ٤٠٠

الفهارس ٤٠١- ٤١٣

٢- الدليل التفصيلي للكتاب

الباب الثامن: غزوه بني النضير ٥- ٢٦١ الفصل الأول: النصوص و الآثار ٧- ٣٢ تمهيد ضروري ٩ نص ابن كثير ١٢ قصه عمرو بن

سعدى القرظى ٢٠ القتال .. فى بني النضير ٢٣

نصوص أخرى حول قضيه بني النضير ٢٥

ليخبرن بما هممتم به ٢٩

الفصل الثانى: قبل أن تدق الطبول ٣٣- ٧٧ بدايه ٣٥

الإختلافات الفاحشه ٣٥

تاريخ غزوه بني النضير ٣٦

تذكير بما سبق ٣٨

تهافت ظاهر ٤٤

سبب غزوه بني النضير ٤٥

روايه لا يعتمد عليها ٥٠

نقض العهد و التكبير ٥١

نقض العهد و المؤامره ٥٣

المعاهدات فى الإسلام ٥٤

من عهد الأشر ٥٤

الوفاء بالعهد ٥٧

الشرط الأساسى فى كل عهد ٥٨

العهود لا تنقض و هى ملزمه للجميع ٥٩

احترام أموال المعاهدين ٦٠

المعاهدون لا يجفون و لا يقصون ٦١

من نتائج الصلح و العهد ٦١

العهد و الحذر ٦٢

الخيانه فى حجمها الكبير ٦٣

الوفاء بالعهد ضروره حيايه ٦٤

الغدر عجز و عدم ورع ٦٤

الغادر هو الذى يعاقب ٦٤

السلاح فى أيدي المعاهدين ٦٤

موقف له دلالاته ٦٧

وفاء اليهودى هو الغريب المستهجن ٦٩

الجرأه و مبرراتها ٧١

التصوير الحاقده، و التزوير الرخيص ٧٣

مزيد من التجنى ٧٥

الفصل الثالث: القرار و الحصار ٧٩-١٣٢ القرار الحكيم ٨١

لماذا كان الرسول أوسيا؟ ٨٣

حامل اللواء ٨٥

الفتح على يد على (ع) ٨٨

١- الحكمه و المعجزه ٨٩

٢- الشعور بالمسؤوليه ٩٠

٣- الأسرار العسكريه ٩٠

٤- دراسه شخصيه العدو ٩١

٥- إستباق مخططات العدو ٩١

٦- العمليات الوقائيه ٩٢

٧- إرهابات ٩٢

٨- الفتح على يد على (ع) ٩٢

٩- قتل قائد المجموعه ٩٤

١٠- الإشكال فى شعر حسان ٩٤

تحديد المواقع ٩٥

بنو النضير شرقى المدينه ٩٧

مناقشه للمسعودى لا تصح ١٠٠

مناقشه أخرى وردها ١٠١

قرب بنى خطمه إلى بنى النضير ١٠١

خلاصه أخيره ١٠٥

مناقشه مع الواقدى ١٠٥

قطع النخل أو حرقه ١٠٦

هل هذا العدد صحيح؟! ١٠٧

تفاصيل أخرى فى حرق و قطع النخيل ١٠٨

لماذا ابن سلام؟! ١١٠

شكوك تصل إلى حد التهمه ١١٠

البعض لم يفهم الآيه ١١١

الحرق أم القطع؟! ١١٢

الحكم الفقهي فى قطع الأشجار و حرقها ١١٢

حرق النخيل، و الفساد فى الأرض ١١٣

جواب السهلى، لا يصح ١١٥

ضروره قطع الأشجار و حرقها ١٢٠

المهاجرون! و قطع النخل ١٢٥

التصويب فى الاجتهاد ١٢٨

هذا الشعر لمن؟! ١٣٠

الفصل الرابع: الجزاء الأوفى ١٣٣ - ١٨٩ تحسبهم جميعا، و قلوبهم شتى ١٣٥

اليهود و المنافقون لا ينصرون حلفاءهم ١٣٧

يخربون بيوتهم بأيديهم ١٣٩

نجاف الباب و وصيه موسى ١٤٢

روايات غير موثوق بصحتها ١٤٣

لأول الحشر ١٤٤

سبب إخراج عمر لليهود ١٤٩

دعاوى لا تصح ١٤١

الروايه الأقرب إلى القبول ١٤٢

لا إكراه فى الدين ١٤٣

إلى خير أم إلى الشام؟ ١٤٤

السلاح للمؤمنين فقط ١٤٤

حزن المنافقين ١٤٧

نماذج مثيره ١٦٨

حسان بن ثابت يتعاطف مع اليهود ١٦٩

روايه شاذه لابن عمر ١٧١

روايه اخرى تحتاج إلى إصلاح ١٧٢

بنو النضير بمنزله بنى المغيره ١٧٣

ص: ٤٠٩

ملاحظه ١٧٩

نزول آيه سوره المائده فى بنى النضير ١٧٩

الترييه القرآنيه ١٨٠

الله هو الذى أخرجهم ١٨١

العز و الذل .. بماذا؟ ١٨٢

مبالغات لا مبرر لها ١٨٣

صلاه الخوف فى بنى النضير ١٨٦

تحريم الخمر فى غزوه بنى النضير ١٨٦

الفصل الخامس: كى لا يكون دوله بين الأغنياء ١٩١ - ٣١٩ الخيانه و الفداء ١٩٣

أموال بنى النضير فى النصوص و الآثار ١٩٣

أموال بنى النضير لم تخمس ١٩٧

توضيحات للواقدى ١٩٨

أموال بنى النضير فى ء أم غنيمه ٢٠١

الجواب الأمثل ٢٠٣

المهاجرون .. و أموال بنى النضير ٢٠٤

حكايه قسمه الأراضى ٢٠٤

محاسبات دقيقه ٢٠٦

المستفيدون من أراضى بنى النضير ٢٠٩

نصان غير متوافقين ٢١٢

كى لا يكون دوله بين الأغنياء ٢١٣

لماذا اختص ذوا القربى بالخمس و الفى ء ٢١٧

الفصل السادس: أراضى بنى النضير و الكيد السياسى ٢٢١- ٢٦١ الغاصبون ٢٢٣

ص: ٤١٠

نص الروايه ٢٢٣

المؤاخذات التي لا محيص عنها ٢٢٨

سؤال و جوابه ٢٣٩

الإنتصار لرسول الله صلى الله عليه و آله وسلم أم لعمر الفاروق ٢٤٨

يحسبهم الجاهل أغنياء ٢٥٠

الزهد .. الحريه ٢٥٦

الزهاء .. فى مواجهه التحدى ٢٥٧

لماذا لم يسترجع على (ع) ما اغتصب؟! ٢٦٠

الباب التاسع: حتى الخندق ٢٦٣- ٤٠٠ الفصل الأول: غزوه ذات الرقاع، تاريخ و أحداث ٢٦٥- ٢٩٨ بدايه ٢٦٧

الرصد الدقيق ٢٦٧

غزوه ذات الرقاع ٢٦٨

نقاط لا بد من بحثها ٢٧١

التسميه بذات الرقاع ٢٧٢

تاريخ هذه الغزوه ٢٧٤

الصحيح و المعقول ٢٧٦

مؤيدات ٢٧٩

لماذا مؤيدات ٢٨٠

كلام الدمياطى ٢٨٠

دليل الرأى الآخر ٢٨١

غزوتان أم غزوه واحده ٢٨٢

من استخلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم على المدينة ٢٨٣

تضحيات عباد بن بشر ٢٨٤

تسجيل تحفظ ٢٨٤

مع الحدث فى مراميه و دلالاته ٢٨٧

قصه غورث بن الحارث ٢٨٨

قصه اخرى تشبه قصه غورث ٢٩٠

القصه الأقرب إلى القبول ٢٩٦

كيف نفهم هذه القصه؟! ٢٩٧

الفصل الثانى: حدث و تشريع ٢٩٩-٣٢٤ ماذا فى هذا الفصل؟! ٣٠١

صلاه الخوف ٣٠٢

الروايه الأقرب إلى القبول ٣٠٥

كيفيه صلاه الخوف ٣٠٧

صلاه الخوف فى غزوه الخندق ٣٠٧

صلاه الخوف لماذا؟! ٣٠٨

قصر الصلاه ٣١٠

القصر فى حالتى الأمن و الخوف ٣١٢

إتمام عثمان للصلاه فى منى و عرفات ٣١٥

الصامدون و المتزلفون ٣١٥

معاويه و الأمويون، و سنه عثمان ٣١٦

أعذار لا تصح ٣١٧

التقصير رخصه أم عزيمه ٣٢٢

نزول آيه التيمم ٣٢٣

الفصل الثالث: عذات و كرامات ٣٢٥-٣٦٠ ماذا فى هذا الفصل ٣٢٧

جمل جابر ٣٢٨

اختلافات الروايه فى مقدار ثمن الجمل ٣٣٢

الزياده المباركه ٣٣٤

تاريخ قصه جمل جابر ٣٣٤

القيمه الحقيقيه لهذا الحدث ٣٣٥

كرامه و تكريم ٣٣٧

مع الحدث فى دلالاته و خصوصياته ٣٣٩

رحمه الله بعباده ٣٤١

النبي يعالج ابن الأعرابي ٣٤٢

كرامه أخرى لرسول الله صلى الله عليه و آله وسلم ٣٤٣

جمل يستعدى على صاحبه ٣٤٥

معرفة النبي بلغات البشر و الحيوان و الجماد و الشجر ٣٤٦

سؤالان يحتاجان إلى جواب ٣٤٧

الإجابة و التوضيح ٣٤٨

الإجابة على السؤال الآخر ٣٤٩

تسخير المخلوقات للإنسان فى الآيات القرآنيه ٣٥١

الشعور و الإدراك لدى المخلوقات ٣٥٢

نماذج حيه من تسخير الموجودات العاقله ٣٥٤

قصه سليمان و داود نموذج فذ ٣٥٥

آيات من سوره النمل ٣٥٥

مع آيات سوره النمل ٣٥٦

إعاده توضيح و بيان ٣٥٧

النقاط على الحروف ٣٥٩

الفصل الرابع: بدر الموعد ٣٦١-٤٠٠ بدايه الحديث عن بدر الموعد ٣٦٣

تاريخ غزوه بدر الموعد ٣٦٤

النص التاريخى لبدر الصغرى ٣٦٥

آيات سوره آل عمران ٣٧١

مواقف لا بد من التأكد من صحتها ٣٧٣

الأفراح و الأتراح ٣٧٤

المجتمع المفتوح ٣٧٧

إستخلاف ابن أبى على المدينة ٣٧٨

قوه الإسلام ٣٧٩

لا بد من الندم ٣٨٢

الانتظار ثمانيه أيام ٣٨٤

الاتجار فى بدر الموعد ٣٨٥

غزوه دومه الجندل ٣٨٧

إيضاحات ٣٨٧

هذه الغزوه ٣٨٩

مده غيبته صلى الله عليه و آله وسلم عن المدينة ٣٩١

رجوع النبى صلى الله عليه و آله وسلم قبل بلوغ دومه!! ٣٩١

التوجيه الأقرب ٣٩٢

و نسجل هنا ما يلى ٣٩٣

دومه الجندل حقيقه أم خيال؟ ٣٩٤

ذكريات أبى موسى الأشعري فى دومه الجندل ٣٩٨

موادعه عينيه بن حصن الغادر ٣٩٨

حكومه القيم أم حكومه المشاعر ٣٩٩

الفهارس ٤٠١-٤١٣ ١- الدليل الإجمالي للكتاب ٤٠٣

٢- الدليل التفصيلي للكتاب ٤٠٥

الصحيح من السيره النبي الأعظم، مرتضى العاملى، ج ٩، ص: ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
الغمامة
اصبحان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

